خواطر حول كتاب

الإسلام بين الشرق والغرب

د. علي عزت بيجوفيتش

كتبه

دكتور

مصطفى حلمي



خواطر

حول كتاب

« الإسلام بين الشرق والغرب »

لعلي عزت بيجوفيتش

دكتور



أستاذ العقيدة الإسلامية بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

رئيس قسم العقيدة الإسلامية بكلية دار العلوم - سابقًا

الحائز على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية







دار الخلفاء الراشدين
الأسكندرية

رقم الإيداع : ١٧١٠٠/٢٠٠٨

دار الخلفاء الراشدين
الأسكندرية - أبو سليمان - ش عمر
أمام مسجد الخلفاء الراشدين
٠١٠٥٠١٣١٥١-٠١٢٠١٥٢٩٠٨

دار الفتح الإسلامي
الأسكندرية - مصطفي كامل
بجوار مسجد الفتح الإسلامي
٠١٠٢٧٧١٠٦٠-٠١٠٦٧١٤٧٦٨

هذا الكتاب

يتضمن بعض الخواطر حول كتاب علي عزت بيجوفيتش « **الإسلام بين الشرق والغرب** » الذي هزّ حين صدوره أركان العالم كما وصفه ناشروه .

وكان علي بيجوفيتش ملتزمًا بوضع تجربته أمام الأمة الإسلامية ليحثّها على المضيّ قُدُمًا في اجتياز طريق الإسلام ، لا الشرق الماركسي ولا الغرب النصراني .

وقد عانى أثناء حياته من ويلات الحرب الصليبية التي اندلعت في البوسنة والهرسك لإبادة الشعب المسلم هناك ، والتي امتدّ لهيبها الآن إلى أفغانستان والعراق والصومال ، كما لم ينْسَ جُرح فلسطين الذي لا يزال ينزف دمًا .

وكان ـ محقًا في وصف الإسلام بأنه حياة ، فإنه يمدّ المسلمين بزاد الروح ـ أي عقيدة التوحيد وغاياتها ـ وينظم حياتهم بشريعته العادلة ، ويرتقي بأخلاقهم إلى مستوى يَعِزُّ أن تجد له مثيلًا ، ويمدهم بسلاح الصبر في المحن والكوارث ، ويحمّل أمته مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ لأنها الأمة الشاهدة على غيرها من الأمم .

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

وبالله التوفيق ،،

قال تعالى :

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

[البقرة : ٢١٦]

﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾

[النساء : ١٠٤]

﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

[يوسف : ٢١]

﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴾

[محمد (القتال) : ٣٨]

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ .

أما بعد ..

فهناك من المؤلفات ما يمتد أثرها في النفوس لعدة أجيال ، وذلك بسبب عناية الله ﷻ ثم بسبب إخلاص نيّة أصحابها .

وينطبق هذا الوصف في اعتقادي على كتاب الرئيس السابق للبوسنة « علي عزت بيجوفيتش » بكتابه الذي « **هزَّ أركان العالم بأسره** » ـ كما وصفه ناشروه ـ وعنوانه « **الإسلام بين الشرق والغرب** » .

وتحت ضغط المؤثِّرات المؤلمة للحرب الصليبية المتصاعدة ، استدعت ذاكرتي فحوى هذا الكتاب ، وقلت في نفسي لعليِّ أجد في محتواه ما يجعل المسلم يصمد أمام الحرب النفسية البشعة التي تبغي من الفريسة ـ أي نحن ـ إلقاء سلاحها والاستسلام طوعًا .

فقد عايش علي بيجوفيتش الحضارة المعاصرة ، وعانى من جرائم الروس ، وراقب الإنسان في الجانب الغربي ، حيث لاحظ أنه « **مبرمج** » وهو اصطلاح ينفرد به لأنه عرف حقيقة الإنسان في التصور الإسلامي مقارنًا بينهما .

ويدور محور الكتاب على عقد موازنات بين المذاهب الفلسفية الغربية وبين النظرة الإسلامية مستخدمًا المنهج الوصفي الموازن .

أما خواطرنا حول كتابه فتدور حول ما نعايشه في السنوات الأخيرة من تغييرات كبيرة ، وأحداث هائلة ، بدءًا من أحداث ١١/٩ في أمريكا ، ومحاولة فرضها ما يُسمَّى بمشروع الشرق الأوسط الكبير ، إلى إعلان الحرب الصليبية على المسلمين وغزو أفغانستان عام ٢٠٠١ م ، ثم العراق عام ٢٠٠٣ م مع حملات دعائية لتشويه الإسلام والإساءة إلى رسوله ﷺ .

وتتداعى الخواطر لتدفعنا لبحث عوامل عداء الغرب للإسلام وجذوره التاريخية ، ثم البحث في التغييرات التي حولت الولايات المتحدة الأمريكية من العلمانية إلى التطرف الديني النابع من النصرانية الصهيونية .

وكما كان بيجوفيتش يبحث عن الحل بعد انهيار الماركسية فنحن أيضًا نقتفي أثره ونفعل كما فعل ونؤكد هويتنا الإسلامية لأنها ركيزة نهضتنا .

خاصة بعد أن فشلت تجربتنا القومية ، ودفَعَنا الغرب ـ دون أن يقصد بسبب رعونته ـ إلى ضرورة الاستمساك بعقائدنا وهويتنا إزاء الصراع الحضاري الذي فرضه علينا ، لأن عقائدنا سلاحنا في الصمود والمقاومة .

وهذا ما سنحاوله في هذا الكتاب لعلنا نستكمل دراسة بعض الوقائع التي لم يعالجها علي بيجوفيتش بكتاب « **الإسلام بين الشرق والغرب** » لأنه مات قبل حدوثها ، ولكنها تمس القضايا التي عرضها بكتابه نفسها ، كالموازنة بين الحضارتين الغربية والإسلامية ، وإبراز خصائص الإسلام وإسهامه في تكوين الإنسان بأخلاقه السامية ، مع الإصرار على أن طريق الإسلام ـ وحده ـ هو طريق نهضة الأمَّة .

كذلك رأى ـ عن كثَب ـ يقظة دينية في أوروبا ، وأخرى في بلاد المسلمين .

ودعانا ذلك إلى التوسع في الخلفية الدينية لحضارة العصر وطابعها العدواني المتمثل في الإبادة لغيرها من البشر .

وكان بيجوفيتش ملتزمًا بوضع تجربته أمام الأمة الإسلامية ليحثها على المضي قُدُمًا في اجتياز طريق الإسلام ، لا الشرق الماركسي ولا الغرب النصراني ، وقد عانى من نار الحرب الصليبية التي اندلعت في البوسنة والهرسك ، والتي امتد لهيبها الآن ـ بعد وفاته ـ إلى أفغانستان والعراق والصومال ، كما لم ينس جرح فلسطين الذي لا يزال ينزف دمًا ، وبعد انحسار الاتحاد السوفيتي ، أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية هي المتفردة بالسيطرة على العالم وتحاول الانفراد بحكمه .

إن هذه المرحلة الحرجة التي لم يعايشها علي بيجوفيتش تقتضي منا البحث ـ بنفس منهجه ـ في قضايا مستجدة لم يعرضها بكتابه ، وله عذره ، فلا يعلم الغيب إلا الله ﷻ ، ولكنه رحمه الله رسم لنا الطريق الهادي إلى حل معضلاتنا ، أي طريق الإسلام الذي سرنا فيه طوال القرون الماضية ، مرفوعي الرؤوس ، وكنا نقود العالم أيام حضارتنا بالعدل ، لا بالقهر والاستخراب .

وسنحاول معالجة الآثار الناجمة عن الطغيان والاستئثار بحكم العالم بالقوة والغطرسة وفرض الحرب الصليبية على أمة الإسلام ، مع استخدام وسائل الإعلام الجبارة التي تقوم بتزييف الحقائق وتتلاعب بالعقول ، مما أدى ببعضنا إلى الاكتئاب والانهيار النفسي لأنهم يرون أمتهم في حالة تخلف في المجالات العلمية والاقتصادية والسياسية والعسكرية ، ومن ثم يكون الخضوع للأمر الواقع والتكيف مع « العولمة » ، والذوبان في كيان الغازي المنتصر .

إن أول خطوات المقاومة تقتضي منّا دراسة موسّعة ذات نظرة « استراتيجية » تشمل التطورات الحادثة بعد صدور كتاب علي بيجوفيتش ، فنحن نعيش مرحلة

امتداد معارك الحروب الصليبية والاستعمار الغربي في جولته الجديدة..

ونحن نعلم أن طريق الخلاص طويل يتطلب - مع الوعي بما يدور حولنا - الصبر والمصابرة والجهد المتواصل لاسترداد هويّتنا الأصلية ، واتخاذ الأهبة لنهضة حقيقية تتمثل في تحرير الإرادة والمضي قدمًا في الأخذ بأسباب التقدم العلمي والتكنولوجي والرخاء الاقتصادي والاستقرار الاجتماعي المبنّي على عقائد ثابتة وقيم خلقية رفيعة ... والباحث الواقع العالم الإسلامي يجد أنه يملك المقومات الكاملة التي تتحقق بها الأهداف المرجوة ، ولكن تقع مسؤولية التنفيذ على عاتق الساسة والقادة لتحويلها إلى مشروعات وخطط للمستقبل ، وكفالة الحرية للشعوب لتنطلق بأقصى طاقاتها نحو أهدافها..

وبكلمة مختصرة : إعداد جيل النصر .

وينبغي أن نلاحظ أن الإسلام - على رغم كل ما أصاب المسلمين من محن وكوارث - لا يزال حاضرًا في القلوب والعقول ، وشامخ البنيان بكتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ ، راسخ القدم بتاريخه وحضارته وشريعته ، مُشِعًّا بنوره للباحثين عن الحق والعدل ، ولا يزال يجذب الكثيرين - شرقًا وغربًا - إلى أحضانه [(١)] .

ومن دواعي التحصين ضد حملات الحرب النفسية : التحقق من أن سنة الله ﷻ ماضية ، وقدَرَه نافذ ، وينبغي أن نتذكر دائمًا السنن الإلهية العامة في النصر والهزيمة ، حتى لا نتحطم نفسيًا أمام الخضوع للأحداث المجزّأة ،

(١) قرأنا أخيرًا عن زيادة عدد الروس المعتنقين للإسلام ، وفي إحصائية غربية تقول إن هناك ٦٣ شخصًا أوروبيًا يعتنقون الإسلام يوميًا ، ويتوقع بعضهم أنه بعد عشرين عامًا ستصبح فرنسا جمهورية إسلامية .

د/ سعيد اللاوندي «فوبيا الإسلام في الغرب» ص ١١٤ ، كتاب اليوم - العدد ٤٨١ أبريل ٢٠٠٦م.

أي في جريانها اليومي ، فمن سنن الله ـ تعالى ـ إهلاك « القرى » الظالمة ، ومن سننه ﷻ أيضًا نصر عباده المؤمنين ، بعد الأخذ بأسباب النصر : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ﴾ [محمد : ١١] .

أما أوامره ﷻ في هذه الابتلاءات والمحن ، فهي الصبر والمصابرة والتبرؤ من الذنوب والخطايا ، والاجتهاد في الدعاء والتضرع .

وبعد ، فلعل تدبر هذا الكتاب وتأمل هذه الخواطر يبعث في أنفسنا روح التفاؤل ، ويكسر موجة الإحباط المدمر ، ويحرر الذات من الخضوع للواقع الأليم .

كذلك ، فإن التاريخ يعلمنا أن دوراته لن تنتهي إلا بقيام الساعة ، وأن حركة جَزْر حضارتنا الحالية سيعقبها بمشيئة الله ـ تعالى ـ ، حركة مَدّ على اتساع رقعة العالم ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [يوسف : ٢١] .

ويحتوي الكتاب بعد المقدمة والتمهيد على عشرة فصول ، وهي كالآتي :

الفصل الأول : « مختصر كتاب الإسلام بين الشرق والغرب » .

الفصل الثاني : « أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ : ما هي الحقيقة ؟ » .

الفصل الثالث : « العداء الأوروبي للإسلام » .

الفصل الرابع : « العودة إلى الدين في الغرب » .

الفصل الخامس : « الغرب صانع الإرهاب » .

الفصل السادس : « العراق : فيتنام الثانية » .

الفصل السابع : « جارودي شاهد على العصر » .

الفصل الثامن : « فشل المشروع القومي (البديل للجامعة الإسلامية) » .

الفصل التاسع : « مقدرات الأمة الإسلامية وكيفية توظيفها » .

الفصل العاشر : « حرب الصرب في البوسنة والهرسك تجربة رائدة للغرب » .

ونسأل الله ـ تعالى ـ أن يثبّتنا والمسلمين بالقول الثّابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، وأن يؤيد بنصره المجاهدين في سبيله في مشارق الأرض ومغاربها .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ،
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

مصطفى بن محمد حلمي

الإسكندرية في ١١ رجب ١٤٢٨هـ

٢٥ يوليو ٢٠٠٧ م



❁ التعريف بكتاب « **الإسلام بين الشرق والغرب** » ، وما استجد بعد وفاة مؤلفه .

❁ إيقاظ الوعي بالمخاطر التي تحيط بالأمة الإسلامية وتحصين العقل الإسلامي لمواجهة الحرب النفسية .

تمهيد

سبق لي عرض بعض آراء الرئيس علي بيجوفيتش بكتابي « **الفكر الإسلامي في مواجهة الغزو الثقافي** » في سياق أفكار بعض علمائنا الأفذاذ التي تساعدنا على الثقة بالنفس ، ودفع الأفكار الوافدة مع المحتل الأجنبي ، الذي ترك الديار ولكنه لم يترك الأفكار كسلاح لدوام نفوذه وتأثيره على الأجيال المسلمة الشابة بعد أن أفقدها بالغزو الثقافي العاتي بعض معالم أصالتها .

وكتاب « **الإسلام بين الشرق والغرب** » للرئيس علي بيجوفيتش رحمه الله من خير ما يقدم لشبابنا زادًا معنويًا يحمل تجربة عالم مجاهد ، عاش في أجواء الحضارة الغربية ، وعرف مميزاتها ، وعانى من أمراضها ، وجاهد في سبيل تحرير بلاده من الاستعمار الروسي ، فجاء الكتاب بمحتوياته خلاصة لتجربة فريدة من نوعها ، لم يكتبه على غرار المؤلفات الأكاديمية التي تحمل العقائد والنظريات ، ولكنه أفرغ تجاربه ـ في القراءة والبحث والدراسة ـ في قالب فريد من نوعه ، فيزيد المؤمنين إيمانًا بسلاح فاعل لمقاومة فتنة الحضارة الغربية بعد أن نفذ ببصيرته إلى لبّها ، وعرّف القراء بخباياها ، محذّرًا من أمراضها ، ومرجّحًا كفة الحضارة الإسلامية التي لم يَرضَ بها بديلًا ، برغم ما عانى من صنوف العذاب ، واختار طريق الإسلام عن اقتناع بأنه دعوة لحياة مادية وروحية معًا .

واستجدت بعد وفاته تغييرات هائلة على الساحة الدولية :

ففي ظل العولمة الأمريكية ، وفي عصر المطالبة بالاستسلام للدولة الصهيونية ، ترتفع أصوات في هذا الإطار لتنكر عروبة مصر وانتماءها للإسلام ، وتنعت دعاة الصحوة الإسلامية بالظلامية والعداء للتقدم والتنوير والحضارة .... إلخ .... وهي أوصاف تدل على جهل قائليها ، والإنسان عدو ما يجهل .

وفي ظل هذه الموجة التي تشجع التغريب ، وتدعو إلى التبعية ، وتقطع الصلة بين مصر وعروبتها وإسلامها ، وجدتُ الرد الجميل ممثلًا في كتاب الرئيس علي بيجوفيتش ﵀ فهو حصيلة ثقافة عميقة مقترنة بتجربة ومعايشة لحضارة الغرب بحلوها ومرّها كما بيَّنا ، وفيه الرد على الجاهلين بحقائق الإسلام ، فإن الحضارة الغربية حضارة دموية أظهرت حقدها ، ومثال ذلك ما فعله الصرب بالمسلمين بدوافع أحقاد دينية متوارثة منذ عصر الخلافة العثمانية ، وقد عايش بيجوفيتش هذه المأساة ، هذا فيما يتعلق بالجناح الشرقي ، وتكرّرت المأساة فيما يفعله الغرب الآن بقيادة السلطة الحاكمة بأمريكا في العراق وأفغانستان حيث اتخذت أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م مسوغًا لهذا الذي تفعله ، دَعْك من جرائم إسرائيل ـ فهي ذراع لحضارة الغرب ـ نحو أهل فلسطين منذ عام ١٩٤٨م .

وتحثنا وصايا بيجوفيتش التي بثها في كتابه على شق طريقنا نحو إقناع بني جلدتنا بأن طريق الإسلام هو الواجب اجتيازه ، وهو المُجرّب من قبل حيث سرنا فيه طيلة أربعة عشر قرنًا مرفوعي الرأس ، وكنا أثناء ازدهار حضارتنا نقود العالم بالعدل ، لا بالقهر والظلم والاستبداد الذي سجله التاريخ على حضارة الغرب بدماء ضحاياها .

كذلك يذكّرنا بيجوفيتش بضرورة إحياء فكرة « **الجامعة الإسلامية** » التي حاربها الاستعمار وأعوانه وفرض علينا الفكرة القومية . إلى غير ذلك من الخواطر التي تدور في ذهن القارئ بكتاب « **الإسلام بين الشرق والغرب** » .

وتتلخص خواطرنا في القضايا الآتية :

☜ رفض التسليم بصحّة الرواية الرسمية المعلنة بواسطة الحكومة الأمريكية عن أحداث سبتمبر ٢٠٠١ ، إذ شكك فيها الكثيرون من الباحثين

والصحفيين والمراقبين بأدلة مقنعة سنعرضها بموضوعية ، ومن ثم ندفع عن أنفسنا وديننا وأمتنا الاتهام بالإرهاب ، بل نعلن الفخر والاعتزاز بالانتماء للإسلام ، وسنثبت أن الغرب هو صانع الإرهاب وراعيه الأكبر .

☜ إيقاظ الوعي بما يراد بأمتنا وأوطاننا وأجيالنا القادمة ؛ أمر واجب لصد الحملات العدائية الإعلامية الهادفة لبث اليأس في النفوس باستخدام أساليب الكذب والتضليل والخداع .

☜ مقاومة الحرب النفسية بتحصين الرأي العام الإسلامي بما يجابه به حملات الدعاية والتشكيك في ثوابتنا ولصق صفة الإرهاب بالإسلام والمسلمين .

☜ استحضار الدروس المستفادة من واقعنا المعاصر المتمثلة في فشل المشروع القومي وضرورة الالتجاء إلى فكرة الجامعة الإسلامية التي توحد الأمة وتزيد من صلابتها وقوتها بحيث يصعب هزيمتها عن بكرة أبيها ، ومن ثَمَّ تطيش سهام أعدائها ، الحريصين على تجزئتها وتفتيتها لتحقيق أهدافهم .

☜ الاعتزاز بالانتماء للإسلام كما فعل علي بيجوفيتش إذ تتفوق حضارته بقيمها ومبادئها على حضارة العصر ، فهي حضارة إنسانية بمعنى الكلمة ، وسنقدم النماذج المؤيدة لذلك .

ولا مُنقَذ إلا بالثبات والمقاومة ، والعض بالنواجذ على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ .

* إيقاظ الوعي بالمخاطر التي تحيط بالأمة الإسلامية وتحصين العقل الإسلامي لمواجهة الحرب النفسية:

إن الضربات الدامية التي تصيب الأمة الإسلامية الآن ليست وليدة أحداث الحادي عشر من سبتمبر كما يتوهم بعض الناس، فإن الاطلاع على الدوافع الدينية والسياسية والاقتصادية توضح لنا أن الغرب حدد أهدافه منذ قرون، وربى الأجيال وسار في خطوات التنفيذ على مراحل، وهو الآن يخوض ما يظن أنها المعارك الأخيرة الفاصلة..

وإذا أردنا تأريخ العداء فإن بدايته منذ بعثة النبي ﷺ في القرن السابع الميلادي، وفي السنوات الأخيرة ظهرت النيات المضمرة التي تختبئ بدافع تحقيق المصالح وتحولت إلى واقع مرير لأن الغرب ضمن المضي في خططه بلا مقاومة من ضحاياه، وهم نحن المسلمين..

ومن يقرأ المصادر التي تتحدث عن علاقة الغرب بالشرق، ومعرفة بواطن حضارة الغرب، ونشأة الصهيونية والحروب الصليبية المصاحبة للغزو الاستعماري يدرك كيف كنا - شعوبًا وقادة - في غفلة عما يدور حولنا، وفوجئنا بسبب هذه الغفلة وعدم إدراك أبعادها بالمصائب تنزل على رؤوسنا بدءًا بإلغاء الخلافة، وهي بالنسبة لنا المعارك الأولى بعد الهزائم المتوالية في ٤٨ و٥٦ و٦٧ حيث أُخذنا على غرّة وبجهل تام بحقيقة الأعداء ونواياهم وخططهم [١].

---

(١) وربما اعتمدنا على الثقة الزائدة في النفس التي اكتسبناها من الانتصار في الحروب الصليبية، والشاهد على ذلك أن أهل مصر بزعامة محمد كريم لم يلقوا الاهتمام الكافي بالحملة الفرنسية بقيادة نابليون (إذ إنهم سوف يسحقون أولئك الإفرنج بسنابك خيولهم ويحصدون رؤوسهم ببوارق سيوفهم).

من كتاب «الحملة الفرنسية على مصر في ضوء مخطوط عثماني» بقلم عزت حسن أفندي الدارندلي - دراسة وترجمة جمال سعيد عبد الغني، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٩م.

=

و. ما كان من أخطاء القادة في بلادنا أنهم لم يعدّوا الأجيال للدخول في هذا الصراع المسلح الذي فرضه الغرب علينا بواسطة اسرائيل وهي القوة الضاربة له في عالمنا الإسلامي .

يقول د/ قاسم :

(... فإن العدو الصهيوني كان متأهبًا تمامًا لخوض الصراع على أسس عسكرية واقتصادية وثقافية ، وربما دلنا على صدق ما نذهب إليه إذا ما تذكرنا أن الفعل العسكري الصهيوني والتحرك السياسي والدبلوماسي النشط لإنشاء الكيان الصهيوني قد جاء بعد الإعداد والدراسة والتخطيط ، كانت الجوانب الثقافية في الصراع هي الأسبق من غيرها ، ولم تتحرك الصهيونية وحلفاؤها لإقامة اسرائيل إلا بعد التمهيد الثقافي والإعداد الاقتصادي لقيام الدولة)[(١)] .

(وقد استخدمت الصهيونية سلاح الثقافة لأنها هي التي سوف تحسم النزاع على المدى الطويل)[(٢)] .

نقلت « **السياسة الأسبوعية** » مقالات لمحمود عزمي عن العلاقات الاقتصادية بين مصر وفلسطين في ١/١/١٩٢٧م ، ورحب حسن صدقي الرجاني بما كتبه محمود عزمي وقال : إنه يشاطره الفكرة ، وإنه نادى بالوحدة المصرية الفلسطينية عقب دخول الإنكليز فلسطين ، فقوبل بالاستهزاء إلا قلة أيدته ، ويضيف الكاتب الفلسطيني أن الصهيونية كانت عند الاحتلال البريطاني لفلسطين في بدء نشاتها وحركتها (فكنا نقول لإخواننا لا خوف على فلسطين من الصهيونية إذا ألحقنا فلسطين بمصر ، إذ لو أتى الصهيونيون بمليون نسمة (وهو أمر غير ممكن) لما خشينا بأسهم بين أربعة عشر مليونًا ونصف مليون من أبناء مصر وفلسطين) .

ص (١٥٨) من كتاب « **هيكل والسياسة الأسبوعية** » للدكتور محمد سيد محمد ، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦م .

(١) ص (١٥١) من كتاب « **القراءة الصهيونية للتاريخ ـ الحروب الصليبية نموذجًا** » للدكتور قاسم عبده قاسم ـ كتاب الهلال يناير ٢٠٠٥م .

(٢) نفسه ص (١٦٨) ، ولا شك أن سلاح الثقافة يشمل الدين والأدب والفلسفة والفن والتاريخ واللغة .

فمن المسؤول عن هذه الغفلة ؟

أهي حكوماتنا أم ساساتنا أم أجهزة إعلامنا أم جهل شعوبنا ، أم السيطرة المحكمة للاستعمار الغربي على أمتنا ثقافيًا وسياسيًا وتربويًا وإعلاميًا [(١)] :

لقد خدرونا بشعار « العلمانية » وخدعونا بترديد فصل الدين عن الدولة في دول الغرب ، بل فصل الدين عن الحياة كلها السياسية والثقافية والأدبية والاجتماعية والتربوية ، وكان هذا الشعار الذي أريد لنا تطبيق مضمونه في مجتمعنا هو أقوى الشعارات نفوذًا في حياتنا إذ نجح الغرب في تخريج أجيال تربت على هذا « المخدر » الذي غيّب الكثيرين ، وعندما أفقنا على أزيز الطائرات وأصوات المدافع والقنابل ودك المدن وحملات الإبادة للمسلمين مع العداء المستحكم الذي أخذ ينفث سمومه بأقلام كتابهم وتصريحات ساستهم وزعمائهم التي أعلنوها جهارًا بلا خوف أو خجل .

وصوّر لنا الإعلام منذ عام ١٩٤٨م أن اسرائيل دولة « مزعومة » ومن السهل القضاء عليها لأنها تجمع بعض الشَّراذِم من اليهود وأغفل ارتباطها العقائدي بالولايات المتحدة الأمريكية وأنها مؤيدة منها ومن دول الغرب تأييدًا دينيًا .

ومع الأسف كانت القضايا التي عالجتها المجلات الثقافية حينذاك تنحصر في معارك أدبية وسياسية داخلية أو خارجية لمقاومة الاستعمار وصراع بين

---

(١) وكان نظام التعليم في مصر خاضع لإشراف الإنجليز (وكانت وزارة المعارف قد كلفت كلًا من مستر كلاباريد ومستر مان في عهد حكومة دولة محمد محمود باشا فحص نظم التعليم في مصر) ، ص (٢٢٠) من كتاب « هيكل والسياسة الأسبوعية » للدكتور محمد سيد محمد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦م .

الأحزاب على كراسي الحكم [١] .

ولم تصدر البحوث والمقالات والكتب للتعريف بالعدو إلا عقب هزيمة الجيوش العربية عام ١٩٤٨م وقيام إسرائيل ، حينذاك رُفع شعار « اعرف عدوك » وكنا غافلين عن حقيقته تمامًا ، معلوماتنا عنه ناقصة وخاطئة ، واستهترنا به عن غرور قاتل .

(١) أنموذج ص (٢٠١) من كتاب « هيكل والسياسة الأسبوعية » د/ محمد سيد محمد ، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦م .

ولكن (مع تطور الأحداث في فلسطين ترتفع حرارة المقالات المتعلقة بحقوق عرب فلسطين والدفاع عنهم ضد الاحتلال الإنجليزي والنفوذ الصهيوني) ، ص (٢٠٢) نفسه وص (٢٠٣) « المقالات الخاصة بفلسطين » .



الفصل الأول

❊ مختصر كتاب علي عزّت بيجوفيتش :

[الإسلام بين الشرق والغرب] [1]

(١) صدرت الطبعة الأولى في رجب ١٤١٤هـ يناير ١٩٩٤م ، ترجمة محمد يوسف عدس للنسخة الإنكليزية ، ط. دار الشروق بالقاهرة ، ومؤسسة بافاريا للنشر والإعلام والخدمات بألمانيا .

❊ مختصر كتاب علي عزت بيجوفيتش :

[الإسـلام بين الشرق والغرب] (١)

سبق أن قلنا بكتاب « **الفكر الإسلامي في مواجهة الغزو الثقافي في العصر الحديث** » :

سنعرض في هذا الفصل لبعض قضايا كتاب « **الإسلام بين الشرق والغرب** » للرئيس علي عزّت بيجوفيتش ، وهذا أفضل ما يقع عليه الاختيار لدراسته كنموذج للفكر الإسلامي بمستواه الرفيع المتفوق على الفلسفات والأيدولوجيات البشرية ، والقادر على مواجهتها إذ كان مؤلفه حريصًا على حل مشكلة العالم الموزع بين الكتلتين الشرقية والغربية حينذاك ، وحتى بعد انهيار الاتحاد السوفيتي تبقى قيمة الكتاب في الموازنة بين التعارض الحاد بين النظريتين الدينية (النصرانية) والمادية في العالم الغربي ، وهو يتقدم بالفكر الإسلامي إسهامًا في إيجاد الحل ، كما لم ينس أيضًا الحال المتدهورة للعالم الإسلامي واقتراح ما يراه للنهوض به مرة أخرى .

ولابد لآراء بيجوفيتش واقتراحاته البنّاءة أن تأخذ مكانتها في دائرة الفكر الإسلامي الحديث للدارسين والدعاة وحملة الأقلام والساسة ، لأنها وليدة ذخيرة علمية وفيرة حصَّلها من دراسته الجامعية ، واستمدها من خبرته بالعمل في المحاماة ، مع قراءات مكثفة في علوم ومعارف مختلفة ، وأيضًا خبرته السياسية التي اكتسبها من نظرات نقدية للفلسفة المادية والنظام الشيوعي الذي أخضع

---

(١) أَلقَيتُ هذا البحث في ندوة بعنوان « **قراءة في كتاب الإسلام بين الشرق والغرب لعلي عزت بيجوفيتش** » بمركز الدراسات والبحوث الإسلامية ـ كلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة ، يوم ٣٠/ ٤/ ١٩٩٥م . كما نشر بكتاب « **الفكر الإسلامي في مواجهة الغزو الثقافي** » من ص (١١٣-١٣١) ، ط. دار الدعوة بالإسكندرية ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .

بأدلة دينية وأخلاقية وتاريخية وواضحًا في عرضه للفكر الإسلامي الجامع بين جناحيه لثنائية الروح والمادة .

وسنلخص مادة البحث في النقاط الآتية :

- كلمات عن المؤلف .
- حضارة الغرب في ضوء التفسير التاريخي .
- واقع العالم الإسلامي وانتشاله من التردي الحالي .
- انحدار المستوى الإنساني (الإنسان المبرمج) .
- أصل الإنسان .
- نحو الطريق الثالث في ضوء التجارب البشرية .

****

- كلمات عن المؤلف :

اسم المؤلف : علي عزّت بيجوفيتش ، ولد سنة ١٩٢٥م ، درس القانون والآداب والعلوم ، وكان من أعضاء حركة الشبان المسلمين ، حكم عليه بالسجن خمس سنوات ، أول كتاب له صدر بعنوان « الإعلان - أو البيان الإسلامي » ، بدأ في نشره على حلقات ١٩٧٠م ثم عكف على الكتاب الذي بين أيدينا .

حوكم في أغسطس ١٩٨٣م محاكمة سريعة شبه سرية بسبب كتابه الأول بتهمة الدعوة إلى الجهاد المقدس وإقامة دولة إسلامية في قلب أوروبا ، حكم عليه

بالسجن مع أحد عشر من زملائه أربعة عشر عامًا ، وعندئذ لم يستطع إنهاء كتابه « الإسلام بين الشرق والغرب » وكان قد أوشك على ذلك ، ولكن استطاع صديقه حسن قرش تهريب أصول الكتاب إلى كندا سنة ١٩٨٣ م ، ونشر بأمريكا عام ١٩٨٤ م ، ثم أُعيد طبعه ١٩٨٩ م ، وهو أشهر من أن نعرّفه ، ولكن مما يتصل بموضوع بحثنا إبراز بعض الوقائع التي تفسر لنا الكثير من النصوص ، تساعد على فهم ما بين السطور ، أو ـ حسب مصطلحه ـ الحياة الجوّانية .

لقد استمد ثقافته العلمية والقانونية من الجامعة ، أما العلوم الدينية فقد تلقاها على يد شيخه العالم المحدِّث محمد خانجي ((والذي تخرّج في جامع الأزهر قبل الحرب العالمية الثانية وهو مؤسس جمعية العلماء « الهداية » ، والتي كان لها الأثر الأكبر في توعية المسلمين ... قتله الشيوعيون عام ١٩٤٦م أثناء عملية توفي في إثرها في ظروف غامضة))[(١)] ..

أما « البيان الإسلامي » الذي كان سبب محاكمته وهو الذي يتضمن نهجه في إقامة الدولة الإسلامية ، فإنه يحتوي على مقدمة وثلاثة أبواب ، محددًا المنهج بأنه واحد للإمام المسلم والشعب المسلم ومبيّنًا الهدف بأنه عودة المسلمين إلى إسلامهم تحت شعار الإيمان والجهاد .

ولا ينحصر الهدف في بلده وحدها ـ ولو فعل ذلك لكان معذورًا ـ بل يذهب إلى ضرورة إقامة مجتمع إسلامي موحد من المغرب إلى أندونيسيا ، ويوجه نداءه إلى المسلمين قاطبة بقوله : (قد يبدو الهدف الذي نصبو إليه بعيد

---

(١) من مقال بعنوان « بدء وتشكيل إدارة المسلمين الدينية المعاصرة في الدول اليوغسلافية » بقلم كارتيتش ، منشورة بكتاب « البوسنة والهرسك ـ قصة شعب مسلم يواجه العدوان » ، وكالة الأنباء الإسلامية ، ط . دار الاعتصام ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م ، ص (٧٢) ..

المنال لكنه واقعي وحقيقة ، لأنه بحد ذاته يقع ضمن البعد الممكن التحقق ، على النقيض من الأفكار المماثلة غير الإسلامية التي هي طوباوية وخيالية ، ورغم ذلك يجري العمل لتحقيقها) ، وهو يقدح بذلك في النظام الشيوعي الذي اعتبره طوباويا وألحقه بجمهورية **أفلاطون** الخيالية كما نص على ذلك بكتابه « **الإسلام بين الشرق والغرب** »[(١)] .

❑ حضارة الغرب في ضوء التفسير التاريخي :

إن قضية القلق على الحضارة الغربية والإشفاق من تدهورها ومحاولات وضع خطط لإنقاذها ، هذه القضية ليست بنت الساعة ولكنها تفجرت منذ ظهور كتاب إدوارد جيبون « **قيام الدولة الرومانية وسقوطها** » إذ رأى أن الفترات السعيدة ـ أو الذهبية ـ في تاريخ الإنسانية قليلة بل نادرة والسبب الأكبر في الفساد يكمن في ضعف الإنسان وما ركّب في طبعه من الرذائل . وقال إن الدول ـ كبيرها وصغيرها ـ إذا قامت وبلغت أوجها عادت فسقطت في وقت محسوب ، واعتبر جيبون بذلك متشائمًا ، وقد ترك كتابه أثرًا في قرائه لما يثيره

---

(١) نشر الدكتور محمد حرب ، « **مقتطفات من البيان نقلًا عن جريدة الحياة الدولية العربية التي تصدر في لندن** » ، في عددها ١٠٨١٢ ، ١٦ سبتمبر ١٩٩٢م ـ ربيع الأول ١٤١٣هـ .

ينظر كتاب « **البوسنة والهرسك من الفتح إلى الكارثة** » ، ص (٨٦ – ١٠٠) ، ط. المركز المصري للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي بالقاهرة ، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م .

جاء في تعليق مجلة « **منبر الشرق** » ، رجب ١٤١٤هـ – يناير ١٩٩٤م على البيان ما يلي :

ويلاحظ أن البيان الإسلامي الذي كتبه علي عزت سنة ١٩٧٠م قد حلل أوضاع المسلمين في العالم عمومًا ، ووضع التصور لأسباب تخلفهم وطرق الخروج إلى الوحدة والنهضة .

وأن هذا البيان لم يكن خاصًا بيوغوسلافيا أو البلقان أو البوسنة والهرسك فقط ، وهكذا فإن علي عزت بيجوفيتش ليس مفكرًا قوميًا أو محليًا ، بل مفكر أمميّ إسلاميّ من الطراز الأول .

في النفوس من غرور الأباطرة وما أنزلوه بأهل البلاد المفتوحة من أذى وظلم ، ويجعل الإنسان يشعر شعورًا عميقًا بأن الإنسانية مريضة حقًا أو أنها في حاجة إلى علاج ، وأن هذا العلاج إنما هو في الصدق والعقل والإيمان فهل نعد جيبون ممن يرون أن العلاج في الدين ؟

ربما يميل الدكتور حسين مؤنس لهذا الرأي إذ يحكم إلى جيبون بأنه رغم حرية فكره وما أبداه من آراء من الكنيسة ورجالها ، فقد كان كاثوليكيًا عميق الإيمان [(١)] .

وجاء كتاب « انحدار الغرب » لشبنجلر بمثابة إنذار ألقى في القلوب الرعب لأنه تنبأ بنهاية الحضارة الوشيك ، وبنى رأيه على فكرة العمر الزمني لكل حضارة ، محددًا إياه بألف سنة ، كما يقدر عمر الإنسان بسبعين سنة ، ولذلك فالقرنان التاسع عشر والعشرون اللذان يعتبران إلى وقت تأليف كتابه أعلى نقطة في خط صاعد مستقيم في تاريخ العالم إنما هو في الحقيقة مرحلة من مراحل الحياة يمكن ملاحظتها في تاريخ أي حضارة بلغت نضجها ثم لا مفر من النهاية . فإذا كانت حضارة الغرب حسب تحديده قد بدأت في القرن العاشر الميلادي ، فقد انقضى معظم عمرها في القرن التاسع عشر ، مؤكدًا حتمية تدهورها وهلاكها المرتقب في المستقبل المنظور ، ويبدو أن بعض معاصريه حاولوا التخفيف من توقعاته بالتشبث بالعقل لأنه أساس كل تقدم وإنشاء وابتكار ، ولكنه لم يشاركهم هذا الرأي ، بل كان يرى أن هذا العقل نفسه هو الذي يقود حضارة الغرب كلها إلى الدمار [(٢)] وشاركه آخرون بل ذهبوا إلى أَنَّ الإنسان لا يقنع بالعقل في كل حالٍ ،

---

(١) للدكتور حسين مؤنس ، عالم المعرفة ـ الكويت ، محرم ١٣٩٨هـ - يناير ١٩٧٨م .

(٢) نفسه ، ص (٣٤٦- ٣٤٧) .

وإنما لابد من التخويف واستعمال العنف لإحداث أي تحول اجتماعي واسع المدى ، وكان لينين ممن تأثروا بهذا الرأي .

أما توينبي ـ صاحب أشمل دراسة تاريخية للحضارات صاغها في قالب نظريات أو قوانين ـ فقد أزعجته أيضًا آراء شبنجلر وأخذ في الدراسة واقترح الحلول ، وفي مقدمتها الحل الديني .

ومن رأيه أنه ربما يقع طريق النجاة في السياسة بتحقيق حكومة عالمية مركزية أو تحقيق المشروعات الفردية في الاقتصاد ، ولكن ينبغي في الحياة الروحانية أن نقيم البناء الدنيوي الخارجي على أسس من الدين ، وليس من شك في أن الهدف الديني من بين الأهداف الثلاثة أهمها جميعًا في النهاية [١] .

ويشرح الدكتور حسين مؤنس موقف توينبي من الدين فيبين أن إيمانه قليل بقدرة العقل وشكه أنه كفيل بتوجيه الإنسان في الطريق السليم ، ويميل في تفسيره للتاريخ إلى الإيمان بالله القادر المصرّف للأمور ، أي أنه يرى أن الإيمان بأن أمور هذه الدنيا بين يدي خالق مدبّر ، يضع الإنسانية في الطريق السليم [٢] .

وبين هذه النظريات التي ترى الإنقاذ في الحل الديني ، أين نضع نظرية بيجوفيتش ؟

أثبت أولًا اضطراب التفسيرات المادية للتاريخ إذ من السخرية ظهور الحركات الشيوعية نفسها بطريقة ضد النظرية المادية إذ لم تحدث الانقلابات الشيوعية حيث ينبغي أن تحدث ـ أي في المجتمعات الصناعية ـ ولم تنجح

---

(١) أدرين كوخ : « آراء في أزمة العصر » ، ص (٩٠ ـ ٩١) ، مكتبة الأنجلو المصرية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ـ نيويورك ، ترجمة محمود محمد ، القاهرة ١٩٦٣م .

(٢) « الحضارة » ص (٣٥٥) .

الحركات الشيوعية بسبب ظروف موضوعية ، بل بسبب عناصر شخصية ـ أي ظهور حزب شيوعي قوي أو بتدخل من قوة أجنبية [١] ! .

ويرى أيضًا أن التأثير الإنساني على مجرى التاريخ يتوقف على قوة الإرادة والوعي ، وكلما عظمت القوة الروحية للمشاركة في الأحداث التاريخية ، كلما عظم الاستقلال عن القوانين الخارجية والعكس صحيح :

إن هذه النظرية الإسلامية ترفض الحتمية التاريخية كما ترفض أي مثالية فارغة لا جذور لها في الواقع [٢] .

◻ واقع العالم الإسلامي وانتشاله من التردي الحالي :

وتتضح نظرته المتفائلة بالرغم من الصعوبات التي تواجهها الأمة الإسلامية حتى لا تستسلم للواقع ، لأن الإسلام يجتهد في تنظيم العالم عن طريق التنشئة والتعليم والقوانين التي شرّعها ، ومع مراعاة الأوضاع التي ننغمس فيها مهما كانت ، فعلينا تغييرها وبذل الجهد لتحسين كل شيء في هذا العالم بقدر استطاعتنا ، وفي الوقت نفسه الاعتراف بالقَدَر لأنه اعتراف بالحياة على ما هي عليه .

وتتضح نظرته الإسلامية المرتبطة بالوقع عندما يعلل هزائم الأمة في العصر الحاضر ، فيرجعها إلى تفتيت وحدة الأمة بفكرة القومية وهي فكرة دخيلة أجنبية ، وبُعد المسلمين عن الإسلام وعدم الاستغلال الإسلامي الصحيح

---

(١) ص (٣٥٦) من كتابه « الإسلام بين الشرق والغرب » ، الناشران مجلة النور الكويتية - الكويت ، توزيع دار الشروق بالقاهرة ، مؤسسة بافاريا للنشر والإعلام والخدمات بألمانيا ، ترجمة محمد يوسف عدس للنسخة الإنجليزية ، رجب ١٤١٤هـ - يناير ١٩٩٤م .

(٢) ينظر البيان الإسلامي بكتاب « البوسنة والهرسك من الفتح إلى الكارثة » للدكتور محمد حرب ، وهو يتضمن خطة عمل ورؤية سياسية شاملة للعالم الإسلامي بواقعه الحالي . أخذًا بيده إلى المستقبل الأفضل .

للقدرات الإسلامية في البلدان الإسلامية ، ثم يوضح الطريق الصحيح للانبعاث الإسلامي الذي يشترط له أمرين :

الأول : تنفيذ قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد : ١١] .

الثاني : اتباع النموذج القانوني الاجتماعي الإسلامي في تجربة الإسلام الأولى ، وكفاح الرسول ﷺ .

أجل لقد كانت الحياة الإسلامية مجسّدة في حياة النبي ﷺ ، فبرهن على أن الإسلام وحده طبيعية : من الحب والقوة ، المتسامي والواقعي ، الروحي والبشري .

هذا المركّب المتفجر حيوية من الدين والسياسة يبث قوة هائلة في حياة الشعوب التي احتضنت الإسلام في لحظة واحدة يتطابق بُعد الإسلام مع جوهر الحياة [١] .

ويرى أن الصحوة الدينية أساس التقدم في العالم الإسلامي [٢] .

❑ **انحدار المستوى الإنساني « الإنسان المبرمج »** :

وضع المؤلف الفاضل أمامنا صورًا تدعو إلى التفاؤل بمستقبل الإنسان مسجلًا الخطوات التي خطاها العلماء التي تبشر بمستقبل زاهر ، منها ما ذهب إليه « جان روستاند » من إمكان استخدام مواد وراثية من أناس بالغي الذكاء ، وإذا نجح العلماء في إنتاج أناس بطريقة صناعية ، فإن احتمالات جديدة لا حدود لها ستظهر في حياتنا بحيث يستطيع كل إنسان أن يحصل على طفل مصمم وفق رغبته !

---

(١) « الإسلام بين الشرق والغرب » ص (٣٤) .

(٢) نفس المصدر ص (٣٧٣) .

وبتحليل الإحصائيات عن إمكان تقليل ساعات النوم وتقصير أسبوع العمل إلى ٣٠ ساعة ، وتخفيض العمل السنوي إلى تسعة أشهر فقط ، والزيادة المستمرة في سلع الرفاهية ومواد الزينة ... إلخ

بعد هذه الرؤية المتفائلة يصح التساؤل : هل يعني أن الحياة ستكون أسعد وأكثر إنسانية ؟

وتأتي الإجابة بالنفي ، بل بنتائج مزعجة ومثيرة للخوف والقلق ، إذ تبين أن عدد الجرائم آخذ في الازدياد في القارة الأمريكية والبلاد الأوربية مما جعل علماء الجريمة في المؤتمر الدولي السابع يعترفون بأن (كوكبنا هذا هو محيط من الجانحين ، فالناس جميعًا بشكل أو بآخر ، لديهم نزعة الجنوح وأنه لا يوجد أمامنا مخرج من هذه الكارثة)[(١)] .

أضف إلى ذلك مشكلة إدمان الكحول والهروين والغزو البشع للأدب الإباحي الذي فسّره طبيب النفس الفرنسي الشهير « بلاتشاور » بأنه سبب الأيدولوجية المسيطرة التي تكبت الشخصية وفق حياة آلية (نوم ـ إفطار ـ عمل) ، فتحرم الإنسان من الخبرة والإثارة الحقيقيين فيحتاج الناس غريزيًا إلى الهرب من أنفسهم ليجربوا أنواعًا من الإثارة الرخيصة[(٢)] .

وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية ظهر جيل يائس من الشباب يملك كل شيء ولكن يعوزه كل شيء ، الوجوديون هم الجيل المهزوم ، وقام الكاتب الأمريكي « آرثر ميللر » بتحليل هذه المشكلة بأنها نتائج التكنولوجية التي دمّرت

---

(١) « الإسلام بين الشرق والغرب » .

(٢) نفسه ص (١١٩ - ١٢٠) .

الإنسان كقيمة في ذاته إذا اندثرت الروح وتلاشت[(١)].

وهناك ظاهرة أخرى مدمرة إذ نرى في جميع الدول المتحضرة ركودًا وانخفاضًا في نسبة المواليد، راجعًا إلى وضع الأمهات أو الرغبة في الانطلاق في حياة إنسانية بدون التزامات، وهي نتيجة مباشرة لغياب التوجيهات الدينية والثقافية [(٢)].

◻ أصل الإنسان:

يقرر مؤلف الكتاب أن قضية أصل الإنسان هي حجر الزاوية لكل أفكار العالم، والاختلاف الجذري بين الماديين وغيرهم، ووجه النقص في تعريف الماديين للإنسان هو اقتصارهم على النمو البيولوجي دون النمو الروحي، بينما الحقيقة الكامنة أن الإنسان ليس مجرد مجموع الوظائف البيولوجية المختلفة ويضرب الأمثلة التي تقرب المفاهيم الصحيحة عن الإنسان باعتباره جامعًا بين البدن والروح.

إن اللوحة الفنية لا يمكن تحليلها إلى كمية الألوان المستخدمة فيها، وإذا قارنا بين المسجد والمعسكر الحربي، فكلاهما مبني من أحجار وأملاط وأعمدة خشبية ولكن يبقى الكل منهما حقيقته الخاصة المخالفة للأخرى، كذلك القصيدة في الشعر فإنها تحتوي على كلمات قليلة من كلمات معجم ولكن المعجم يفتقر إلى حبكة القصيدة.

وإذا انتقلنا لعالم الإنسان والعلوم التي تحاول معرفة حقيقته كعلم الحفريات وعلم هيئة الإنسان وعلم النفس، فهي كلها تصف الجانب الخارجي الآلي من

---

(١) «الإسلام بين الشرق والغرب» ص (١٢١).

(٢) نفسه ص (٢٦٣).

الإنسان الذي لا معنى له ، ولكن الإنسان مثله كمثل اللوحة والمسجد والقصيدة أكثر من مجرد كمية نوعية المادة التي تكونه .

إن التصور يصدق فقط بالنسبة لتاريخ الإنسان البشري الخارجي ، ولا يصدق في معرفة حقيقة الإنسان .

وعندئذ يستند المؤلف الفاضل إلى الصور المتعددة للتضحيات البشرية في التاريخ كما سجلها ويلز في كتابه « **مختصر تاريخ العالم** » فإن التضحيات البشرية من سمات الإنسان ، فالمصلحة حيوانية أما التضحية فهي إنسانية ، المصلحة إحدى الأفكار الأساسية في السياسة والاقتصاد السياسي ، أما التضحية فهي أحد المبادئ الرئيسية في الدين والأخلاق .

ومن الخطأ أيضًا الزعم بأن الإنسان ينفرد بالذكاء ، فقد جمعت مادة علمية غزيرة عن كيف أن النحل والأوز والقرود تستقبل وترسل معلومات مختلفة من خلال الحوار أو التمثيل الحركي .

ويرى بيجوفيتش أن الفرق الحاسم بين الإنسان والحيوان ليس شيئًا جسميًا ولا عقليًا ، إنه فوق كل شيء ، إنه أمر روحي يكشف عن نفسه ، عن وجود ضمير ديني أو أخلاقي أو فني ، والإنسان وحده دائم التعبير عن مخاوفه وإحباطاته من خلال الدين لماذا ؟ ومن أي شيء يبحث الإنسان عن الخلاص ؟

بينما في أكثر الحيوانات تطوّرًا لا نستطيع أن نجد أدنى أثر لعبادات أو محرّمات بينما نجد أن الإنسان حيثما ظهر يظهر معه الدين والفن .

كذلك فإن ظاهرة الحياة الجوّانية أو التطلع إلى السماء ـ وهي ظاهرة ملازمة للإنسان غريبة عن الحيوان ـ هذه الظاهرة تظل مستعصية على أي تفسير منطقي ، ويبدو أنها نزلت من السماء (نزولًا حرفيًا) ولأنها ليست نتاجًا للتطور

فإنما تقف متعالية عنه ، مفارقة له ، إن نظرية التطور لم تستطع أن تفسر بطريقة مقنعة ظهور التدين في الحياة البشرية ، كما أن الحيوانات ليست لديها فكرة عن المقدس أو الشر وإنها لا تعلم شيئًا عن الجمال .

كذلك فإن اختلاف الإنسان عن الحيوان يشاهد أيضًا في تمرد الإنسان ، فالحيوان لا يتمرد على مصيره الحيواني ، الإنسان وحده هو الذي يتمرد وهذا التمرد في جوهره إنساني .

لذلك كله فإن يمكن تشبيه إنسان « دارون » ذو البعد الواحد الذي يكافح من أجل البقاء ، إشباع حاجته من أجل عالم وظيفي ، يمكن تشبيهه بعالم « نيوتن » في الكون [١] ، لكن أينشتين هدم « وهم » نيوتن ، كما أن الفلسفة التشاؤمية وإخفاق الحضارة يفعل نفسه بصورة الإنسان الداروني ، لقد انحدرت الإنسانية نتيجة التطور المادي للإنسان ولم ترق .

وبتواضع جم ، يصرح المؤلف أنه ليس من علماء البيولوجيا ، ولهذا فإنه يتحفنا باقتباسات من كتبهم التي تصرّح بالحيرة البالغة أمام ظواهر الحياة ، إذ يقول أحدهم حتى الآن ، لا نعرف على وجه التحديد ماهية الحياة ، نحن لا نستطيع حتى أن نقدم تعريفًا كاملًا دقيقًا لظاهرة الحياة [٢] .

---

(١) سيطرت الميكانيكا التقليدية وناموس الجاذبية من وضع نيوتن في كتابه « **المبادئ** » زهاء قرنين من الزمن .. ثم تبين أن الفروض الأساسية فيها ليست صحيحة ، ونتائجها رغم ما يبدو عليها من الدقة تظل تقريبية ، ثم حلت محلها نظرية النسبية وانطلقت من فروق جديدة كل الجدة ، قد تلتقي نتائجها العامة مع الميكانيكا التقليدية في نطاق السرعات الضعيفة كسرعات السيارات والعربات ، ولكنها ما إن تتجاوز هذه النطاق حتى تتفوق عليها تفوقًا لا مثيل له عندما يتطلب الأمر أرقامًا كثيرة وذيولًا رياضية طويلة .. مثال ذلك كالأرض . فهي مسطحة إذا اقتصرنا على بقعة محددة منها ، ولكننا إذا نظرنا إليها ككل فهي كروية ، فالصورة الثانية أدق من الأولى ، والأولى تلتقي مع الثانية في نطاق المساحات المحددة .

(٢) « **الإسلام بين الشرق والغرب** » ص (٧١) وما بعدها .

ويقول عالم آخر : (إننا لا نستطيع أن نفسر الحياة من خلال معرفتنا الراهنة لعلمي الكيمياء والطبيعة) ، وبعد اقتباسات أخرى تدل على العجز عن اكتشاف القانون المنظم لحياة الإنسان النفسية ، والعجز عن الوصول إلى أسرار تنظيم أجسامنا من حيث تغذيتها وطاقتها العصبية والروحية ، ويقرر المؤلف أن الحياة معجزة أكثر منها ظاهرة ثم يفصِّل الحديث عن أعضاء الإنسان وأدائها لوظائفها ولم يخرج المؤلف عن طرق علمائنا السابقين في هذا السبيل الذي سلكه قبله أمثال الإمامين الغزالي وابن القيم في نظراتهم التشريحية للإنسان كآيات الله ﷻ ثم يطرح السؤال المناسب بعد العرض التفصيلي لهذه الآيات الباهرة التي يفسرها الدين بأنها من خلق الله ﷻ (أليست هذه أكبر خرافة غذت عقل الإنسان ، أن تطلب من شخص ما أن يتقبل عقله أن شيئًا على درجة من الكمال والتعقيد كعين الإنسان أو عقله قد وجُد بمحض الصدفة ؟ ...) ويقول :

(يشبه أن تطلب من شخص أن نقبل بأن الأساطير الإغريقية حقائق واقعة)[١] .

ومما يدحض زعم الصدفة أو الاحتمال قول العالم الروسي « بلاندين » : لو أن مليون معمل في الأرض عملت لبضعة ملايين من السنين في تركيب العناصر الكيماوية ، فإن احتمال خلق حياة في أنبوبة اختبار ستكون شيئًا نادرًا ... فالفرصة هي (١ إلى ١٣١٠) طبقًا لحساب هولدن[٢] .

ثم يعلق المؤلف بقوله : (هذا هو الأمر بالنسبة للتنظيم الذاتي لجزيء واحد من البروتين إذا قورن بكائن حي ، فإنه يشبه طوبة إذا قورنت بمبنى كامل)[٣]

(١) « الإسلام بين الشرق والغرب » .

(٢) « الإسلام بين الشرق والغرب » .

(٣) « الإسلام بين الشرق والغرب » .

وبعد ذلك ينتقل إلى مواجهة ازدواجية العالم الحي في التسلسل . إنه يواجه مرة أخرى التعارض نفسه الذي وجده بين الحيوان والإنسان ، ولكن على مستوى أقل درجة ، أي على مستوى المادة في مقابل الحياة ، ولأول وهلة يظن القارئ أنه موضوع جديد ، ولكن لا يلبث أن يكتشف اتصاله بما سبق ، لأنه يهدف للوصول إلى تأكيد فكرة الخلق [١] ، ويقدم الدليل على أن التطور لا يتقدم بطريقة كيمياء أو آلية كما ظن دارون .

ولهذا أسس بيجوفيتش اقتراحاته على إحلال حقيقة الإنسان بلحمه ودمه وروحه بدلًا من إنسان دارون ، والعناية بالتنشئة والتربية قبل التمرين والإعداد ، وتعديل نظم التعليم وفق أوليات حاجات الإنسان ، وإعلاء القيم الأخلاقية العالمية بدل المصلحية والنفعية .

وهذه الاقتراحات من شأنها ـ لو نفذت ـ منع الحضارة من التدهور .

❑ **نحو الطريق الثالث في ضوء التجارب البشرية :**

يرى بيجوفيتش أن أوروبا بَنَتْ أفكارها منذ العصور الوسطى في إطار الاختيارات النصرانية :

إما مملكة الرب وإما مملكة الأرض ، الدين أو العلم ، الكنيسة أو الدولة .

أما التوفيق بينهما فقد وجد حلًا عند فلاسفة الإنجليز فيما سماه « الطريق الثالث » بين طرفين متعارضين .

إنه يرى أن نجاح الفلسفة التجريبية في ذاته يحقق انتصار الفكرة الإسلامية

(١) « الإسلام بين الشرق والغرب » ص (٧٤) .

القائمة على التوفيق بين الروح والمادة أو بعبارة أخرى فإن التجارب البشرية في مجالي الفكر والواقع تعطي للإسلام دفعة تفوّق ظاهرة .

ويعلل منهج بيكون هذا بأنه كان تلميذًا مخلصًا للثقافة العربية الإسلامية إذ تأثر تأثرًا قويًا بالمفكرين المسلمين خاصة « ابن سينا » الذي اعتبره بيكون أعظم فيلسوف ظهر بعد أرسطو .

وما زالت إنجلترا مخلصة لهذا الوضع الفكري بدليل ما تميزت به شخصية « برنارد شو »[(١)] الذي كان يدعو إلى الاشتراكية وإلى الحرية الفردية في آن واحد .

وامتد أثر بيكون بمنهجه التوفيقي إلى عدد من المفكرين الإنجليز ، أمثال شافتسبري الذي وصف الأخلاق في حالة من التوازن بين الأنانية والغريزية وآمل في التوفيق بين الفرد والمجتمع ، كما أصبحت العلاقة الوثيقة بين الفلسفة والدين خصوصية من خصوصيات « مدينة كامبريدج » .

ومن أشهر أصحاب الطريق الوسط أيضًا آدم سميث الذي ألّف كتابين بينهما تناقض ظاهر لكنهما متكاملان من حيث المضمون .

أحدهما : نظرية المشاعر الأخلاقية ، **والثاني** : أسباب ثروة الأمم الذي يتناول الاقتصاد ويتخذ لفكرته الرئيسة مبدأ الأنانية .

---

(١) يصف برنارد شو حضارة الإسلام بترابط أجزائها وتماسك أطرافها تحمل في طياتها عقيدة ومع أن الإسلام ـ يقصد المسلمين ـ فقَدَ سيطرته على بعض الأشياء المادية ، لاسيما ما يتصل بالحرب ، ولم يلحق بالتقدم التكنولوجي الحديث ، إلا أنه بإمكانه تعويض ما فاته بتوجيه الخبرات إلى تحصيل العلوم الهندسية الجديدة . وفي المقابل ، فإن الحضارة الغربية ذات منزلة رفيعة في التقدم التكنولوجي ، ولكن فقدت التعاليم الروحية ، بينما لم يزل الإسلام يحافظ عليها .

« **الإسلام قوة الغد العالمية** » ص (٢٢٣) ، نقلًا عن مقال د/ محمد شامة بمجلة الأزهر ، جمادى الأول ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

ومما يزيل شبهة التناقض أيضًا أن « سميث » كان أستاذًا في جامعة « جلاسجو » يدرس الأخلاق والاقتصاد والسياسة كأجزاء من برنامج دراسي متكامل في الفلسفة .

ولم يخل أيضًا التطبيق للنظام الاشتراكي الإنجليزي من ظاهرة « الطريق الثالث » إذ ارتبطت الاشتراكية في أوروبا ارتباطًا وثيقًا بالفلسفة المادية الإلحادية بينما نسمع من منصة حزب العمال البريطاني مقتبسات من الكتاب المقدس مثلما نسمعها من منبر الكنيسة هناك .

جهاد المسلمين في مواجهة الماركسية :

ولم يكن الرئيس علي عزت بيجوفيتش الذي قام وحده بدرء الماركسية ، ثقافيًا وفلسفيًا وسياسيًا ـ وإن احتل المكانة الأولى ـ فإن هناك أيضًا أدباء وشعراء قاموا بالجهاد الثقافي لدرء فتنة الإلحاد الماركسي في بلاد آسيا الوسطى الإسلامية والبلقان معبرين بأعمالهم على عمق التدين في القلوب فاستحال انتزاعه بالرغم من كل ما لاقوه ! ، وقد جمع الدكتور محمد حرب بعض أعمالهم في كتابه « المسلمون في آسيا الوسطى والبلقان » .

ومن أروع النموذجات الدالة على روح الإسلام الخالدة ، قصة الكاتبة اليوغوسلافية الدكتورة / مليكة صالح بيكوفيتش الحاصلة على درجة الدكتوراة في الفلسفة من جامعة السوربون في فرنسا ، والتي انفردت عام ١٩٨٧م بلبس الحجاب من بين ثلاثة ملايين امرأة مسلمة في يوغوسلافيا ، وتعرَّضت للسجن ولأشد ألوان الاضطهاد حتى اضطرت الحكومة اليوغوسلافية أمام إصرارها

على موقفها وثباتها على الإيمان إلى إعطائها وابنها جواز سفر ، ووضعتها على أقرب طائرة لتهاجر بدينها [١] .

كذلك أدت الشعوب الإسلامية المقهورة دورها في المحافظة على عقائدها في أقسى ظروف عرفتها تاريخ البشرية ، بل لم يعرف لها مثيل من قبل ! وقامت الآن تبحث عن هويتها ، ففي مناطق الجمهوريات الخمس عارضت السلطات المعنية من قبل موسكو منادية بالإسلام ، وبوسع المسلمين مقاومة العولمة كما فعلوا مع الماركسية وبقيت على الأمة الإسلامية ـ حكومات وشعوبًا ـ واجبات نحو إخوانهم الذين وقعوا فريسة الدُّب الروسي أكثر من سبعين عامًا ، لإنقاذهم من صنوف جديدة من المحن الشديدة والمخاطر المتوقعة وتتمثل في :

١- المذهبية الإيرانية والعلمانية التركية [٢] .

٢- التنصير الذي انتهز دعاته فرصة تشتت شعب الأخسقا المطالبين بعودتهم إلى ديارهم في جورجيا [٣] ، أو الشعب الألباني الذي يعاني من الفقر والفاقة ، ولكن قام المفتي هناك ليصرِّح أمام أربع قوافل متطوعين من الفاتيكان ليصرّح بقوله : (إننا نموت جوعًا ولا نقبل أن يحدثنا الكفّار عن دينهم) [٤] .

ولا يفوتنا في زحمة هذه المآسي أن نذكِّر بشعب التركستان الذي سطر صفحات خالدة من الجهاد بدماء شهدائه ـ ولا يزال ـ للمحافظة على إسلامه ومقاومة

---

(١) « المسلمون في آسيا الوسطى والبلقان » (٢١٨-٢٢٠) ، د/ محمد حرب ، ط. المركز المصري للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي ، مدينة نصر القاهرة ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .

(٢) نفسه ص (٣٢) .

(٣) نفسه ص (١١٢) .

(٤) نفسه ص (٢٢) .

جور حكومات الصين الشيوعية التي تقتل المسلمين وتجرِّم الإسلام [١] .

إن على العالم الإسلامي واجبات ضرورية وملحّة نحو هذه الشعوب ، ومن اليسير تقديم العون لها ومساعدتها للعودة إلى هويتها الإسلامية والوقوف على قدميها ثقافيًا واقتصاديًا وسياسيًا وعالميًا ، وسيكون العائد مجزيًا ، ماديًا وأدبيًا لما تذخر به هذه البلاد من ثروات ضخمة ، وما يُعرف عن أهلها من البأس الشديد ، ولعل من منح الله تعالى للأمة الإسلامية ـ وهي في محنتها المعاصرة ـ أن يمدّها بمدد جديد ليقوي شوكتها ، ويسرع بخطاها نحو النصر .

إن هذه المساعدات ـ كما يحددها الدكتور محمد حرب ـ تتمثل في : (الدعاة ، محفظي القرآن الكريم ، مدرسي اللغة العربية ، افتتاح المدارس العربية ، افتتاح المدارس الإسلامية ، الكتب ، أساتذة متطوعين من مختلف التخصصات الإسلامية ، مشروعات تجارية ، استثمارات ، هبات ، أوقاف ، إذاعات موجَّهة ، أشرطة كاسيت وفيديو ، دعوات للزيارات المتبادلة ، إنشاءات ، منح طلابية واسعة ، منح في الجامعات العربية والإسلامية ، منح في الكليات العسكرية الإسلامية ، مطابع عربية ، ترجمات من العربية تشرح معاني الإسلام في مختلف الميادين ، إنشاء أقسام لدراسة هذه البلاد الجديدة دوليًا في مختلف الجامعات الإسلامية ، اهتمام الصحف العربية بنواحي الحياة في هذه البلدان ، تكوين رأيٍ عام عربي فيه من الوعي ما يدفع الشباب الصغار السن إلى تبني قضايا الإسلام في التكوين الإسلامي الدعوي في هذه المناطق) [٢] .

---

(١) نفسه ص (١٣٥) ، ص (١٧٤) .

(٢) نفسه ص (٣٠- ٣١) .



- أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م : ما الحقيقة ؟
- مسيرة الحروب الصليبية قبل ١١ سبتمبر .
- حقيقة المشروع الأمريكي للشرق الأوسط الكبير .

❁ أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م : ما الحقيقة ؟

خيّل إلينا أنّ العداء السافر للإسلام والمسلمين انفجر فجأة كانفجار الأبراج في أحداث سبتمبر ٢٠٠١م ، ولكن هذا مخالف لسنّة التاريخ وتعاقب حوادثه ، فإنه كالسلسلة التي تربط كل حلقة منها بالأخرى بطريقة محكمة ، فهناك علاقة وطيدة بين السابق واللاحق من وقائع التاريخ ، ونقصد بذلك أنه كانت هناك تغييرات عميقة في المجتمعات الغربية ـ أمريكا ودول الغرب التي تدين بالمذهب البروتستانتي ـ كانت تعمل في صمت حتى اكتملت برامجها وأهدافها ، وجاءت أحداث ١١ سبتمبر إيذانًا بالانطلاق وكأنها حان وقت التنفيذ استغلالًا لحالة التعاطف في الرأي العام الأوروبي مع ضحايا الانفجارات حتى رفعوا شعار « كلنا أمريكا » .

واتهمت الولايات المتحدة الأمريكية شبكة « القاعدة » بأفغانستان بأنها المسؤولة عن هدم برجي مركز التجارة العالمي في نيويورك بلا دليل واضح يؤيد هذا [١] .

وعندما شنت أمريكا الحرب على أفغانستان وسقط المئات قتلى ومصابين وتفاقمت المشاكل المعيشية والإنسانية ، تراجع الاهتمام بالسؤال « **من الذي فعلها** » ؟ إلى محاولة إنقاذ أرواح الشعب الأفغاني من القذائف الأمريكية ، فإن هذه القذائف لم تصل إلى أسامة بن لادن وزملائه (وفي مثل هذه الأجواء لم يعد ثمّة

(١) د/ وحيد عبد المجيد ، « الإرهاب وأمريكا والإسلام ـ من يطفئ النار ؟ » ص (١٩٨) ، مكتبة الأسرة ٢٠٠٤م .

ما يُسَوِّغُ أمر الانشغال بالفاعل ، وهل هو ابن لادن أم « الموساد » الإسرائيلي الذي رأى بعضهم أنه فعلها ليلصقها بالعرب والمسلمين ، أم منظمة أمريكية متطرفة كتلك التي نفذت عملية تفجير المبنى الفيدرالي في أوكلاهوما في العام ١٩٩٥ ، أم مجموعة من الصرب اليوغوسلاف انتقامًا لحرب كوسوفا واعتقال زعيمهم ميلوسوفيتش ومحاكمته ، وهذا الرأي الأخير انفرد به الكاتب المصري محمد حسنين هيكل في مجلة « وجهات نظر » في عددها لشهر أكتوبر ٢٠٠١)[١] .

الطعن في الرواية الرسمية الشائعة :

ذاع التفسير الرسمي لأحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م في الولايات المتحدة الأمريكية ، واستخدمته تَسْوِيغًا لغزو أفغانستان ٢٠٠١م ثم العراق ٢٠٠٣م حيث كان الاتهام موجهًا لبعضة أفراد من الشباب المسلمين بأوامر من ابن لادن ، وأعلنها رئيس أمريكا في التو (حربًا صليبية) وانضمت إليه أوروبا في عصبية جامحة ورفعت شعار (كلنا أمريكا) ..

---

(١) نفسه ص (١٩٩) .

وقد توالى ظهور كثير من المؤلفات والبحوث والدراسات تطعن في الرواية الرسمية لأحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م (*) ، وكلها تستند إلى أدلة وبراهين بحيث تجعل القارئ أكثر اقتناعًا بافتعال هذه الأحداث افتعالًا لتبرير ما استبعها من حروب وإجراءات لتضييق الخناق على المسلمين بمصادرة أموالهم والقبض على بعضهم بغير جرائم اقترفوها وكبت حرياتهم تحت شعار محاربة الإرهاب ، وهو الاسم الحركي للمقصود وهو الإسلام .

(*) يقول الدكتور جلال أمين : (وبينما يشكك كتاب فرنسيون وألمان في القصة كلها ، وقال بعض القانونيين الإنجليز أن ما يُقدَّم على أنه أدلة ضد هؤلاء السعوديين والمصريين التسعة عشر ، هي من الضعف بحيث لا تكفي حتى لتقديمهم للمحاكمة ، ناهيك عن إدانتهم) .

كتابه « عصر التشهير بالعرب والمسلمين » ص (٧٥) ، دار الشروق ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م ، ويرى أن جزءًا كبيرًا مما تقوله وسائل الإعلام يتعارض تعارضًا صارخًا مع المنطق السليم . (ص ٣٧ نفسه) .

ودارت عجلة الإعلام الغربية الجهنمية للنيل من الإسلام والمسلمين ، وإلقاء كافة التهم جزافًا بلا دليل ، فوُصف بالإرهاب ، والنازية ... إلخ ..

ثم جاءت الفكرة بعد السكرة ، لأن عقلاء القوم تدبّروا الرواية الرسمية الذائعة ، ووضعها الكثير من الباحثين تحت المجهر لأنهم لم يقتنعوا بظاهرها ، وأخذ الكثير من العلماء والصحفيين والدارسين يطعنون في صدقها ويشككون في وقائعها بادلة منطقية لا تقبل الطعن .

والمطاعن الموجهة إلى الرواية الشائعة تدور حول أمور ، لعل أهمها ثلاثة :

١- إن خطة غزو أفغانستان والعراق كانت معدّة قبل أحداث سبتمبر واتخذت منها ذريعة للتنفيذ لأنها جمعت الشعب الأمريكي كله وراء حكومته بدافع الانتقام بشكل عاطفي محموم ، لا يقف في طريقه معارض وإلا اتهم بالخيانة وعدم الوطنية .

٢- كانت العقائد الدينية التي يعتنقها المسيحيون الصهيونيون هي أقوى الدوافع لهذا الغزو صاحبها دافع السيطرة على منابع البترول والتحّكم في منابعه بالشرق ، وهو المصدر الرئيسي لقوة الحضارة الغربية التكنولوجية .

٣- تتضمّن الرواية الرسمية ثغرات كثيرة ـ كما سيأتي تقوضها من أساسها ـ فدفعت الدارسين إلى استبعادها ، وتصوير الأحداث بطريقة مخالفة تمامًا مع تحديد المسئولين الحقيقيين ، وقد قدّموا تصورًا بديلًا أكثر إقناعًا من الرواية الرسمية للحكومة الأمريكية .

يقول الدكتور محمود خلف الخبير الاستراتيجي المصري :

(إن ما تقوم به الولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة ليس وليد اليوم

إنما هو خطط موضوعة منذ ١٩٨٠م مع إنشاء قوات الانتشار السريع ، منذ عام ١٩٩١م) [١] .

كذلك كان جارودي من الباحثين بدراية وعمق لأسرار ١١ سبتمبر ٢٠٠١م بكتابه « الإرهاب الغربي » وخلص إلى وصفها بأنها خيانة عظمى ، ومؤامرة ، كما رأى أنها ليست المرة الأولى التي تنظم المخابرات المركزية الأمريكية وعسكريون في مناصب عليا ومسؤولون سياسيون مثل هذه الإثارة لإجبار الشعب على القبول بفكرة ضرورة القيام بحرب إبادة [٢] .

ثم يقول : (وهكذا يتضح مدلول الحادي عشر من سبتمبر ، فهو ليس تعبيرًا عن المواجهة بين الإسلام والمسيحية ، ولا بين الشرق والغرب ، ولكن هذا ما يريد المتآمرون الأمريكيون أن يقودوا القرن الواحد والعشرين إليه وفقًا لنظريّة هنتنجتون) [٣] .

---

(١) « الأهرام العربي » ١٩ رمضان ١٤٢٧هـ - ٧ أكتوبر ٢٠٠٦م .

.. وينفذه الآن جورج بوش الابن بزعامته للمحافظين الجدد ورؤيتهم اليمينية والدينية وتبنيهم مصطلح الصهيونية المسيحية .. إن الحرب الحالية هي عقائدية وتسمى « خطة الرب » .

(٢) روجيه جارودي « الإرهاب الغربي » ج١ ، ص (٩) ، تعريب د/ داليا الطوخي ، د/ ناهد عبد الحميد ، د/ سامي مندور ، مكتبة الشروق الدولية ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م .

(٣) نفسه ص (١٥) . وقد استند جارودي في وصف ما حدث في ١١/ ٩ بأنه مؤامرة إلى العوامل الآتية :

- أن عملية بهذا الحجم وبهذه الدقة لا يقوم بها إلا طيارون محترفون .

- أن أي عملية ناجحة كهذه تقتضي معرفة تامة باللوائح والثغرات في سماء يراقب الأمن العسكري كل متر مربع فيها .

- لم تتدخل الطائرات العسكرية - وهي دائمة مستعدة للإقلاع - للقضاء على أي طائرة مشبوهة .

- تمنع أمريكا في مجال أبحاث مكافحة خطف الطائرات بنظام يتيح شل حركة الطيران في الطائرة المستهدفة .. وكان كل شيء مخططًا عن طريق التحكم من بعد . ص (٩) من المصدر نفسه « الإرهاب الغربي » ج١ .

ويقول الدكتور أندرياس فون بيلوف ـ الرئيس السابق لجهاز المخابرات في الحكومة الألمانية ـ : (الأحداث الإرهابية في ١١/ ٩ طبقًا لفهم وإدراك الحكومة الأمريكية كما هو مفهوم لكثير من المعلّقين في هجوم بيرل هاربور ، تعتبر هذه الأحداث هي بيرل هاربور القرن الجديد ، وكما أن الهجمات على الأسطول الأمريكي في ديسمبر ١٩٤١م أدى إلى دخول الولايات المتحدة الأمريكية في الحرب العالمية الثانية ، فإنه ترتب على أحداث ١١/ ٩ رغبة الرئيس بوش في حرب طويلة ضد الإرهاب « الإسلام » العالمي)[1] .

وسرعان ما قام نائب الرئيس الأمريكي للولايات المتحدة الأمريكية باتهام ما يقرب من ستين دولة أنهم قد أعطوا الإرهابيين المسلمين المساعدات ، محذِّرًا هذه البلاد من التقصير في مكافحة الإرهاب وإلا سوف تضطر أمريكا أن تتدخل بنفسها[2] .

ويطعن أندرياس فون بيلوف في صحة الرواية الرسمية مستندًا إلى أسباب كثيرة منها :

١ – افتقاد المهارة في قيادة الطائرات للأشخاص المنسوبة إليهم التهمة ، فقد أكدت صحيفة واشنطن بوست أن الطائرة التي ضربت البنتاجون لابد وأن تكون قيادتها من طيارين على درجة عالية من الكفاءة ، ولابد أن يكون الطيار ذا خبرة في استخدام عصا القيادة ، مما يتطلب تدريب محترفين وتعليمًا يستغرق

---

(١) أندرياس فون بيلوف : « براءة العرب والمسلمين من أحداث ١١ سبتمبر ، ودور أجهزة المخابرات » ص (٢٥٦ – ٢٥٧) ، ترجمة د/ سيد حسان أحمد ، منشأة المعارف بالاسكندرية ٢٠٠٤م .

(٢) نفسه ص (٢٣١) .

سنوات طويلة ، أما عن تعلّم هواة الطيران الانتحاريين فهو تعليم من الواضح كما ذكر مدربوهم سابقًا أنه أبعد ما يكون عن النجاح أو التمكن[١] .

٢- ثبت لدى عدد كبير من الباحثين في هذا الموضوع ـ ومعظمهم من الصحفيين البريطانيين ـ أن سبعة من التسعة عشر مسلمًا الذين قاموا بالعملية الإنتحارية مازالوا ينعمون بحياتهم[٢] .

ويعلق المؤلف على ذلك ساخرًا : (وبالطبع لم يكن في مقدور مكتب التحقيقات الفيدرالي **FBI** ولا وكالات الإعلام الأمريكية والأوروبية البحث عن مدى صدق هذه القائمة التي تضم أسماء الجناة والتي ظهرت بفعل الساحر من قبعته خلال ساعات قليلة)[٣] .

٣- على العكس من التصريحات الأخيرة في معظم أجهزة الإعلام أعلن أسامة بن لادن الذي يقيم في أفغانستان في تحقيق صحفي لإحدى الصحف الباكستانية أنه يستنكر هذه الاعتداءات ويتنصل من أي نوع من الاشتراك في هذه الأعمال ، وأنه لم يكن لديه أي علم عن هذه الهجمات ، كما أنه لا يوافق أبدًا على قتل الأبرياء من النساء والأطفال وأناس آخرين ، إن الإسلام يمنع ويحرم بشدة حتى في حالات الحروب مثل هذه الأعمال ، كما قال أنه شخصيًا ضد النظام الأمريكي ولا يعادي الشعب بأي حال من الأحوال[٤] . ويفسّر المؤلف ما نُسب إلى ابن لادن بعد ذلك من أنه قبيل من صناعة الأفلام المدبلجة بحيث يمكن

---

(١) نفسه ص (٥٧) .

(٢) نفسه ص (٩٣) .

(٣) نفسه ص (٩٣) .

(٤) نفسه ص (٧٣- ٧٤) .

التوفيق بين الأصوات ووضع الفم بكلمات تناسب الجمل ، وبهذا فإن الأقوال الكاذبة التي دُسّت على الأشرطة لا يظهر فيها التزوير ، وقد جندت CIA مجموعة من عشرة أشخاص لهم شبه كبير من ابن لادن [١] .

٤- تلقت الحكومة الأمريكية من العديد من الحكومات وأجهزة المخابرات العالمية تحذيرات من الهجمات (والتحذير المباشر والواضح الذي أرسلته الحكومة الألمانية عن طريق أجهزة مخابراتها قبل حدوث هذه الهجمات وتجاهلت الإدارة الأمريكية كل هذه التحذيرات قبل وقوع الهجمات وأفهمت الكومات الأخرى أن أمريكا تعلم كل هذا الذي سوف يحدث لتجد مبررًا لاحتلال منابع البترول في منطقة أفغانستان والعراق) [٢] .

٥- ارتفعت أصوات عالية بعد الانهيار الدرامي لبرجيّ مركز التجارة العالمي تقول إنَّ اصطدام طائرة كبيرة للركاب بهذا المبنى المكون من هيكل من الصلب ليست السبب في انهياره وهو علم الكون والقوة المتوازنة في اعتدال الأجسام . . .

ولقد صرّح أستاذ جامعي في علم استاتيكية البناء أن انهيار البرجين لا يمكن أن يكون سببه ـ تحت أي ظروف ـ التأثير الكبير للضغط والحرارة [٣] .

ويستند المؤلف إلى الكاتب الفرنسي تيري ماسون بكتابه « سيناريو الإرهاب » بقوله : إن البنتاجون لم تصطدم به أي طائرة ركاب لأنه عند موقع الحادث

---

(١) نفسه ص (٧٦) .

ويضيف المؤلف أنه ظهر في أجهزة الدعاية الأمريكية الموجهة إلى العراق أحد الأشخاص قادر على تقليد صوت الرئيس صدام حسين بدرجة عالية من الإتقان .

(٢) نفسه ص (٢٧٧) .

(٣) نفسه ص (١١٤) .

لا توجد أجزاء من حطام الطائرة يمكن رؤيتها ، وأصبح الاحتمال الأكبر هو أن هناك صاروخًا من طراز كروز الحربي هو الذي سبب هذا التحطيم[1] .

ثم يتساءل المؤلف : (هل تم سلب القيادة من الطيار ، وإلغاء كلّ صلاحياته وتشغيل الطائرة عن بعد بواسطة الأجهزة الأرضية الموجودة بالمبنى رقم ٧ « بالريموت كنترول » ... لأن الانفجارات التي أسهمت في انهيار المبنى من الممكن وعن طريق ضبط الوقت يكون تم إشعال شحنة المتفجرات عن بعد)[2] .

وبالمناسبة يجد المؤلف حدثًا مشابهًا في طائرة مصر للطيران التي سقطت في المحيط الأطلنطي بركابها جميعًا ـ رحمهم الله تعالى ـ ويرجح أنها أسقطت بعمل تخريبي عن طريق قنبلة تم تهريبها داخل حقيبة إلى داخل الطائرة ، أم تحكم عن بعد وإسقاط الطائرة عن طريق « التوجيه عن بعد »[3] .

٦- قبل الاعتداءات بأيام كانت هناك تقارير تتحدث عن جو الاكتئاب العام ، أنه نتيجة هبوط أسعار الأسهم والسندات في بورصة الأوراق المالية ، وهذا يتعلق بصفقات ضخمة بمليارات الدولارات التي تم المضاربة عليها بالبورصة من أناس أكدوا وأقرّوا بهذا والذين توقعوا هذه الهجمات الأكيدة ، ومنهم جون أونيل الذي طُرد من مهام وظيفته في مكافحة الإرهاب لدى **FBI** مكتب التحقيقات الفيدرالية والمسؤول عن أمن مركز التجارة العالمي ، قال لأصدقائه في حفلة زواج حضرها في الليلة السابقة لأحداث ١١/ ٩ إنه سيكون هناك حدث ضخم[4] .

---

(١) نفسه ص (٢٠٢) .

(٢) نفسه ص (٢٠٩) .

(٣) نفسه ص (٢١٣) .

(٤) نفسه ص (٢١٨) .

٧- تم إعداد قانون الحريات قبل ١١ سبتمبر ، وهو قانون ضخم لا يعقل إعداده بالسرعة التي أعلن بها ، مع محاولة تطبيقه في دول الاتحاد الأوروبي ، وترتب على تطبيقه اعتقال الآلاف في أوروبا وأمريكا بصفة سرية ، وفي ظروف غير إنسانية فضلًا عن أساليب التعذيب على غرار سجن جوانتنامو .

وقد أصبح هذا القانون أداة لما يُسمّى بإرهاب الدولة ، يستخدمه الغرب في إذلال المسلمين وقمعهم .

٨- كانت الأجهزة الإسرائيلية تتجسس فوق الأراضي الأمريكية على العدو المشترك المتهم بتكوين شبكة من الإسلاميين المتعصبين بمدينة نيوجيرسي وهي مجاورة مباشرة لمدينة نيويورك ، وبعد الهجمات بفترة وجيزة تم القبض على خمسة إسرائيليين داخل سيارة لنقل الموبليات ، تم الإبلاغ عنهم لمكتب التحقيقات الفيدرالية من بعض المارة الذين رأوا هؤلاء الإسرائيليين وهم يقومون بتصوير الهجمات من سطح وكانوا يرقبون ويصورون كل ما يحدث بكاميرا فيديو ، وكانت تبدو عليهم السعادة العارمة . وتقول سيدة إنهم كانوا فرحين ولا يبدو عليهم الصدمة التي أصابت العالم بأسره ، ولذلك كانت هذه التصرفات تبدو غريبة .. ثم تبين من التحقيقات أن نشاطهم استخباري ، وأغلقت أبواب الشركة الوهمية التي كانوا يعملون بها فور القبض على هؤلاء الخمسة الضالعين كعملاء مخابرات [(١)] .

---

(١) نفسه ص (٢٢٧) .

وقد ورد بأحد المصادر أنهم كانوا يعلنون (والآن ، باتت أمريكا تعرف بها نعانيه) ، ص (١٨٠) من كتاب « الوجه الخفي لأحداث ١١ سبتمبر (الجريمة الكاملة والمؤامرة المتقنة) » ، تأليف اريك لوران ، ترجمة د/ عصام المياس ، دار الخيال - بيروت ٢٠٠٥م .

وخلاصة ذلك كله يقرّر المؤلف بعد دراسته العميقة الشاملة (أن حدث ٩/١١ هو عمل من أعمال الحرب النفسية ، وتم الإعداد له منذ فترة طويلة من فريق عمليات عاملة من رجال أجهزة المخابرات المتمرسين في مثل هذه الأعمال ، وبالذات لتتناسب مع الروح المعنوية للشعوب)[1].

وقد قام أحد كبار المراسلين الصحفيين ومتخصص بالسياسة الخارجية ، وهو اريك لوران بالبحث والاستقصاء لاكتشاف حقيقة ما حدث في ٩/١١

---

(١) نفسه ص (٢٥٦) .

ونكتفي بهذا العرض المختصر ، ولمن يريد المزيد الاطلاع على المصادر الأخرى التي تيسر لنا الاطلاع على بعضها ، ومنها :

- « **أجهزة المخابرات الأمريكية وأحداث ١١ سبتمبر** » بقلم لواء دكتور محمود محمد خلف ، دار المعارف بمصر ٢٠٠٢م .

- « **قارعة سبتمبر** » بأقلام مجموعة من الباحثين (عدد ١٧) ، مكتبة الشروق الدولية ٢٠٠١م . القاهرة ، كوالالمبور - جاكارتا - لوس أنجلوس .

- « **الوجه الخفي لأحداث ١١ سبتمبر (الجريمة الكاملة والمؤامرة المتقنة)** » تأليف اريك لوران ، وترجمة د/ عصام المياس ، دار الخيال - بيروت ٢٠٠٥م .

- « **١١ سبتمبر صناعة أمريكية الخطوة الأولى نحو تغيير خريطة العالم وتنفيذ المشروع الأمريكي للقرن الجديد** » بقلم هشام كمال عبد الحميد . دار الكتاب العربي - دمشق/ القاهرة ٢٠٠٦م .

- مقالتان بقلم الأستاذ محمد يوسف عدس - مستشار سابق بهيئة اليونسكو - ، إحداهما بعنوان : « **بيرل هاربر جديدة (عودة واجبة بعد أن انقشع غبار الأكاذيب إلى واقعة ١١ سبتمبر ٢٠٠١م)** » ، والثانية بعنوان : « **لجان تحقيق لإخفاء الحقائق** » ، وهما منشورتان بمجلة المختار الإسلامي بالعددين (٢٨٣) - غرة ربيع أول ١٤٢٧هـ - ٣٠ مارس ٢٠٠٦م ، (٢٨٤) غرة ربيع الثاني ١٤٢٧هـ - ٢٩ أبريل ٢٠٠٦ . دار المختار الإسلامي بالقاهرة .

- تيري نيسان « **الخديعة الكبرى حول أحداث سبتمبر - خديعة هوليود -** » وقد سمعت بهذا الكتاب ولكن لم أعثر عليه .

وأذاعت وكالة « رويتر » في بث موقع إلكتروني يناقش دور المؤتمرات في هجمات سبتمبر ٢٠٠١م - تسجيلًا لوزيرة الإسكان الفرنسية والسياسية البارزة كريستين بوتان ، يعود إلى شهر نوفمبر الماضي - قبل توليها الوزارة ترجّح فيه ضلوع الرئيس الأمريكي جورج بوش في تدبير تلك الهجمات التي أوقعت آلاف الضحايا .

« **الأهرام** » في ٢٣ جمادى الثانية ١٤٢٨هـ - ٨ يوليو ٢٠٠٧م .

وقال : (إن المعلومات التي استقيتها وضمّنتها كتابي هذا ، والتي أردت إيرادها دون أي مجاملة ، تدحض الحقائق المقبولة وترسم لوحة مقلقة مزعجة ، ويتساءل : هل حدّد هذا الحدث ولادة عالم جديد كما يعتقد العديد من المراقبين ، إذا كان الأمر كذلك ، فإن هذا المنعطف الجذري يكون قد بنى على سلسلة من الأكاذيب ذات خطورة لا سابق لها)[١] .

ويذهب في نهاية كتابه إلى تقرير (أن اغتيال الرئيس الأمريكي ١٩٦٣م يبقى سرًّا محاطًا بالأكاذيب ، أما ١١ سبتمبر فهو مجموعة أكاذيب تحيط بها أسرار)[٢] .

لهذه الأسباب ، وغيرها مما حفلت به المصادر والبحوث التي تناولت أحداث ٩/١١ ، حق للدكتورة زينب عبد العزيز وصفها بأنها « مسرحية » ، إذ ترى أن النية كانت مبيتة لخوض الحرب الصليبية قبل هذه التفجيرات ، وقالت : (لذلك بادرت أمريكا بعمل تلك المسرحية المسماه « ١١ سبتمبر » لتضفي على حربها الصليبية الضارية شرعية دولية ، وبدأ بوش حملته المسعورة معلنًا « **أنها حرب صليبية** » مثلما بدأ ريجان حملته لاقتلاع اليسار .

وتقول « مسرحية » الحادي عشر من سبتمبر لأن الحقيقة التي لاحت لكافة المشاهدين أن عملية تدمير الأبراج الثلاثة ـ وليس البرجين فقط ـ والبرج الثالث كان يأوي بعض مخازن ومكاتب المخابرات المركزية الأمريكية ، أن عملية التفجير والانهيار تمت بما يطلق عليه في عالم الهندسة « التدمير تحت السيطرة » ،

---

(١) اريك لوران « الوجه الخفي لأحداث ١١ سبتمبر (الجريمة الكاملة والمؤامرة المتقنة) » ص (٩) ، دار الخيال ـ بيروت ٢٠٠٥م .

(٢) نفسه ص (٢٥٢) .

ذلك لأن المباني على ارتفاعها واختلاف أماكن إصابتها قد انهارت على نفسها ولم تخرج عن الإطار المحدد لها . وما أكثر من تناولوا هذه الحقيقة التي تم إخفاؤها ، لأن المطلوب في نهاية المطاف ليس فضح السياسة الأمريكية وإنما « اقتلاع الإسلام »)[١] .

ويؤيد ذلك الأستاذ الدكتور محمد عبد الهادي ، إذ يرى (أن الإدارة الأمريكية قررت ابتداء أن الأيدولوجية الإسلامية عدو رئيسي ، والمكوّن الرئيس للثقافة الإسلامية عائق أمام استراتيجيتها الكونية يجب العمل على القضاء عليه ..) .

.. ومن ثم فإن ١١ سبتمبر ٢٠٠١م ليس يومًا فاصلًا في تاريخ النظام الدولي ، فلو لم يكن ما حدث في ذلك اليوم قد حدث ، فما حدث بعده كان سيحدث ، أما اليوم الفاصل الحقيقي فهو يوم تسلّم المحافظين الجدد المسيحيين الصهاينة البيت الأبيض في يناير ٢٠٠١م[٢] .

---

(١) د/ زينب عبد العزيز « حرب صليبية بكل المقاييس » ص (٤٢) ، دار الكتاب العربي- دمشق/ القاهرة ٢٠٠٣م .

(٢) مقال بعنوان « المواجهة بديل الدبلوماسية في التعامل مع الأيدولوجية الإسلامية بوش يسعى لفرض حرب دينية على أجندة رؤساء القرن الـ ٢١ » بقلم محمد عبد الهادي ، الأهرام ١٦ رمضان ١٤٢٧هـ - ٩ أكتوبر ٢٠٠٦م .

❁ مسيرة الحروب الصليبية قبل ١١ سبتمبر :

وقد سجل تاريخ الاستعمار الغربي في العصر الحديث بعض الصفحات الطافحة بالعداء المتوارث منذ الحروب الصليبية ، وقرأنا عن أحد القادة يعلن انتهاء الحروب الصليبية عندما دخلت جيوش الحلفاء القدس ، وقال آخر : (ها قد عدنا يا صلاح الدين) ، وبلغت وقاحة أحد قادة فرنسا بالجزائر ـ بعد أن قامت قوته العسكرية بقتل أربعة آلاف مسلم بأحد المساجد ـ أن يعلن (إن آخر أيام الإسلام قد دنت ، وفي خلال عشرين عامًا لن يكون للجزائر إله غير المسيح عليه السلام)[1] .

ولم يقتصر العدوان الصليبي في الماضي على الدول الاستعمارية الأوروبية التقليدية كإنجلترا وفرنسا وإيطاليا وهولندا وغيرها ، بل تعداها إلى روسيا وأمريكا . يقول الأستاذ فتحي رضوان : (حسبك أن تعلم أن ٥٦ ٪ من سكان الاتحاد السوفيتي مسلمون ... وأن عملية التبشير الأمريكية بين جموع المسلمين ـ ولاسيما في جنوب الشرق الآسيوي ـ هي من قبيل مذابح الفلبين .. هي عملية ينفق عليها الاستعمار الغربي ويبذل جهودًا صليبية مروعة .. ولا أحد يقف في وجه هذا التخريب الواسع النطاق)[2] .

ولم يمتد العمر بالأستاذ فتحي رضوان رحمه الله ليشهد حرب الخليج الثانية عام

---

(١) ص (٣٩٣) من كتاب « الإسلام والمسلمون » فتحي رضوان ، ط دار الشروق ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م .
وحدث ذلك يوم ١٨/١٢/١٨٣٢م وحول هذا الجامع (جامع القشاوة) إلى كاتدرائية وكان أجمل جوامع الجزائر طرازًا .

(٢) نفسه ص (٢٢) .

١٩٩١م التي وُصفت بحق أنها الهجمة الصليبية التي لم نر لها مثيلًا اطلاقًا منذ الحروب الصليبية [1] .

ثم أتى العدوان الأمريكي على أفغانستان في أكتوبر ٢٠٠١م وعلى العراق في أبريل ٢٠٠٣م لتكميل مسيرة الحروب الصليبية .

ولئن كان الغرب بقيادة أمريكا قد استغل هذه الأحداث ، وجاء بجيوشه العسكرية والإعلامية والتنصيرية ليحتل أراضي المسلمين محاولًا إقصاءهم عن دينهم كما جاء على لسان بولس : (لاقتلاع ذلك الدين الذي يتمخض عنه الإرهاب) ، قبل اندلاع حرب العراق بيومين ، وذلك في سياق إعلانه عن عزمه الذي لا رجعة فيه على احتلال العراق سواء تنحى صدام حسين أم لا [2] .

فمن واجبنا معشر المسلمين مجابهة هذه الحرب في جبهات ثلاث :

الأولى : تحصين العقل الإسلامي لمواجهة الحرب النفسية .

الثانية : معرفة خلفيات هذه الحرب الصليبية الصهيونية .

الثالثة : السعي بجدّية إلى توظيف قدرات **الأمة** الإسلامية لمجابهة التحديات ، والدفاع عن ديننا وأراضينا وثرواتنا وكرامتنا .

إنها معركة بل معارك طويلة ، أعـ[illegible] ونفذّها منذ قرون ، وهو مستعد لمدّ أجلها لسنين قادمة حتى يحقق أهدافه .

---

(١) ص (٢٤٧) من كتاب « **الحرب الصليبية الثامنة** » الفريق سعد الدين الشاذلي ، الناشر : عيون المقالات ـ الدار البيضاء ١٩٩١م .

(٢) د/ زينب عبد العزيز « حرب صليبية بكل المقاييس » ص (١٣٩) ، دار الكتاب العربي دمشق ـ القاهرة ٢٠٠٣م .

❁ حقيقة المشروع الأمريكي للشرق الأوسط الكبير :

إن ما نشاهده ونسمعه الآن من احتلال عسكري سافر للعراق مغلّف بعبارات ذات طابع عاطفي كحقوق الإنسان ، وتطبيق الديموقراطية ، وتحقيق الحريات ، كل هذه الشعارات التي تغلّف حب السيطرة والاستحواذ على ثروات الشعوب ـ ومنها النفط ـ إنها كلها ليست بنت الساعة أو طارئة عقب أحداث ١١ سبتمبر ، الأصل مدوّن في الوثيقة المعتمدة من جهاز التخطيط في وزارة الخارجية الأمريكية وهي التي رسمت الخط السياسي للولايات المتحدة الأمريكية ، ويرجع تاريخ إعداد هذه الوثيقة قبل الحرب الكورية بقليل عام ١٩٥٠م وقد حررها بول نيتش الذي خلف جورج كينان على رأس جهاز التخطيط .

يقول نيتش : أن الولايات المتحدة تمتلك قوة كونية لهذا سيكون من الضروري لها أن تحدد عدوًا كونيًا ، (وفي هذه الحالة سيكون الاتحاد السوفيتي ، وعلينا أن نضفي على هذا العدو صفات الشيطان ، بحيث يصبح كل تدخل أو عدوان للولايات المتحدة مبرّرًا مسبقًا ، وكأنه عمل دفاعي تجاه خطر يشمل الأرض كلها)[1] .

أما جورج كينان الذي أُقيل من منصبه ـ لأنه من الحمائم ـ فيرى أنه يجب على الأمريكيين التخلص من العاطفة تمامًا وتجنب ترف التفكير بالإيثار وعمل الخير .

---

(١) « الولايات المتحدة طليعة الانحطاط » جارودي ، ص (٥١) ، ترجمة مروان حمودي ـ دار الكاتب دمشق ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .
ويصف جارودي بول نيتش بأنه (مخطط الصقور) ، وجورج كنان بأنه من (الحمائم جدًا) .

على مستوى العالم علينا التوقف عن الحديث عن موضوعات غامضة ... مثل حقوق الإنسان ، أو تحسين مستوى المعيشة ، أو إحلال النظام الديمقراطي ، ولن يكون بعيدًا اليوم الذي سنجد فيه أنفسنا مضطرين للتحرك بصراحة من خلال علاقات القوة ، وبقدر ما يكون ارتباكنا بسبب الشعارات المثالية أقل ، بقدر ما يكون أفضل [١] .

هذا ، وبعد سقوط الاتحاد السوفيتي استبدل بالشيطان السوفيتي الشيطان الإسلامي .. ثم تدمير العراق كي يكون مثالًا للآخرين [٢] .

وهناك رأي آخر يعود بهذه الوثيقة ـ أو الخطة ـ إلى أوائل التسعينيات حيث اعتمدتها إدارة بوش الأب وحددت المدى الزمني لتطبيقها نحو عشرين عامًا « من عام ٢٠٠٠ إلى ٢٠٢٠م » ثم تم تطويرها .. ومن أهدافها « القضاء على الإسلام أو العمل على تحديثه ، وجعله عصريًا متوافقًا مع المفاهيم الغربية والأمريكية » [٣] .

وربما يرجع مشروع الشرق الأوسط الكبير إلى « بوش » الجد في رأي الدكتور عبد العظيم المطعني ـ وبوش الجد هذا هو مؤلف كتاب « محمد ﷺ مؤسس الدين الإسلامي ومؤسس امبراطورية المسلمين » ، أي أن عمر هذا المشروع نحو مائتي عام !

يقول الدكتور عبد العظيم المطعني : بعد ظهور هذا الكتاب مترجمًا إلى اللغة العربية ، وبعد الاطلاع عليه بوعي ، اتضح لنا ـ يقينًا لا تخمينًا ـ أن بوش « الحفيد »

---

(١) نفسه ص (٥١) .

(٢) نفسه ص (١٢) .

(٣) هشام كمال عبد الحميد : « ١١ سبتمبر صناعة أمريكية ـ الخطوة الأولى نحو تغيير خريطة العالم وتنفيذ المشروع الأمريكي للقرن الجديد » ص (٧٣) ، دار الكتاب العربي دمشق ـ القاهرة ٢٠٠٦م .

الرئيس الحالي للولايات المتحدة الأمريكية ، ليس له أي سبق أو ابتكار لمشروع الشرق الأوسط « الكبير » ثم يذكر أن الذي خطط له وحدّد معالمه والهدف منه هو بوش « الجد » منذ أكثر من مائتي عام مضت .

ويمضي الدكتور عبد العظيم في عرض بعض مضمون كتاب بوش « الجدّ » ، ثم يسجل ما رأى من اختلاف في بعض الملامح بين المشروعين القديم والحديث ويلخصها فيما يلي :

١- بوش « الجدّ » يعلن سبب غضبه على الشرق الأوسط لأن مسلميه ومسيحييه أفسدوا كنيسة « الرب » أما بوش « الحفيد » فيعلن عداءه للشرق الأوسط الكبير لأنهم أفسدوا الديموقراطية ولابد من فرضها عليهم ولو بقوة السلاح .

٢- بوش « الجد » يؤجل الانتقام من الشرق الأوسط الكبير إلى وقت عودة المسيح عليه السلام مرة ثانية ، وبوش « الحفيد » يستعجل تأديب الشرق الأوسط في فترة رياسته الثانية التي ستنتهي في عام ٢٠٠٨م .

وفي النهاية يعلق الدكتور عبد العظيم المطعني على ذلك بقوله : تلك أمانيهم ، وإليهم نهدي قول الشاعر :

تَقِفـــون والفلَـــكُ المـــدَبّر دائـــرٌ

وتُقَـــدِّرون ، وتضـــحك الأقـــدار [(١)]

---

(١) أ.د عبد العظيم المطعني ، مقال بعنوان « مشروع الشرق الأوسط الكبير بين بوش (الجد) وبوش (الحفيد) » مجلة « التبيان » تصدرها الجمعية الشرعية بالقاهرة صفر ١٤٢٦هـ - مارس/ أبريل ٢٠٠٥م ، ص (٣٤ ، ٣٥) .

هناك اتفاق إذن لكل من يدرس سلوكيات الولايات المتحدة الأمريكية عقب سقوط الاتحاد السوفيتي أن هناك خطة محكمة معدة قبل أحداث سبتمبر لتنفيذ مشروع صراع الحضارات الذي طرحه هنتجتون .

ويقول الأستاذ أسامة غيث : فإن أحاديث مشروع « الشرق الأوسط الكبير » بكل ما يحيطه من ضباب وأطياف خادعة حول الديمقراطية والحريات الإنسانية والحقوق المعرفية المعاصرة ، ما هي إلا الغلالة الرقيقة والشفافة للمخطط الأمريكي الغربي الصهيوني بكل مشتملاته ومحتوياته ومكوناته [١] .

ويمضي في مقاله ليوضح أن مبررات الشرق الأوسط « الكبير » هي نفسها المبررات التي اتخذها الآباء الأوائل المستعمرون لأمريكا لاستئصال الهنود الحمر لأنهم « همج » يعيقون المهمة المقدسة لتعمير الأرض واستغلالها ويعترضون مشيئة الرب ...

.. إلى أن يقول في نهاية المقال : وما مارسته أمريكا وقوات التحالف خلال الأيام الماضية على الأرض العراقية من مجازر دامية وواسعة النطاق ضد المواطنين الأبرياء العزل ، الساعين للحفاظ على كرامتهم وحريتهم واستعادة سيادة وطنهم ، وطرد المحتل الغاصب يتجاوز كل ما قيل من أساطير حول ممارسات نظام صدّام ، وتتفوق على ممارسات النازية والفاشية في الحرب العالمية الثانية ، وهو أبلغ تصوير لحقيقة « الشرق الأوسط الكبير » وترتيباته ... [٢]

---

(١) مقال بعنوان « الشرق الأوسط الكبير ـ خداع الغطاء السياسي .. ومخططات النهب الاقتصادي ؟ ! » بقلم الأستاذ أسامة غيث . الأهرام في ٢٢ جمادى الآخرة ١٤٢٨هـ - ٧يوليو ٢٠٠٧م ص (١٧) .

(٢) نفسه .

وإذا كان المشروع الأمريكي للشرق الأوسط يعطينا ـ كما صوّره الأستاذ أسامة غيث ـ فكرة عن تكرار جرائم ما فعله الآباء الأوائل من المستعمرين ، فإنه عاد ـ جزاه الله خيرًا ـ فعرض بتوسع وعمق علاقة الغرب الاستعماري بشكل كلي مع الشعوب المقهورة وتتلخص في (النهب والاغتصاب الاستعماري لقرون عديدة ، ووقفة مع المعاني الكريهة والبغيضة لملايين الأفارقة الذين سرقتهم واغتصبتهم أمريكا من أرضهم واسترقتهم واستعبدتهم ، مجرد قطرة في بحر الماضي البغيض للعنصرية والاستعلاء والمعتقدات النازية والفاشية والشيطانية القابعة في ركائز العقل والضمير الأوروبي والأمريكي كما هو على حقيقته بغير تزويق أو تزييف لوعي الآخرين الضائع في متاهات سياسات القوة وألاعيبها والخاضع قسرًا لسطوتها ونفوذها وصنائعها على امتداد الدولة والمجتمع)[1] .

(١) أسامة غيث مقال بعنوان « المساعدات الأمريكية مثل (الوجبات الجاهزة أضرارها أكثر بكثير من فوائدها) » الأهرام في ٢٢ جمادى الآخرة ١٤٢٨هـ - ٧ يوليو ٢٠٠٧م ص ٧١



❁ موقف أوروبا من الصحوة الإسلامية المعاصرة .

❁ تداعيات الحقد على الخلافة العثمانية .

❁ العداء الأوروبي للإسلام .

❁ علاقة الغرب بالشرق : أهي حوار أم صدام ؟

❁ موقف أوروبا من الصحوة الإسلامية المعاصرة :

لم يتوقف عداء الغرب للإسلام عند تشويهه ومسخ حقيقته في الكتب الدراسية ومناهج التعليم ووسائل الإعلام فحسب ، بل تعداه إلى ما هو أشد وأخطر ، أي منع المسلمين من العودة إلى دينهم وتطبيق شريعتهم متخذًا كل الوسائل المتاحة .

بل إن كاتبة بريطانية أفصحت أخيرًا على ما كنا نستبعده ، بل لم نكن نتصوره ، وهو السعي إلى إبادة المسلمين !

وتضيف عالمة الأديان الشهيرة أرمسترونج أن الاضطراب العنيف الذي تسبب فيه الحكم الصليبي (دمَّر العلاقة بين الإسلام والغرب المسيحي على مستوى أساسي)[١] .

وتقول : (إنه منذ الحروب الصليبية يُنظر للمسلمين على أنهم جنس كريه شرير ، غريب بشكل كلي عن الرب ولا يصلح معه سوى الإبادة)[٢] .

ونعتقد أن ما يحدث للمسلمين الآن في فلسطين والعراق وأفغانستان والشيشان وغيرها هو تنفيذ عملي لهذه النظرية .

إن أمام العلماء والدعاة ورواد الصحوة الإسلامية والجامعات الإسلامية مهام ضخمة ، ومسئوليات جَسِيمَةٌ لتوعية الأمة بالمخاطر التي تهددها والتهيئة لمجابهتها .

---

(١) كارين أرمسترونج « القدس ، مدينة واحدة ، **عقائد ثلاث** » ص (٤٨٣) ترجمة د/ فاطمة نصر ، ود/ محمد عناني ، سطور ١٩٩٨ .

(٢) نفسه ص (٤٥٤) .

ولعل بداية الطريق للوصول إلى هذا الهدف تتلخص في التعرف بالأدلة والبراهين على مدى عداء الغرب للإسلام والمسلمين ، وحرصه الشديد على إبعاد المسلمين عن دينهم ، (فإن أي محاولة لتنظيم حياتنا من جديد على أساس العقيدة الإسلامية الأصيلة تثير الكثير من المخاوف والشكوك عند الغرب ، وتدفعه إلى وضع كل العراقيل الممكنة بصورة مباشرة أو غير مباشرة)[١] .

وقد سبّبت الصحوة الإسلامية ـ كما قال بيجوفيتش ـ هلعًا كبيرًا في الدول الغربية (ونشر الدكتور ماكولي ـ وهو أستاذ في جامعة لندن ، مقالًا عن هذه الصحوة وخطورتها على أوروبا في ٧ يونيو ١٩٩٠م بصحيفة الديلي ميل البريطانية وقال فيها : إن أوروبا عانت من الإسلام مرّتين ، المرة الأولى خلال القرن السابع عندما وصل المسلمون في زحفهم إلى الأندلس ، والمرة الثانية في القرن السابع عشر ، عندما غزى المسلمون أوروبا للمرة الثانية واكتسحت قواتهم البلقان وهنغاريا وتوقفوا على أبواب فيينا ، وكما يقول ماكولي فإن الزحف الإسلامي الثالث قد بدأ .. وأخذ يحذر منه ويطالب أمريكا والدول الغربية بإجهاض هذه الصحوة ، لأنها لو استمرت فإنها ستكون خطرًا كبيرًا على أوروبا وسيمتد تأثيرها إلى أمريكا وإلى جميع بقاع العالم)[٢] .

ويرى الفريق الشاذلي أن الحملة الصليبية الثامنة بدأت في ٨/٨/ ١٩٩٠م ، والله وحده يعلم متى ستنتهي هذه الحملة ، ثم يعقب بقوله : ولكن من المؤكد أنها

---

(١) محمد أسد « منهاج الإسلام في الحكم » ص (١٦٩) ، ترجمة منصور محمد ماضي ، دار العلم للملايين ـ بيروت ١٩٨٣م . بتصرف يسير ، ويذكر ص (١٧) (أن الكراهية للإسلام أصبحت جزءًا من تراث الغرب الفكري) .

(٢) الفريق سعد الدين الشاذلي « الحرب الصليبية الثامنة » ص (٣٠٥- ٣٠٦) ، الناشر : عيون المقالات – الدار البيضاء ١٩٩١م .

ستلقى نفس المصير الذي لقيته الحملات السابقة ، سيهزم القوم ويولون الدّبر . وسيسقط معهم كل من والاهم من المنافقين ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلاً ﴾ [الأحزاب : ٦٢] [١] .

كذلك يصف الدكتور مراد هوفمان حرب البوسنة ومعارك إبادة مسلمي وألبان كوسوفا بأنها حروب دينية من وجهة نظر الصرب واليونان (كانت حروبًا صليبية متأخرة للقضاء على آخر الآثار الإسلامية في البلقان ، ثم يذكر بالمناسبة أنه يُحظر في البلدين بناء مساجد) [٢] .

وكان لبعض المستشرقين الهَم الوافر في إذكاء نار حقد مواطنيهم للإسلام والمسلمين ، وقد علله المسيو جينون بالخوف المبالغ فيه ، فهو (أهم أسباب البغض الذي هو أكثر شراسة في البلاد الإنجليزية) [٣] .

ويقول المسيو (لويس برتراند) :

(انظروا إلى الشرقيين وجهًا لوجه ، إنهم أعداؤنا ، حاولوا إفهام هذه الحقيقة للبلهاء من الفرنسيين ... أدخلوا هذه الفكرة في أذهانهم ، إن الشرقي هو عدونا ولا يستطيع أن يكون سوى عدو لنا) [٤] .

ونرى أن ذلك كله يعبر عن الحقد المتوارث على الخلافة العثمانية .

---

(١) نفسه ص (٢٣٣) ، ويذكر بصفحة ٢٢٤ (أن بوش (الأب) تحدث في الكونجرس في ١١/ ٩/ ١٩٩٠م وقال : بأنه جاء بجيوشه وجيوش حلفائه إلى المنطقة ليدافع عن نمط حياة الشعب الأمريكي) .

(٢) مراد هوفمان « الإسلام في الألفية الثالثة ، ديانة في صعود » ص (٧٣) ، مكتبة الشروق ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م .

(٣) د/ محمد عمارة « إسلاميات السنهوري باشا » ج١ ، ص (٣١٦) ، دار الوفاء بالمنصورة ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م .

(٤) نفسه .

تداعيات الحقد على الخلافة العثمانية :

يسجل التاريخ عدوان أوروبا على الأمم الضعيفة (وفقًا لفكرة أجدادهم الرومان الوثنيين وهي الاستغلال المنظم الطويل الأمد لنهب خيرات الأمم وتحقيق أكبر قدر من الرفاهية لشعوبهم ، وقد بدأ البرتغاليون الاستعمار الحديث مستغلين العاطفة الدينية لنشر المسيحية ، كستار لعمليات النهب)[١] .

وتظهر الصبغة الدينية واضحة في القرن التاسع عشر حيث مكن الاستعمار الغربي للمبشرين بأداء أعمالهم في البلاد المستعمرة ، وكان أغلبها من العالم الإسلامي (وقد اشترك بفاعلية في عملية الاستعمار ورجال الدين المسيحي الأوروبيون وظهر مبشرون استعماريون لا هم لهم إلا محاربة الدين الإسلامي والإساءة إليه ، وأشهر هؤلاء الكاردينال الفرنسي لافيجيري ، ودي برازا ومارشال ، ولابيير ، وكلهم فرنسيون ، كما اشتركت البابوية في روما فأنشأت على الورق كارديناليات وأسقفيات في أفريقيا ، ورصدت لذلك أموالًا طائلة)[٢] .

كذلك سادت أوروبا فكرة طرد العثمانيين من أوروبا وتأييد الشعوب البلقانية المسيحية للتحرر من الحكم الإسلامي المتخلف ، وكان جلادستون الإنجليزي يحمل حقدًا وبغضًا شديدين للدولة العثمانية والإسلام .

وفي أعماق أهل الغرب الذين لم ينسوا قط مغزى انتصار محمد الفاتح ، وفي مغزى سقوط القسطنطينية في أيدي السلطان العثماني محمد الفاتح في

---

(١) لواء أ .ح .م عبد الحميد علي شرف « الصراع الكبير بين الشرق والغرب ومراحل تطوره عبر ١٣ قرنًا » ، مطابع الأهرام ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م ، ص (١١٩) .

(٢) نفسه .

٢٩ مايو ١٤٥٣م ، يذكر الدكتور يونان لبيب أن ما حدث في ذلك اليوم قد (أرخ لسقوط امبراطورية الروم التي قامت الدولة الإسلامية على أنقاضها .. مصر والشام أولًا ، حتى انتهى الأمر إلى العاصمة العنيدة ، ويعتبر هذا السقوط نقطة فاصلة فهو قد أنهى حالة المواجهة مع الامبراطورية العجوز ، والتي لعبت آخر أدوارها في تهديد الشرق الإسلامي حين كانت معبرًا للحملات الصليبية)[١] .

وظل ساسة الغرب يعملون على تحطيم أي عمل يؤدي إلى إحياء فكرة الوحدة الإسلامية ، فعندما رأى السلطان عبد الحميد في الجامعة الإسلامية سياجًا يحمي الدولة من الأخطار التي كانت تحيط بها من كل جانب أمام أطماع روسيا ، والنمسا ، والمجر ، وبريطانيا .. هاجم حركة الجامعة الإسلامية اللورد كرومر هجومًا عنيفًا ١٩٠٦م ووصفها بأنها حركة ترمي إلى تحدي الدول المسيحية ، وأخذ يطعن في الإسلام كغيره من ساسة الغرب ومثقفيه اليوم زاعمًا أنها حركة تقوم على (إحياء نظم ومبادئ وضعت منذ أكثر من ألف عام لإرشاد وتوجيه مجتمعات بدائية .. وأنها تدمج القوانين المدنية والجنائية والدينية في قالب)[٢] .

ومما يؤيد هذا الرأي ـ كما يذكر الدكتور محمد حرب ـ ما ورد في الصحافة الأوروبية التي أخذت تخيف الغرب من إقامة دولة إسلامية في قلب أوروبا في حالة انتصار المسلمين في البوسنة والهرسك على الصرب[٣] .

---

(١) مقال بعنوان « قيام تركيا الجديدة » الأهرام ص (٥) ، في ٢٩/ ٦/ ٢٠٠٠م ، بقلم الدكتور يونان لبيب .

(٢) نفسه ص (١٦٦، ١٦٩) .

(٣) د/ محمد حرب : « البوسنة والهرسك ، من الفتح إلى الكارثة » ص (١١٦) ، المركز المصري الدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي والبلقان رقم (١) سلسلة بلدان العالم الإسلامي القاهرة ، ١٤١٥هـ ١٩٩٤م .

أما عن اتفاق « دايتون » ، فقد حصل الصرب بموجبه على جائزة إدارية من ورائه إذ نالوا نصف البوسنة والهرسك ، أما الكروات فقد نالوا ثلاثة أضعاف حجمهم الحقيقي ! .

وهذا مما دفع رئيس الحكومة البوسنية السابق « د/ حارث سيلادزيتش » إلى القول بأن (اتفاقية دايتون تعرقل تقدمنا)[١] .

ومن هذه النموذجات وغيرها تتضح حقيقة تآمر أوروبا على المسلمين في يوغوسلافيا منذ ستمائة سنة أي عندما ضم الترك البوسنة والهرسك والجبل الأسود (ومنذ ذلك التاريخ تجمعت أوروبا لمواجهة التحدي الإسلامي ... وإبادة الإسلام من أوروبا)[٢] .

ولا زالت تداعيات الحقد على الخلافة العثمانية مستمدة حتى بعد انتهائها ، وما تفسير المجازر التي حدثت في البوسنة والهرسك إلا ترجمة واقعية لعداء أوروبا للإسلام والمسلمين .

(إن المذبحة التي وقعت لمسلمي البوسنة عام ١٩٩٥م هي وصمة عار في جبين الأمم المتحدة والدول الغربية التي تخاذلت عن حماية مسلمي البوسنة وسمحت لصرب البوسنة بالقيام بمذبحتهم الخسيسة تحت سمعهم وبصرهم . المذبحة تؤكد رفض المجتمعات الأوروبية لوجود جيب إسلامي بينه . تلك المجتمعات التي تتغنى ليل نهار بحرية العقيدة ... كما يماطلون تركيا التي ترغب

---

(١) مجلة العربي الكويتية ـ العدد (٥٦٣) أكتوبر ٢٠٠٥م .

(٢) محمد جلال كشك « إنهم يذبحون المسلمين ، مأساة المسلمين في البوسنة والهرسك » ص (٣٥) ، مكتبة التراث الإسلامي بالقاهرة ١٩٩٢م .

في الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي حتى لا تنضم دولة إسلامية كبيرة بحجم تركيا إليه)[(١)] .

وهكذا ، فإن الواقعات التاريخية والمعاصرة تشهد بأننا لازلنا نعيش في أجواء حروب صليبية ، بدأت كحروب مقدسة موجهة من الله لحماية الدين المسيحي ودرء خطر تهديد الزحف الإسلامي عنه[(٢)] .

وقد استمرت بالاستعمار العسكري في العصر الحديث ، مع اقترانها بحركة التغريب (هكذا بدأت حركة تغريب العالم كحرب صليبية)[(٣)] .

أما جرائم الروس فقد فاقت الحد في بشاعتها فطالت علماء الإسلام والمساجد والمدارس الإسلامية ، ففي محاضرة ألقاها الزعيم التركستاني العلامة السيد مبشر الطرازي الحسيني في دار نقابة الصحفيين بالقاهرة ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م ، قال :

« كان عدد مساجد المسلمين في روسيا في بداية الثورة الحمراء في ١٩١٧م قريبًا من عشرة آلاف مسجد ثم لم يزل هذا العدد يتناقص حتى صار بضعًا وثلاثمائة مسجد فقط ، وكذلك تناقص عدد علماء المسلمين من نحو ثمانية وعشرين ألف إلى أقل من أربعمائة عالم ، وفوق ذلك أمرت الحكومة السوفييتية بغلق ثمانية آلاف مدرسة إسلامية بمقتضى مرسوم أصدرته بدعوى فصل المدارس عن المساجد والكنائس ، فأصابت به المسلمين والمسيحيين أيضًا ، كذلك سحبت الحكومة السوفييتية الكتب العربية المتداولة في روسيا حتى يتسنى لها أن تتم بلشفة

---

(١) د/ عبد الله غرباوي « وصمة في جبين الإنسانية » مقال بالأهرام المسائي ١٧ جمادي الثانية ١٤٢٦هـ - ٢٣ يوليو ٢٠٠٥م . ويعلق في النهاية بقوله : (على الغرب أن يتخلى عن عنصريته في مواجهة المسلمين من أبنائه وأن يعمل على حوار الثقافات وليس صراعها) .

(٢) د/ حورية توفيق مجاهد « **الاستعمار كظاهرة عالمية** » ص (٦٨) ، عالم الكتاب بالقاهرة ١٩٨٥م .

(٣) سيرج لاتوش « **تغريب العالم** » ص (١٣) ، ترجمة خليل كلفت ، دار العالم الثالث ١٩٩٢م .

المناطق الإسلامية في جمهوريات الاتحاد السوفييتي بلشفة تبعد المسلمين عن الإسلام بهجرهم اللغة العربية ، ثم لم تعد الشريعة الإسلامية معترفًا بها هناك ، وفي هذا المعنى قالت دائرة المعارف السوفيتية : (لقد استؤصلت الآن شأفة الشريعة الإسلامية في الاتحاد السوفيتي) »[١] .

العداء الأوروبي للإسلام :

اتخذ الدكتور سعيد اللاوندي من الرسوم المسيئة للرسول ﷺ دليلًا على هذه الحرب الضروس ، واعتبرها امتداد لتصريح الرئيس الأمريكي بوش ، إذ (لسنا في حاجة إلى التذكير فإن إصرار كثير من الصحف الأوروبية على نشر الرسوم المسيئة للرسول الكريم ﷺ بحيث تظهر في هذه الصحيفة اليوم ، ثم تظهر في الصحيفة الثانية غدًا ، والثالثة والرابعة .. بعد غد .. وهلم جرّا ، يؤكد بما لا يدع مجالًا للشك أن النيّة مبيتة مع سبق الإصرار والترصد لتدويل الأزمة « أو عولمتها » بحيث يصدق في النهاية نظرية هينتجنون الخاصة بصدام الحضارات ، والحروب الصليبية التي حدّثنا عنها « عن عمد وليس زلة لسان » الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش والمؤسف أنه في وسط غبار هذه المعركة استيقظت نعرات كثيرة تحرّض العالم الغربي على شن حرب « ضروس » ضد الشرق العربي الإسلامي)[٢] .

---

(١) حسن صبري محمد يوسف « الخطر المحدق من نمو الشرق » ص (٥٥) ، مكتبة عالم الفكر بالقاهرة ١٤٠٦هـ - ١٩٩٧م .

(٢) د/ سعيد اللاوندي « فوبيا الإسلام في الغرب » ص (٩- ١٠) ، كتاب اليوم أبريل ٢٠٠٦م .

ويرى أن الحديث عن حرية الفكر هو (حديث إفك) وكلمات حق يراد بها باطل ، لأن ازدواجية المعايير التي يرتع فيها الغرب السياسي تمارس فقط القوة ضد الإسلام والمسلمين .

وبعد استعراض حيلة الغرب المسيحي بالشرق الإسلامي ، خلص الدكتور محمد البهي إلى أنه منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى اللحظة القائمة ، يواجه صليبية هذا الاستعمار جنبًا إلى جنب مع مواجهة سلطانه السياسي والاقتصادي .

ويمضي في شرح حقيقة الاستعمار بأنه حرب صليبية (وهذه الصليبية ليست المسيحية السمحة ، وإنما هي « روح الانتقام » من الإسلام ، تلك الروح التي بعثت فيما مضى على الحروب الدامية في القرون الميلادية الثلاثة : الحادي عشر ، والثاني عشر ، والثالث عشر ، محاولة الاستيلاء على بيت المقدس ، وبقيت منذ هزيمتها الكبرى على يد « الناصر صلاح الدين » مصاحبة لعقلية الغرب في عرضه للإسلام ، وفي تصرفاته مع المسلمين على السواء ، ولم تزل فيه باقية هذه العقلية حتى اليوم)[1] .

ونستطيع من هذا الاستنتاج الصحيح أن نربط بين « عرض الإسلام » في أغلب مؤلفات الغربيين ودراساتهم المليئة بالحقد والكراهية ، وبين سلوك جيوش الاستعمار الحالية في فلسطين والعراق وأفغانستان ، ومن الأمثلة أيضًا التصريحات العلنية رؤساء أمريكا وإيطاليا وإستراليا وغيرهم ، مع الصور المسيئة للرسول ﷺ .

وربما يرجع سبب ذعر الغرب من المسلمين هو معرفته بقوة الإسلام الذاتية ، وأنه متى عاد المسلمون لدينهم فسيقومون بإشادة حضارتهم المتميّزة من جديد ، بما يهدد حضارة الغرب .

وهذا الانطباع راسخ في أذهان الغربيين منذ سنوات طويلة ، ولاسيما بعد حصول الشعوب الإسلامية على استقلالها « الصوري » باستخدام سلاح الجهاد .

---

(١) د/ محمد البهي « الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي » ص (٤٩٩) ، دار الفكر ـ بيروت ١٩٧٠م .

قال أحد المسؤولين في وزارة خارجية فرنسا عام ١٩٥١م :

(إن الخطر الحقيقي الذي يهددنا تهديدًا مباشرًا عنيفًا هو الخطر الإسلامي ، والمسلمون عالم مستقل كل الاستقلال عن عالمنا الغربي ، فهم يملكون تراثهم الروحي الخاص ويتمتعون بحضارة تاريخية ذات أصالة ، وهم جديرون أن يقيموا بها قواعد عالم جديد دون حاجة إلى « الاستغراب » أي دون حاجة إلى إذابة شخصيتهم الحضارية والروحية بصورة خاصة في الشخصية الحضارية الغربية ، وفرصتهم في تحقيق أحلامهم في اكتساب التقدم الصناعي الذي أحرزه الغرب ، فإذا أصبح لهم علمهم وإذا تهيأت لهم لحساب الانتاج الصناعي في نطاقه الواسع انطلقوا في العالم يحملون تراثهم الحضاري الفني ، وانتشروا في الأرض يزيلون منها قواعد الروح الغربية ويقذفون رسالتهم إلى متاحف التاريخ . وقد حاولنا خلال حكمنا الطويل في الجزائر أن نتغلب على الشخصية التاريخية لشعب هذا البلد فلم نأل جهدًا في صوغ شخصية غربية له . فكان الإخفاق الكامل نتائج مجهودنا الضخم الطويل)[1] .

ويقول مرماديوك باكثول : (إن المسلمين يمكنهم أن ينشروا حضارتهم في الدنيا الآن بنفس السرعة التي كانوا نشروها بها سابقًا إذا رجعوا إلى الأخلاق التي كانوا عليها حين قاموا بدورهم الأول ، لأن هذا العالم الخاوي لا يستطيع أن يقف أمام روح حضارتهم)[2] .

وقد تضخم ملف العداء للإسلام بما صدر أخيرًا من مؤلّفات وبحوث ودراسات تسجل هذه الظاهرة المعاصرة التي أصبحت أبرز قضايا الساعة

---

(١) جودت سعيد « لم هذا الرعب كله من الإسلام ؟ » ص (٤٦-٤٧) ، دار الأسماء بالجيزة ١٩٨٩م .

(٢) نفسه ص (٣٧) .

بلا جدال عقب (صدور قرار حلف الأطلنطي ـ وهو حلف عسكري أساسًا ـ باعتبار الإسلام هو العدو للغرب)[١] .

كذلك أصبحت كلمة « الإسلاموفوبيا » تعني الكراهية أو الخوف من الإسلام والمسلمين (وازدادت وضوحًا وتطورًا في السنوات العشرين الأخيرة في كل قطاعات الإعلام)[٢] .

ولا يرجع هذا العداء لأحداث سيتمبر ٢٠٠١م كما يظن البعض ، بل هو عداء قديم امتلأت به عشرات الآلاف من الكتب والدراسات والمقالات التي تؤكد أن العداء للإسلام نتيجة (تربيات قديمة ترسخت في العقلية الغربية منذ الحروب الصليبية ، وقبل الحروب الصليبية عندما فتح المسلمون الأندلس ـ أسبانيا ـ وفتح العثمانيون بعد ذلك القسطنطينية ووصلوا إلى النمسا وحاصروا فيينا العاصمة)[٣] .

ويستخلص الأستاذ رجب البنا بكتابه الشامل عن « صناعة العداء للإسلام » ، أن هذا العداء في نفوس الشعوب الغربية وقادتها (يتم بإتقان يفوق إتقان الغرب في صناعة منتجاته التكنولوجية الحديثة . وصناعة الكراهية في العصر الحاضر[٤]

---

(١) رجب البنا « صناعة العداء للإسلام » ص (٦) ، دار المعارف بمصر ٢٠٠٤م ، وانظر ص (٥٠) حيث إجماع بعض الساسة الغربيين على أن الإسلام هو العدو .

(٢) نفسه ص (٦١) ، ويرى الكاتب البريطاني باتريك ميل أن الغرب اعتاد الاختباء وراء عبارة (الأصولية الإسلامية) ، بينما يقصد في الحقيقة (الإسلام) نفسه ، ولذلك يتعمد الغربيون الخلط بين الإسلام والإرهاب لأن مفهوم الأصولية الإسلامية عندهم هو الإسلام ذاته ، ص (١٠٦) .

(٣) نفسه ص (٥٠) .

(٤) يُنظر كتاب « عصر التشهير بالعرب والمسلمين » للدكتور جلال الدين أمين حيث أثبت (أن المسلمين والعرب يتعرضون اليوم ، في عصر العولمة وإسرائيل ، لحملة من التشهير والتحقير لم يحدث لها مثيل في التاريخ) ص (١٩) ، ويلفت نظرنا إلى الإصرار الشيطاني على خلط الحق بالباطل ، وغرس الأكاذيب في عقول الناس ومحو ذاكرتهم . ص (٣٦) ، ط. دار الشروق ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م .

تبدو صناعة كبيرة تستخدم كل وسائل التأثير والإقناع العاطفي والمنطقي ، وتعمل بإلحاح على إثارة شاعر الكراهية والخوف معًا من الإسلام والمسلمين)[١] .

والحقيقة أن الخوف المزعوم من الإسلام ليس له ما يبرره (فالمسلمون اليوم ـ في رأي الدكتور ثابت عيد ـ في حالة ضعف وهم عاجزون عن تصنيع دراجة أطفال دون الاستعانة بالتكنولوجيا الغربية ، بينما الغرب لدية أسلحة فتاكة ، وقنابل مدمرة ، تكفي لسحق المسلمين ، بل تكفي لتدمير الكرة الأرضية)[٢] .

وفي سبيل مواجهة هذا العداء ثقافيًا ، فإننا نشارك الأستاذ رجب البنا الرأي في ضرورة عمل جميع المؤسسات الإعلامية والفكرية والثقافية والدينية في كل الدول الإسلامية لمواجهة هذا التيار العدائي والرد عليه (وإذا لم نعمل بقوة وبسرعة ، وباستمرار ، فلا نلوم إلا أنفسنا فيما يحدث وما سيحدث لنا)[٣] .

---

(١) نفسه ص (٣٠٣) .

(٢) نفسه ص (٢٤٨) .

(٣) نفسه ص (٢٨) ، وليكن الهدف الدعوة إلى الله ﷻ بواسطة إزاحة الصورة النمطية المتوارثة لدى الغربيين وإحلال التصور الإسلامي الصحيح والذي كان سببًا لاهتداء الكثيرين من الباحثين عن الحق بتجرد .

۞ علاقة الغرب بالشرق : أهي حوار أم صدام ؟

إن مناقشة موضوع علاقة الغرب بالشرق موضوع قديم ، أسبق من أحداث سبتمبر ٢٠٠١م أو ما نراه الآن من عقد مؤتمرات وكتابة مؤلفات وبحوث ومقالات تتناول هذه العلاقة بالبحث والمناقشة ، ومحاولة الإجابة على سؤال : هل هي علاقة صراع أم علاقة حوار ؟

ويبدو لأول وهلة أن الغرب حسم موقفه منذ زمن بعيد ، واتخذ موقف الصدام والعداء ، ومع هذا ، فإننا لن نتعجل بتبني هذا الرأي ، بل سنمضي مع المنهج الاستقرائي ، راضين بنتائجه :

فمما يرجح ذلك ـ على سبيل المثال ـ رأي الدكتور السنهوري باشا رحمه الله حيث كان يعيش في فرنسا في العشرينات فأثارته النظرة الدونية التي يحملها الغرب للشرق ، فكان مما لاحظه ودوّنه في مذكراته التيار الذي يعتقد أن الشعوب الملونة غير صالحة للحضارة ، والتيار الذي يتبنى شعار (إن الشرق شرق ، وإن الغرب غرب ، ولن يلتقيا ، وإن ازدهار أحدهما يهدد الآخر)[١] .

ويعلق على ذلك بقوله : (هذه العبارات المتداولة يرددها ويستغلها السياسيون الذين يتخذونها مبررًا لسياستهم الاستعمارية وسيطرتهم التجارية التوسعية ، أنه يحلو لهؤلاء أن يصفوا الوحدة الإسلامية بأنها تعصب ، والوحدة العربية بأنها ثورية ..)[٢] .

(١،٢) د/ محمد عمارة « اسلاميات السنهوري باشا » ج١ ، ص (٣١٦) ، دار الوفاء بالمنصورة ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م .

ويسجل أيضًا نفس الظاهرة ـ العلّامة محمد البشير الإبراهيمي ـ الذي اكتوى بنار الاستعمار الفرنسي للجزائر ، فيقول : (إن الاحتقار هو الأساس الخلقي الذي وضع عليه الاستعمار قواعده ، وبنى عليه قوانينه ، وإن ملكة الاحتقار هي الغاية في العالم الاستعماري ، ينتهي إليها عالمه ، وحاكمه ، ومشرّعه ، ومنفذه ..) [1] .

وربما كانت هذه النظرة العنصرية ـ أي نظرة الاحتقار ـ مع غيرها من الأسباب ، هي التي بذرت بذور العداء المستحكم للعرب والمسلمين في العصر الحديث .

أما الأسباب الأخرى ، فتتمثل في النظرة الغربية التاريخية للصراعات مع الشرق الإسلامي منذ معارك الفتوحات الإسلامية الأولى ، ونزعة الانتقام التي لم تخمد منذ الحروب الصليبية .

وقد عرض الدكتور سعيد اللاوندي بكتابه الفريد بعنوان « فوبيا الإسلام في الغرب » لقضية عداء الغرب للإسلام مرجحًا العمل بنظرية صدام الحضارات .

ونسجل هنا التطورات المتلاحقة في الغرب :

منها ما صرح به الرئيس الأمريكي السابق بيل كيلنتون بقوله إن العداء للإسلام أصبح بديلًا عن العداء للسامية ، وتصريح الرئيس بوش عن الحروب الصليبية عن عمد ـ عند شن الحرب على العراق ـ وليس زلة لسان ، ومنها اتساع تيار اليمين المتطرف في بلدان أوروبا كفرنسا والنمسا وبلجيكا وإيطاليا وسويسرا وإسبانيا ، ومنها أن الغرب بات يرى في الحركات الإسلامية نوعًا من التبشير على غرار التبشير المسيحي من منطلق روح الحرب الصليبية ، كما حدثت أوساط

---

(١) محمد البشير الإبراهيمي « عيون البصائر ٢ » ص (٤٠٢) ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ـ الجزائر ، بدون تاريخ .

أكاديمية عن أن التاريخ الإسلامي على مدى ١٤٠٠ سنة يؤكد أن الصراعات بينه وبين الغرب لم تتوقف في أي لحظة ، بدءًا بحروب الفتوحات الإسلامية الأولى مرورًا بالحروب الصليبية ، وانتهاء باحتلال الغرب لدول الإسلام ، ويغذي ذلك كله الصور المشبوهة عمدًا بالقواميس والكتب المدرسية للعرب والمسلمين .. وأخيرًا الرسوم المسيئة للرسول ﷺ [١] .

وفي ضوء هذه الصراعات الطويلة نستطيع تفسير الهجمة الأمريكية الصليبية المتصاعدة الآن .

يقول الأستاذ مرسي عطا الله : (أريد أن أقول بوضوح : إن الحرب ضد العراق ـ وقبلها الحرب ضد القاعدة ـ لم تكن سوى مجرد عمليات تكتيكية في سلسلة من الحركات والتحركات المضادة التي تستهدف تغيير خريطة الدنيا ، بعد إعادة ترتيب النظام الدولي وفقًا للمقاصد الأمريكية .

والحقيقة أن أحد أهم أهداف ما يجري في العراق هو ترهيب وترغيب معظم دول المنطقة لتيسير مهمة « أمركة » العقل العربي في ظل غطاء خادع يروج له صقور البنتاجون بدعم من المحافظين الجدد ، بأنه لابد من سرعة حسم ما يسمى بالمواجهة الحتمية بين أمريكا والإسلام السياسي المتغلغل في ربوع الشرق الأوسط ، وبالتالي لابد أن تبدأ المواجهة الآن وبشروط أمريكا بدلًا من الانتظار ،

---

(١) يُنظر كتاب « فوبيا الإسلام في الغرب » تأليف د/ سعيد اللاوندي ، صفحات (١٥٧،١٥١،١١٣،٢١،١٠،٩) كتاب اليوم ـ أبريل ٢٠٠٦م .
والكتاب في مجمله حافل بالنعرات الكثيرة التي تُحرض العالم الغربي على شن حرب ضروس ضد الشرق العربي والإسلامي (٩/ ١٠) .

وساعتها - ربما - تكون المواجهة بشروط الإسلاميين)[١] .

ونكتفي بهذا القدر خشية الإطالة ، إذ توصلّنا بعد البحث إلى رؤية العداء الغربي المستحكم وطبيعته العدوانية منذ أجداده الرومان ، واستمرار حروبه الصليبية المتعاونة مع الصهيونية في العصر الحديث بلا توقف ، ورفضه القاطع لتواجد أي « دويلة » إسلامية في ربوع أوروبا - بعد قيامه بهدم الخلافة العثمانية بواسطة اليهودي الدونمي أتاتورك - ، وحرصه المتواصل طيلة القرون العديدة للمحافظة على تفوقه وإعاقة أي حركة مقاومة إسلامية ، ونأتي في الختام إلى استنتاج ذلك من حرب العراق « ٢٠٠٣م » والتصميم على البقاء في المستنقع العراقي مهما تكبدوا من خسائر لأنهم على استعداد لتحملها في مقابل الهدف الثمين المتحقق على الأرض ، وهو هزيمة دولة عربية إسلامية وتحطيمها ، والاستمرار في جني ثمار مخططا تحققت بعد قرون من العمل الدءوب ، والجهد المتواصل .

يقول الدكتور محمد مورو : « فالرئيس الفرنسي نفسه قال عندما تعاظمت المقاومة العراقية ، وبات من الممكن هزيمة أمريكا في العراق : إنه على الرغم من معارضته للحرب فإنه لا يجب أن يرى الغرب « وأمريكا » تنهزم هناك على يد المقاومة الإسلامية ، وهو ما ردده أيضًا وزير الخارجية الألماني « هانزجينشر » . وبديهي أن نفس الكلام وأوضح منه قاله كل من توني بلير رئيس الوزراء البريطاني ، وهنري كسنجر وزير الخارجية الأمريكية الأسبق الذي لخص المسألة كلها بقوله : (إن خسارة أمريكا للحرب في العراق تعني ضياع جهود أربعة قرون على الغرب كله ، وليس أمريكا وحدها) »[٢] .

---

(١) مرسي عطا الله ، مقال بعنوان « كل يوم » جريدة الأهرام في ٢١/ ٦/ ٢٠٠٧م .

(٢) د/ محمد مورو « الضمير الغربي .. ولعبة النفاق السياسي » ص (١٥) من مجلة المختار الإسلامي بالقاهرة ، غرة =

وليس بعد هذا الإقرار دليل يُضاف .

وبعد ، فكنّا نود العيش في ظل حوار ثقافات وتعايش في سلام بين الأمم والشعوب ، ولكن بعض استعراض جوانب العلاقات بين الغرب وأمة الإسلام على مدى التاريخ ، وحتى العصر الحديث ، تبيّن لنا بالمنهج الاستقرائي الذي يضم بين دفتيه كلًّا من : آراء فلاسفة الغرب وساسته وزعمائه والحروب التي شنها الغرب علانية ثقافيًا وعسكريًا . تبين أن الغرب يصر على تغليب حرب صراع الحضارات ، فهل نحن لها ؟

إن المعركة طويلة ويجب الاستعداد لها والأخذ بكل أسباب القوة وإزالة كل العوامل المؤدية للهزائم ـ وكان السلف الصالح يضع على رأسها المعاصي فيتخلّص منها ـ ثم التوكّل على الله ﷻ ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٧٣-١٧٥] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَـٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [المجادلة : ٢٠-٢١] .

ربيع الثاني ١٤٢٧هـ - ٢٩ أبريل ٢٠٠٦م .



- العودة إلى الدين في الغرب .
- انحسار العلمانية أمام نشاط الكنيسة .
- تاريخ تبنّي أمريكا للرسالة الصليبية العالمية .
- مكانة الدّين في السياسة الخارجية الأمريكية .
- الدور الذي يلعبه الدّين في السياسة الغربية .

۞ العودة إلى الدين في الغرب :

بكلمة موجزة تصوّر عودة العالم الغربي إلى الدين قال علي بيجوفيتش : (إن العودة إلى الدين أصبحت ظاهرة عالمية في كل مكان ، قمع فيه الشيوعيون الدين على مدى خمسين إلى سبعين سنة ، نعم هناك أسلمة في البوسنة .. وهي صحوة إسلامية بقدر ما فيها من صحوة أرثوذكسية وكاثوليكية ، ولكن الفرق هو أن عودة المسيحيين إلى دينهم لم تلفت انتباه أوروبا المسيحية ـ وهو أمر أفهمه ولا ألومها عليه ـ أما عودة المسلمين فقد اعتبرته أمرًا مفزعًا)[(١)] .

وتثير هذه الجملة ـ على قصرها ـ خواطر كثيرة ، منها عودة المسيحيين إلى دينهم ، وهي ظاهرة أثارت المراقبين والباحثين والعلماء بعد إفلاس العلمانية[(٢)] ، كما يصف أوروبا بأظهر سماتها ـ أي أوروبا المسيحية ـ لأنه يعلم بحكم معيشته بها أنها تستمسك بدينها المسيحي .

وسنأتي إلى تحليل عبارة علي بيجوفيتش السالفة الذكر :

---

(١) مجلة المختار الإسلامي ـ القاهرة ربيع الأول ١٤٢٥هـ - مايو ٢٠٠٤م ص (٩٥) .

(٢) وهو الحكم الذي أصدره الباحث الفرنسي جيل كيبل عند وصفه لحركات إعادة خلق مجتمع مسيحي في أوروبا الغربية ، والتأكيد على كاثوليكية أوروبا الشرقية .

يُنظر كتاب « الحركات الأصولية المعاصرة في الديانات الثلاث » ص (٥٩) ، ترجمة نصير مردة ، دار قرطبة الياسول ، ط ٢ ، ١٩٩٨م .



انحسار العلمانية أمام نشاط الكنيسة :

تبنّت العلمانية فكرة الفصل بين الدين والسياسة ، وظل العلمانيون يقاومون بشدّة تدخل الكنيسة في الأنشطة السياسية والاجتماعية ، ولكن يبدو أن العلمانية ضُربت أخيرًا في مقتل لأن الكنيسة الكاثوليكية بقيادة البابا السابق والحالي دهست أمامها آثار مقاومة العلمانيين بآرائها الجريئة بدمج المبادئ المسيحية بالأنشطة السياسية .

يقول ميران مشيدلوف : (.. توجد عوامل تعارض بشدة مسيرة العلماني على الحياة ، ولا يقتصر هذا على قادة الكنيسة والمنظمات إضفاء الطابع الطائفي بل يحاولون تقوية وضع الدين وجذب المزيد من المؤمنين عن طريق تجديد أو تنقية تفسير العقائد الرئيسة ، وعن طريق تحديث العبادات ، بل يتم أيضًا ... الإيمان بالدين في أوساط قطاعات معينة من السكان)[١] .

وفي المؤتمر الدولي للقانون الكنسي الذي عقد في الثالث عشر من أكتوبر ١٩٨٠م تحدث البابا جون بول الثاني عن دور الدين والكنيسة في حل المشكلات العالمية التي تواجه الإنسان فقال : (إن العقل الإنساني وكل المؤسسات الإنسانية لا تستطيع بمفردها حل هذه المشكلات .. مما يعرض مستقبل الإنسان بالتهديد ، وأنه لم يتعرض لخطر الفناء ـ بالمادة وأدوات الحرب ـ مثل الآن ولذلك أصبحت العوامل الدينية والروحانية على قدر كبير من الأهمية بالنسبة له)[٢] .

---

(١) ص (٦٢) من كتاب « الدين في العالم اليوم » ميران مشيدلوف ترجمة جمال السيد ، دار العالم الجديد بالقاهرة ١٩٩٠م .

(٢) نفسه ص (٦٣) .

وأخيرًا ، فقد أغلق البابا الحالي الباب في وجه العلمانيين نهائيًا ، إذ أوردت جريدة « الأهرام » القاهرية نبأ زيارته لبولندا تحت عنوان : « بابا الفاتيكان يدعو إلى مناهضة العلمانية بنشر المسيحية في العالم » .

ويتضمن الخبر أيضًا السلوكيات الدالة على التقارب الشديد بين الكنيسة واليهود ، فقد توجه (البابا بنديكت إلى معسكر « اشفتيز » الذي شهد المحرقة النازية لليهود أمس ، قبل أن يعود إلى روما ، وأقام حاخام اليهود في بولندا الصلاة على ضحايا المعسكر في احتفال خاص ترأسه البابا)[١] .

ويتبين أيضًا من عنوان الخبر رغبة الكنيسة في نشر المسيحية في العالم ، أي تنصير العالم .

وجاء بتعليق مسعود ضاهر على كتاب جورج قرم بكتابه « شرق وغرب : الشرخ الأسطوري » قوله :

(لقد أبدع جورج قرم في تحليل الخطاب النرجسي الأمريكي الجديد ، وأظهر تراجع الفكر الأوروبي نفسه عن العلمانية لمصلحة أسطورة « الشعب المختار » التي بررت قيام اسرائيل مستغلة تأييد أوروبا وأمريكا ودول أخرى في كل أعمالها العدوانية ، وباتت العلمانية وبخاصة في جانبها الأمريكي ، علمانية خادعة بعد أن أسلمت قيادها إلى مسيحية يهودية متحالفة تحالفًا وثيقًا مع الحركة الصهيونية ، وهي قيادة مصابة بجنون العظمة ، وتدعي اكتشاف طريق الخلاص الأبدي الذي يعادي الإسلام ويعتبره ديانة إرهاب بعد إخراجه من دائرة الديانة التوحيدية كما كان يصنّف سابقًا . وتستخدم العولمة الاقتصادية ونظام السوق ، والنظام العالمي

---

(١) جريدة الأهرام ، القاهرية بتاريخ ٢ من جمادى الأولى ١٤٢٧هـ - الموافق ٢٩ مايو ٢٠٠٦م .

الجديد لتمرير مقولات غيبية تدعو إلى خلاص البشرية بالقوة عن طريق تدمير « البرابرة » أي كل الشعوب التي تعادي النزعة الإلهية للشعب الأمريكي المختار ، وقائده)[١] .

۞ تاريخ تبنّي أمريكا للرسالة الصليبية العالمية :

يؤرخ رضا هلال لبدء لرسالة الصليبية العالمية التي تبنتها أمريكا منذ عام ١٨١٩م بمحاولة تحويل جزر هاواي إلى المسيحية الايفانجيلية أي بروتستانت متشددين ، والأصولية الإيفانجيلية تعتقد في عصمة الكتاب المقدس والتفسير الحرفي للنبوءات التوراتية حول بعث اليهود ومجيء المسيح ، والشيء نفسه تكرر مع أهل الفلبين ، ومع أنهم كانوا مسيحيين فقد تحول الغرض إلى تحويلهم إلى البروتساتينية .

وكانت محاولة ويلسن بإنشاء عصبة الأمم في حقيقتها (أضخم حملة صليبية منذ أن بعث السيد المسيح عليه السلام بحوارييه الاثنى عشر لتعليم الأخوة الإنسانية) .

واعتبر الرئيس ترومان أن الحرب العالمية الثانية هي حرب بين الإيمان والمادية أساسًا ، واصفًا الشيوعية بأنها تناصب القيم الروحية العداء .

وإلى اليابان وصل الجينرال باك آرثر بعد ضربها بالقنبلة الذرية ، بأجندة كان ضمنها تحويل اليابانيين إلى المسيحية[٢] .

---

(١) مقال بعنوان « جورج قرم في كتابه (شرق وغرب : الشرخ الأسطوري) : الأزمة المستعصية في علاقة الشرق والغرب » ، بقلم مسعود ضاهر ، الحياة في ٤/٨/٢٠٠٣م ، ص (١٠) .

(٢) رضا هلال : « المسيح اليهودي ونهاية العالم ـ المسيحية السياسية الأصولية في أمريكا ـ » ، مكتبة الشروق ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م . ص (١٩٢) ، ص (٢٢١) .

ويقول رضا هلال في النهاية : (وبعد مرور ربع قرن من صعود اليمين المسيحي في الولايات المتحدة ، تظل حقيقة واضحة هي أن أي تحليل للسياسة الأمريكية الداخلية والخارجية ، في المدى القصير أو المدى الطويل ، لابد وأن يأخذ في الاعتبار أن اليمين المسيحي قد أصبح جزءًا فاعلًا ومهمًا في المشهد الاجتماعي والسياسي الأمريكي)[(١)] .

ووجد بعد ذلك اليمين المسيحي طريقه إلى داخل الحزب الجمهوري متحالفًا مع اليمين السياسي . . فعقب مؤتمر ترشيحه للرئاسة عام ١٩٨٠ أعلن ريجان تأييده للأجندة الأخلاقية لليمين المسيحي ، في خطاب وجهه إلى اجتماع كهنوتي .

ومن أقوال ريجان : (إن جميع النبوءات التي يجب أن تتحقق قبل هرمجدون قد مرت ... ولأول مرة يبدو كل شيء في مكانه بانتظار هرمجدون والمجيء الثاني للمسيح عليه السلام) .

وينتهي رضا هلال في تأريخه للإحياء الأصولي بأنه قد قوى الاعتقاد بالألفية والمجيء الثاني للمسيح ، وانضمت دعوة اليهود إلى القدس بعد انتصار إسرائيل في حرب ١٩٦٧م تحقيقًا لنبوءات التوراة وعلامة على قرب نهاية التاريخ .

وهذا ما يفسر لنا حقيقة انقياد أمريكا لإسرائيل ومعاونتها اقتصاديًا وسياسيًا وعسكريًا .

كذلك يعثر الباحث على شواهد لا حصر لها ، يتضح منها تغليف الأهداف السياسية برداء ديني لا يحتمل الشك ، ويكفي انتقاء بعضها ، في مثل قول واحد

---

(١) نفسه ص (١٩٤) .

من قادة البشارة الإجتماعية بأن هدف أمريكا تحقيق مملكة الرَّب ، وويلسون الذي قاد الولايات المتحدة في الحرب التي وصفها بأنها حملة صليبية لجعل العالم سالمًا من أجل الديمقراطية (وهو نفس قول بوش الأب والابن) ، مع نظرة التعالي والغرطسة التي تتضح من هتافه بعد ضمّ الفلبين وبورتويكو ، قال : (إنهم أطفال ونحن رجال في تلك الشئون العميقة للحكم والعدل)[١] .

۞ مكانة الدين في السياسة الخارجية الأمريكية :

خلص رضا هلال من دراسته لمكانة الدين في أمريكا إلى القول بأن الفصل بين الدولة والكنيسة في التجربة الأمريكية ـ كما ورد في التعديل الأول للدستور ـ في الحق كان جهدًا لحماية الدين من الدولة وليس لحماية الدولة من الدين[٢] .

وعن دعم الرؤساء الأمريكيين للحرية الدينية ، يذكر رضا هلال أن معظمهم أبدى ميولًا دينية ، فالرئيس جورج واشنطن طالب بدولة تظلّها الكنيسة . ودعا الرئيس ويلسون كل الأمريكيين في منازلهم وفي أماكن العبادة المختلفة إلى الصلاة وتقديم الشكر للرب الحاكم للأمم . . ووصف روزفلت الأمريكيين بأنهم عالقون بالعهد القديم ويؤمنون بالوصايا العشر باعتبارها القانون الأساسي للرب . واعتبر ايزنهاور أن الرب هو الذي وهب الصبغة الأمريكية للحكومة وأن الإيمان الديني هو الاعتبار الأول والأساسي لأن يكون المرء أمريكيًا ،

---

(١) نفسه ص (١٨٠ - ١٨٥) .

وجاء تعليق مؤلف الكتاب واصفًا الحقيقة بقوله : (وذلك في النهاية كيف أن ولسون في الحقيقة قلّد المسيح عليه السلام إنه لم يأت بسلام ولكن بسيف) ص (٢٠٨) .

(٢) رضا هلال : « تفكيك أمريكا » ص (١٢١) ، دار مصر المحروسة ، ط٣ ، ٢٠٠٣م .

وكان الرئيس كارتر يحضر خدمات الكنيسة ويصلي في الأماكن العامة ، ويمتنع عن تقديم الخمور في البيت الأبيض في مناسبات معينة .

وكل هذه السلوكيات والأقوال تدل على استجابة الرؤساء الأمريكيون للطبيعة المتدينة للشعب الأمريكي . . وقد أقحم الرئيس ريجان الدين في السياسة أكثر . . فكان في حملته الانتخابية يطوف الولايات المتحدة حاملًا الإنجيل ، معلنًا أن فيه الحلول لمشكلات المجتمع الأمريكي[١] .

وفي استعراض تاريخ هيمنة الاتجاه الأصولي على البروتستانتنية الأمريكية ، يذكر الباحث سمير مرقص أن هذه الأصولية رفضت بشكل قطعي اجتهادات المسيحية الجديدة في الحياة الحضرية الحديثة ، ويعتبر عام ١٩٤٢م نقطة تحول مهمة في تاريخ الأصولية البروتستانتينية التي خطت خطوات بعيدة في التأثير والضغط على السلطتين التشريعية والتنفيذية بعد انتقالها من الحركة إلى المؤسسة التي تلعب دورًا سياسيًا في عمليات « التسييس » .. إلى أن يقرر بأنه (نتيجة لما سبق ومنذ ١٩٧٠م تقريبًا استطاعت الحركة الأصولية البروتستانتينية أن تلعب دورًا مؤثرًا في الحياة السياسية الأمريكية ، واستعادة المفاهيم والتصورات النظرية النقية التي طرحتها الأصولية في بدايات القرن ، وصبغها بأبعاد سياسية ، واستخدامها في الواقع السياسي الأمريكي ، بل وامتدادها لتشمل السياسة الخارجية الأمريكية)[٢] .

ويقول رضا هلال : (أما اليمين المسيحي فإنه يتبنى رؤية صليبية للعالم

---

(١) نفسه ص (١٢٢) .

(٢) سمير مرقص : « رسالة في الأصولية البروتستانتينية والسياسة الخارجية الأمريكية » ص (١٣) ، مكتبة الشروق ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .

« تقسمه إلى أخيار وأشرار » وتحرّكه بشارة تهيئة العالم للمجيء الثاني للمسيح في أورشليم ونهاية العالم . وذلك ما يفسر العداء للإسلام والمسلمين والانحياز للصهيونية)[١] .

ومن قبيل الاستطراد ملاحظة اتصاف أغلب زعماء أمريكا بالتدين ، دون التقيد بالطابع الرسمي الشكلي العلماني للدولة . . يروي تشرشل في مذكراته أنه اجتمع مع روزفلت وسفير الاتحاد السوفيتي في واشنطن لوضع إعلان الأمم المتحدة الذي نُشر في يناير ١٩٤٢م ، فاعترض السفير السوفيتي على عبارة « الحرية الدينية » التي وردت في المشروع ، فقام روزفلت وألقى محاضرة طويلة عن الموت والنشور والبعث والحساب والجنة والنار؛ فسحب السفير معارضته .. وشجّعه تشرشل لترشيح نفسه للدورة الثانية لرياسته قائلًا : (إذ لو لم يعد الأمريكيون انتخابك ، فسيكون البريطانيون سعداء إذا قبلت أن تعتبر كبيرًا للأساقفة في بلادهم . فبلاغتك في الوعظ ، وعلمك بالدين يؤهلانك لذلك)[٢] .

ونأتي بالشواهد على التغييرات العميقة التي كانت تؤدي دورها في داخل المجتمع ثم ظهرت على السطح عندما سنحت الفرصة :

١. زعم اليهود أن المسيح « الدجال » لا يظهر إلا بعد بناء الهيكل .. ولهذا فهم يسعون جادين لهدم المسجد الأقصى ..

(وقد انضم إليهم ملايين النصارى في الولايات المتحدة وتبرعوا بمئات الملايين من أجل هدم المسجد الأقصى ..

---

(١) رضا هلال « تفكيك أمريكا » ، دار مصر المحروسة ـ القاهرة ، ص (١٦) ، الطبعة الثالثة ٢٠٠٣م .
(٢) « الإسلام والمسلمون » فتحي رضوان ، ص (٣٩٢) ، دار الشروق ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م .

ويذكر التلمود المسيح « الدجال » سيظهر بعد حرب التنين ، والتي سيهلك فيها ثلث سكان العالم ، وأن جميع الأجانب الباقين على قيد الحياة سيؤمنون به)[١] .

٢. ويذكر الدكتور وحيد عبد المجيد أن سيادة اليمين الديني والمحافظ وهيمنته على مجلسي الكونجرس وإمساكه بمفاتيح السياسة والفكر والإعلام .

هذه السيادة كانت على حساب خفوت أصوات ليبرالية ، وكان من أهمها في مجلس الشيوخ السناتور « وليم فولبرايت » صاحب كتابيّ « غطرسة القوة » و« ثمن الامبراطورية » . وفي مجلس النواب برز « لي هاملتون » الذي كان أول من وجه الأنظار إلى ضرورة مراجعة سياسة القوة في مطلع التسعينات[٢] .

ولا شك أنه بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١م أصبح لليمين المسيحي اليد الطولى في رسم السياسات والسيطرة على الإعلام وتكميم الأصوات المعارضة حتى يتمكن من تنفيذ ما حوته أجندته في استمرار الحرب الصليبية الصهيونية .

وبعد أن تراجع بوش عن تصريحه بوصف الحرب بأنها صليبية ، يفاجئنا الفاتيكان بالتدخل ليضفي بطريقة غير مباشرة هذه الصبغة إذا اعتبر (مسؤول في الفاتيكان أن مغادرة العراق اليوم ستغرقه في حرب أهلية مع احتمال أن يؤدي الأمر إلى نظام متطرف أصولي ، وحض الكاردينال ريناتومارتينو على منح الأمم المتحدة الوقت لتتمكن من السيطرة على الوضع في العراق بعد

(١) د/ محمد علي البار : « المسيح المنتظر وتعاليم التلمود » ص (١٢٨) ، الدار السعودية بجدة ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
(٢) د/ وحيد عبد المجيد « الإرهاب وأمريكا والإسلام ـ من يطفـ [illegible] (١٤٠ - ١٤٢) .

٣٠ حزيران ـ يونيو ٢٠٠٤م ـ وتمنّى أن تحل قوات مفوّضة من الأمم المتحدة محل قوات التحالف . وانتقد الحكومة الأسبانية لاستعجالها في سحب قواتها قبل تسلم الأمم المتحدة)[1] .

۞ الدور الذي يلعبه الدين في السياسة الغربية :

برعت حضارة العصر والأبواق التابعة لها في إخفاء الحقائق وراء السلوكيات المرئية لنا ، إذ خدعتنا ـ ولا تزال ـ بالتظاهر بخلع ثياب الدين لأنه من « مخلفات العصور الوسطى » بينما المتابع اليقظ لمجريات الأمور يرى أننا نعيش قرنًا ليس أقل تعصبًا أو تطرفًا من القرون الوسطى فالذي غاب عن بعض زعمائنا في التحرر الوطني أن العالم الغربي « مؤمنه وملحده » يتعامل مع العالمين العربي والإسلامي على أساس ديني محض وكيف سيطرت المعتقدات الدينية على رؤساء وساسة أمريكا وإنجلترا « وعد بلفور » ـ بل منذ سنة ١٨٨٠م أصدر رجل الدين وعضو البرلمان الإنجليزي « لورانس أوليفانت » كتابًا أسماه « أرض جلعاد » دعا فيه لطرد العرب مثلما حدث للهنود الحمر في الولايات المتحدة الأمريكية ، لأنهم « غير جديرين بأية معاملة إنسانية » فهل هناك غرابة بعد ذلك في أن يطالب « بن جوريون » بمعاملة العرب على نحو ما عاملت أمريكا سكانها من الهنود الحمر الأصليين ؟ ![2] .

---

(١) مجلة « الحوادث اللبنانية (الجمعة ٢٨ أيار ـ ٣ حزيران ٢٠٠٤م) ، ص (١٨) ، (موضوع الغلاف) تحقيق بقلمي سليم نجم (بغداد) ، وعصام العياش (واشنطن) .

(٢) د/ محمد عصفور ، جريدة الوفد القاهرية ، بتاريخ ٢/ ٧/ ١٩٨٨م .

كذلك يتضح للدارسين للعلوم السياسية وتاريخ تطورها ، والمتابعين للظاهرة الدينية في الغرب ، يتضح لهم بما لا يدع مجالًا للشك أن الظاهرة نمت وأينعت ، إذ (عاد الدين الكاثوليكي ليؤسس التجانس والانصهار كما فعل من قبل في الدولة الرومانية المقدسة)[١] .

وهل نغفل أيضًا الارتباط الديني بين النصرانية واليهودية المليء بالأسرار ـ كما تجلّيه الباحثة ريجينا الشريف ـ ونلمحه في الارتباطات والعلاقات في ميادين (الآداب والتاريخ والعقائد والسياسة حتى التراث الغربي مليئٌ بالأساطير اليهودية)[٢] .

ومن الظواهر التي يجب أن تستأثر باهتمامنا في مجال استخدام الدين سياسيًا في الغرب ، هي ظاهرة إلقاء أجهزة الإعلام الغربية الضوء الشديد على التدين في العالم الإسلامي وحده والتشويه المتعمد للإسلام كالترويج لكتاب سلمان رشدي « الكذاب الأشر » في الوقت الذي تصمت فيه صمتًا مريبًا عن تمام النفوذ السياسي للكنيسة الكاثوليكية ، فضلًا عن حقيقة إنشاء إسرائيل على أساس توراتي ورفع شعار (المناداة بعودة اليهود إلى فلسطين كمقدمة حتمية لعودة المسيح المنتظر تبعًا لنبوءات العهد القديم)[٣] .

---

(١) « الدين والدولة في الواقع الغربي (دراسة لواقع ودور الدين في الدولة القومية) » دكتور عبد العزيز صقر ، ص (٣٩) ، دار مكتبة العلم للجميع ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .

(٢) « الصهيونية غير اليهودية ، ص (١٨) (جذورها في التاريخ الغربي) » ريجينا الشريف ، ترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز ، سلسلة كتب ثقافية ، عالم المعرفة ـ الكويت ، ربيع الأول ١٤٠٦هـ - ديسمبر ١٩٨٥م .

(٣) نفسه ص (٥٤- ٥٥) .

والدراسات العلمية الجادة التي تصدر تباعًا لتكشف عن هذا الجانب الذي يتعمد العلمانيون إخفاءه لإظهار حضارة العصر وكأنها حضارة لا دينية ! فهل هو استخفاف بالعقول ؟ أم إيثار للراحة اكتفاءً بترديد أقوال أجهزة الدعاية المضللة ؟ !

وقد عنى الدكتور عبد العزيز صقر بدراسته العلمية الموضوعية بتتبع دور الدّين في الغرب كدافع للسلوك السياسي والقيادي وكرابطة اجتماعية وكعامل للتوحيد والتجانس والاندماج السياسي ، وخلص إلى النتائج الآتية :

١- لا يزال الدين أحد متغيرات السلوك السياسي الفردي .

٢- لا تزال الكنائس تدافع عن حقها في الممارسة السياسية أو على الأقل التوجيه السياسي .

٣- ولا يزال الدين عاملًا هامًّا في عملية التكتل الاجتماعي والوحدة السياسية .

لقد أمسك الباحث بتلابيب الغرب متلبسًا بتوظيف الدين سياسيًا ببلدانه جميعًا بلا استثناء (فرنسا ـ إنجلترا ـ إيطاليا ـ ألمانيا ـ إسبانيا ـ بلجيكا ـ هولندا ـ أمريكا)[1] .

وقد أفردت الدكتورة زينب عبد العزيز أيضًا كتابًا حشدت فيه الأدلة التاريخية والمعاصرة التي تؤكد الصبغة الصليبية لحرب العراق . ومن الأدلة التي ساقتها قالت : (وإذا ما فتح القارىء الإنترنت على جريدة أومانيتيه الفرنسية

---

(١) « الدين والدولة في الواقع الغربي (دراسة لموقع الدين في الدولة القومية) » ص (٢٨٥) ، د/ عبد العزيز صقر ، دار ومكتبة العلم للجميع بالقاهرة .

وهي تعرض أرشيفها للقراء مجانًا ، سيجد ٣٣٥ عنوانًا تحت مسمى حرب صليبية ، وكلها مقالات صدرت في الآونة الأخيرة وخاصة بعد أحداث ١١ سبتمبر أو عند الإعداد -لحرب العراق) ، ثم اقتطفت منها بعض الفقرات لعل أهمها :

(وفي ٢٨/١٢/٢٠٠٣م كتب القس جاك موري الرئيس السابق للاتحاد البروتستانتي في فرنسا تحت عنوان « البعد الديني يعقد كل الأمور » لا يمكن استبعاد البعد الديني من الوضع الراهن ، فالصراعات الدينية كانت سببًا في اجتياح يوغوسلافيا السابقة ، وفي أيرلندا وبريطانيا ، ولا أقول شيئًا عن مأساة فلسطين اليوم والاستفزاز الديني الذي قام به شارون باجتياحه ساحة المسجد ، والأصولية التي تحوم حول البيت الأبيض التي تحدد باسم « الرب » السياسة الأمريكية المحابية لإسرائيل بلا قيد أو شرط ، الأمر الذي يجعلها أكثر تعقيدًا ... لذلك ، حينما أسمع الرئيس بوش يتحدث عن حربه الصليبية للخير ضد الشر ، أتوقع أسوأ ما يمكن توقعه)[1] .

---

(١) ص (٢٢) من كتاب « حرب صليبية بكل المقاييس » د/ زينب عبد العزيز ، دار الكتاب العربي ـ دمشق ـ القاهرة ٢٠٠٣م . وهو من سلسلة كتبها بعنوان « صليبية الغرب وحضا ».



❁ الغرب صانع الإرهاب .

❁ من أدوات الإرهاب : مدرسة التعذيب .

❁ الإبادة بدوافع دينية في الحروب الصليبية .

❁ تفاصيل خطط الإبادة كما وردت بكتاب « مؤامرة الغرب الكبرى » .

❁ الغرب صانع الإرهاب :

إن من أعجب ما نقرأه ونسمع عنه هو إلصاق تهمة « الإرهاب » بكل من هو مسلم ، بينما حقيقة الإرهاب أنه صناعة استعمارية غربية استخدمه الغرب في إخضاع الشعوب لسيطرته بالقوات العسكرية التي لا تعرف ولا تستخدم إلا الحديد والنار لقهر الشعوب المغلوبة على أمرها !

وأمامنا في مطلع القرن الواحد والعشرين الميلادي مشاهد جرائم إسرائيل مع أهل فلسطين ومخازي الصرب مع المسلمين والمسلمات في البوسنة والهرسك ، ووحشية الروس مع الشيشان ، وكلها تتفق في اكتساح المدن وحرقها وأعمال الإبادة والاغتصاب مما يندى له الجبين .

وإذا علمنا أن إسرائيل من « زرع » حضارة الغرب أيضًا ، فلا يدهشنا استخدام سلاح الإرهاب ، في اغتصاب أرض فلسطين بعد تدمير القرى والمدن وقتل المدنيين من النساء والأطفال والشيوخ ، ونسف المساكن وإحراق المزارع ، وكل ذلك للتعجيل بتحقيق أمر واقع بالقوة وبغير حق وكان شعار بيجن الإرهابي السفاح (قال ديكارت أنا أفكر فأنا إذن موجود ، وأقول : أنا أقتل فأنا إذن موجود)[1] .

أرأيتم إرهابًا أكثر إجرامًا ووقاحة من هذا الإعلان الذي يعبر عن استخفاف بكل القيم والأعراف الإنسانية ؟ !

---

(١) ص (٣٩) من كتاب « الصهيونية والعنف » للرائد حسين الطنطاوي ، دراسة علمية بعد حرب أكتوبر ، ط. دار الشعب سنة ١٩٧١م .

لقد أصبح القتل غاية لإثبات الوجود ـ أي على أشلاء سكان فلسطين الأصليين أصحاب الأرض المغتصبة ـ.

(وكانت هذه « الدولة » اليهودية تحتل ضعف ما خولته لها قرارات التقسيم التي صدرت عن الأمم المتحدة ، وثلاثة أضعاف المساحة التي اقترحها الكونت برنادوت ، هذا فضلًا عن عقارات وأملاك وأموال لعرب فلسطين تركوها يوم شردهم الغدر اليهودي الإرهابي الذي مارسته العصابات اليهودية على الأسلوب الماركسي الإرهابي ، والذي أتقنته الحركات اليسارية الثورية في الاتحاد السوفيتي وأوروبا الشرقية ـ وهي مسقط رأس الأغلبية الساحقة من الزعماء والقادة العسكريين الصهيونيين الذين تولوا إرهاب عرب فلسطين والغدر بهم ـ من بن غوريون إلى مانيويلكسي هوشه منه ، ومناحيم بيجن ، ومئات غيرهم من كبار الإرهابيين وصغارهم ، الذين وردوا من روسيا السوفياتية قبل عام ١٩٤٧م ومولد النكبة الفلسطينية ، كما وردوا مدججين بالسلاح والتدريب الإرهابي في أوج الصراع العربي ـ اليهودي المسلح في أعوام ١٩٤٧ و١٩٤٨م)[1].

إنها وقائع « الإرهاب » المتكررة بواسطة الغرب المتحضر ، وكثيرًا ما يقع بعد عقد معاهدات ، وذلك منذ إبادة المسلمين من إسبانيا ، يقول جوستاف لوبون : (وعاهد فرديناند العرب على منحهم حرية الدين واللغة ، ولكن سنة ١٤٩٩م لم تكد تحلُّ حتى حل بالعرب دور الإضطهاد والتعذيب الذي دام قرونًا ، والذي لم ينته إلا بطرد العرب من إسبانيا ، وكان تعميد العرب كَرهًا فاتحة ذلك الدور ،

(١) ص (٣٥٧) من كتاب « موسكو [illegible] ستور عمر حليق ، ط. دار السعودية للنشر بدون تاريخ .

ثم صارت محاكم التفتيش تأمر بإحراق كثير من المُعَمَّدين على أنهم من النصارى ، ولم تتم عملية التطهير بالنار إلا بالتدريج لتعذر إحراق الملايين من العرب دفعة واحدة ، ونصح كاردينال طليطلة التقيُّ ، الذي كان رئيسًا لمحاكم التفتيش ، بقطع رءوس جميع من لم يَتَنَصَّر من العرب إلا رجالًا وشيوخًا وولدانًا ، ولم ير الراهب الدومينيكي بليدا الكفاية في ذلك فأشار بضرب رقاب من تنصر من العرب ومن بقى على دينه منهم ، وحجته في ذلك أن من المستحيل معرفة صدق إيمان من تنصر من العرب ، فمن المستحب ، إذن ، قتلُ جميع العرب بحد السيف لكي يحكم الرب بينهم في الحياة الأخرى ويُدخل النار من لم يكن صادق النصرانية منهم ، ولم تر الحكومة الإسبانية أن تعمل بما أشار به الدومينيكيُّ الذي أيده الإكليروس في رأيه لما قد يُبديه الضحايا من مقاومة ، وإنما أمرت في سنة ١٦١٠م ، بإخلاء العرب من إسبانيا ، فقتل أكثر مهاجري العرب في الطريق ، وأبدى ذلك الراهب البارع بليدا ، ارتياحه لقتل ثلاثة أرباع هؤلاء المهاجرين في أثناء هجرتهم ، وهو الذي قتل مائة ألف مهاجر من قافلة واحدة كانت مؤلفة من ١٤٠٠٠٠ مهاجر مسلم حينما كانت مُتجهة إلى إفريقيا [(١)] .

وختامًا لهذه الفواجع ، ننهي المأساة بما قرّره لوبون : (وخسرت إسبانيا بذلك مليون مسلم من رعاياه في بضعة أشهر ، ويُقدر كثير من العلماء ، ومنهم سيديو عدد المسلمين الذين خسرتهم إسبانيا منذ أن فتح فرديناند غرناطة حتى

---

(١) « حضارة العرب » ترجمة عادل زعيتر ص (٢٧٠ - ٢٧١) ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، سنة ١٩٦٩م .
ويذكر مؤلف الكتاب جوستان لوبون أن دولة العرب دامت في إسبانيا نحو ثمانية قرون (ص٢٧٠) ، ويقول : كان أتباع محمد ﷺ يدلّونا بأفضلية حضارتهم الساحقة [illegible] نتحرّر من نفوذهم إلا بالأمس (ص٥٧٧) .

إجلائهم الأخير بثلاثة ملايين ، ولا تُعد ملحمة سان بارتلمي إزاء ذلك المذابح سوى حادث تافه لا يُؤبه له ، ولا يسعنا سوى الاعتراف بأننا لم نجد بين وحوش الفاتحين من يُؤاخذ على اقترافه مظالم قتل كتلك التي اقتُرِفت ضد المسلمين .

ومما يرثى له أن حُرمت إسبانيا عمدًا هؤلاء الملايين الثلاثة الذين كانت لهم إمامة السكان الثقافية والصناعية)[١] .

صور من الإرهاب الغربي في العصر الحديث :

وكذلك يسرد مؤلف كتاب (العذاب الذي لاقاه المسلمون على أيدي الغرب) أحداثًا رهيبة ، وسجل أبشع وقائع الإرهاب والقرصنة ، ويلفتنا إلى أن أمريكا لها باع طويل أيضًا في الإسهام بجرائم الاستعمار بشكله القديم ، على غير الشائع عنها بأنها رائدة الاستعمار الجديد !

وامتد نشاطها الاستعماري منذ القرن التاسع عشر بعقد معاهدات مجحفة بالخليج العربي والتبشير بالمسيحية وراء ستار التمريض وبناء المستشفيات لاصطياد المرضى والمحتاجين .

ونجحت أمريكا في إنشاء أول جامعة أمريكية في بيروت سنة ١٨٦٦م ، وكونت منظمتان للتبشير (الأولى هي « المرسلون الأمريكيون » والثانية هي « جمعية التوراة الأمريكية » فكان شعار الجمعية الأخيرة هو « نشر المسيحية في العالم كله في حياة جيل واحد »)[٢] .

---

(١) نفسه ص (٢٧٢) م .

(٢) ص (٤٧) من كتاب « العذاب الذي لاقاه المسلمون » تأليف عميد مهندس كامل الشرقاوي ، مطابع الأهرام ١٩٩٨م .

أما الإرهاب الأمريكي في إندونسيا فإنه سلسلة من المآسي والفواجع ونكتفي بواحدة منها ، عندما استاء سكان سومطرة من تهريب الأفيون والويسكي وفتح أمريكا لجنودها بيوت الدعارة ، انطلقت بأوامر وزيرة البحرية الأمريكية سفينة حربية ضخمة اسمها « بوتاماك » ونزلت منها فصيلة من المارينز « البحرية الأمريكية » ودكت البيوت دكًّا وحصدت الأرواح حصدًا بينما كان الأهالي خارجين من المساجد عقب صلاة الفجر ، وكتب قائد الفصيلة الأمريكي إلى وزارته يصف المأساة ليعلن بفخار أنه (تم تحويل المدينة كلها تقريبًا إلى أنقاض وأكوام من الرماد ، وأغلبية البيوت الكبيرة لم يبق منها غير الأنقاض)[(١)] .

ومن الصفحات المجهولة في تاريخ استعمار بريطانيا لمصر سنة ١٨٨٢م ، أن أمريكا اشتركت بأربع قطع بحرية كبيرة مع الأسطول الإنجليزي (وتسببت في تدمير الإسكندرية وقتل عشرات الآلاف من المصريين بعد القصف العشوائي للمدينة)[(٢)] .

ونكتفي بهذا القدر لإيقاظ الوعي بما يدور حولنا ونطالعه ليل نهار ، ولا نندهش إذا نظر العالم الغربي إلى الروس وهم يحولون مدينة جروزني إلى أنقاض ويقتلون الشيوخ والنساء والأطفال في الشيشان فتلك عادة القوم ، وهذه طبيعتهم التي لا تستنكر أية جرائم ، طالما أنها تمارس في بلاد العالم الثالث ـ وأغلبه من المسلمين ـ ، بل مما يزعج الإنسان أن هذه الأعمال تُعد من

---

(١) نفسه ص (٥٣) .

(٢) نفسه ص (٤٥) .

المفاخر فلا يجد الأمريكان بأسًا (حتى يومنا هذا في نشيدهم الوطني لمشاة البحرية بالتغني بمعركة « درنة بليبيا ١٨٠٥م » قائلين : (من تلال مونتيسوما إلى سواحل طرابلس ، في السماء ، وفي الأرض ، وفي البحر خضنا معارك الوطن) [١] .

وتكررت أعمال الإرهاب البشع في بلاد الجزائر وتونس وليبيا والجزائر .. وفي سنة ١٨١٤م (أمطرت سفن الأسطول الأمريكي مدينة الجزائر بالقنابل والقذائف من القنابل الثقيلة وقدر عدد القتلى بعشرات الآلاف) [٢] .

أما في تونس ، فقد كتب « سبيرس » المؤرخ الأمريكي المختص بالبحرية الأمريكية يقول عام ١٨٩٧م - أي بعد دخول تونس بنحو ٩٠ عامًا - يقول : (لم تخف أمريكا اعتداءاتها على شعوب العالم الإسلامي ، ولم تستطع أن تصور للعالم أنها صديقة العالم الإسلامي .. وأنها حجة للسلام وصديقة الإسلام الدائمة .. وتحت القصف العشوائي لمواسير مدافع السفن الأمريكية أملت على حاكم تونس شروط الصلح ، وهو لم يحدث له مثيل من قبل) [٣] .

الإرهاب الروسي :

وأمّا ما فعله الاتحاد السوفييتي وبلاد أوروبا الشرقية في المسلمين فلا يكفي الإحاطة به مجلدات . ولقد عانى المسلمون أكثر من غيرهم في ظل هذه الأنظمة الجائرة ، وكان هدفها الثابت زحزحتهم عن دينهم وإلقائهم في أتون الإلحاد منذ

---

(١) نفسه ص (٢٥) .

(٢) نفسه ص (٢٨) .

(٣) نفسه .

قام الشيوعيون بالثورة واستلموا الحكم في روسيا (وكان إفناء المسلمين والقضاء على الإسلام في رأس قائمة الأعمال التي ينوونها لأن الشيوعية هي بنت اليهودية الفاجرة واليهود يعلمون بأن المسيحية لا تستطيع أن تقف تعاليمها وتاريخها أمام اليهودية لأنها هي ذاتها فرع من اليهود وتشريعها هو التشريع اليهودي ذاته ، ولكنهم يخشون الإسلام لأنه هو الدين الوحيد الذي يستطيع أن يقف في وجه اليهودية وغير اليهودية من الديانات والعقائد أو من الأديان السماوية ومن الأديان الأرضية)[١] .

ولو انتقلنا من إرهاب الدول التي تملأ أجهزة إعلامها أدمغة العالم بالصراخ عن حقوق الإنسان ورعايتها له بينما هي التي لا تتورع عن اغتياله إذا سنحت لها الفرصة ووجدت في ذلك مصلحتها إذا انتقلنا إلى إرهاب الجماعات لتبين أنها تنتمي إلى دول الغرب أيضًا ، وقد عَدَّد الأستاذ شريف الشوباشي بعضها خلال العشرين عامًا الماضية فقط ، فمن أشهرها جماعة من بادر ـ ماينهوف في ألمانيا الغربية ، والألوية الحمراء في إيطاليا ، والعمل المباشر في فرنسا ، والإيتا في إسبانيا ، وجيش التحرير السمبيونيزي في أمريكا ، وجيش التحرير الأيرلندي . . . وهناك أيضًا منظمة غربية سرية تدعى « السيف » . .

وأضاف إلى ذلك أن الجماعات الصهيونية هي التي تمارس الإرهاب في الشرق الأوسط ، ومنها (انفجار فندق الملك داود واغتيال الكونت « برنادوت »

---

(١) ص (٩٠) من كتاب « المسلمون أمام التحدي العالمي » للدكتور إحسان حقي ، بيروت ، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م ، وتشير د/ زينب عبد العزيز إلى التحالف السياسي بين اليابان وبين اليهود لضرب ما يطلقون عليه (العدو المشترك) ومع نفيها لتحقيق ذلك لأن الله حق ووعده حق (الدين عند الله الإسلام) ص (١٠٤) تنصير العالم « مناقشة لخطاب البابا يوحنا يولس الثاني » ، دار الوفاء بالمنصورة ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .

مبعوث الأمم المتحدة ، واغتيال وزير الدولة البريطاني « لورد موين » ، وانفجار أول لغم ناسف في وجه الضابط المصري الشهير « مصطفى حافظ ») [١] .

ويقول مؤلف كتاب « حضارة الدم وحصادها ـ فصول من تاريخ الإرهاب الأمريكي » :

(يخطيء من يعتقد أن الإرهاب الأمريكي بدأ من ظهور الولايات المتحدة كقوة عظمى عقب نهاية الحرب العالمية الثانية ، فالإرهاب الأمريكي بدأ قبل ذلك بنحو خمسة قرون تقريبًا مع اكتشاف أمريكا نفسها فمنذ اليوم الأول لنزول كريستوفر كولومبوس على شواطيء جزر الباهاما بدأت أعتى حملات الإبادة وأكثرها دموية في التاريخ البشري ضد السكان الأصليين لما عرف بعد ذلك بالعالم الجديد) [٢] .

ونقل المؤلف بضعة سطور من مذكرات كولومبوس حيث سجل عبارته الدموية التي رسمت سياسات الحكومات المتعاقبة لأمريكا فقال : (باستطاعتي احتلال كل هذه الأراضي والجزر بخمسين من رجالي ويمكنني حكم هؤلاء الهنود كما أشاء) [٣] .

ونجتريء بعض فقرات من الكتاب الذي يحتوي على ضحايا الإرهاب

---

(١) شريف الشوباشي « هل فرنسا عنصرية » ص (١٨١) ، مطابع الأهرام ١٩٩٢م .

وقد سبق أن سجلنا هذه الوقائع بكتابنا « حضارة العصر ـ الوجه الآخر » ، وقد صدر في سبتمبر ٢٠٠٠م ـ أي قبل أحداث سبتمبر ٢٠٠١م بعام كامل ـ .

(٢) د/ نزار بشير : « حضارة الدم وحصادها ـ فصول من تاريخ الإرهاب الأمريكي » ص (١٤) ، ط. الزهراء للإعلام العربي ـ مدينة نصر بالقاهرة ، ٢٠٠٣م .

(٣) نفسه ص (١٦) .

الأمريكي ، منها ما حدث من عمليات إبادة الأهالي في الفلبين حيث وصفها أحد البريطانيين ، بأنها ليست حربًا (بل ببساطة هي عمليات إبادة منظمة ومجازر)[١] .

وكان الكاتب الأمريكي الساخر « مارك توين » من أكثر من انتقد إرهاب دولته تجاه أهل الفلبين حتى إنه اقترح مرة (إبدال النجوم في العلم الأمريكي بجمجمة وعظمتين متقاطعتين ـ رمز القرصنة ـ)[٢] .

۞ من أدوات الإرهاب : مدرسة التعذيب :

ونعني بذلك استخدام التعذيب كطريقة مقننة ، لها مدرستها وأساتذتها وطرقها :

وفي ضوء هذا الأمر الغريب ، نستبعد التفسيرات التي قيلت حول التعذيب البشع في سجون العراق في ظل الاحتلال كالسادية أو التصرفات الفردية أو التنفيذ بتعليمات من القيادة العسكرية أو قلة معلومات جنود الاحتلال عن الثقافة الإسلامية .. إلخ .

وسنحاول تعرف نشأة هذه المدرسة وواقعها ودورها في تنفيذ السياسة الأمريكية للهيمنة ، لتكتمل لدينا الصورة الحقيقية لهذه الدولة التي كثيرًا ما بهرتنا بشعاراتها عن الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان ! بينما تمارس الإرهاب بأبشع صوره .

---

(١) نفسه ص (٦٥) .

(٢) نفسه ص (٦٦) .

ويذكر المؤلف أنه في ولاية (بتانجس) وحدها قتل مائة ألف فلبيني أثناء معارك التحرير ضد الاستعمار الأمريكي وكانت أوامر القائد الأمريكي (سميث) حينذاك (اقتل كل شيء فوق سن العشر سنوات) ص (٦٤ ـ ٦٥) .

أُنشئت هذه المدرسة العسكرية ـ كما يصفها جارودي ـ في عام ١٩٤٦م ببناما ثم نُقلت عام ١٩٤٨م إلى نورث بييننغ جيورجيا وهدفت إلى تدريب الضباط والشرطة على استخدام وسائل القمع في بلدان أمريكا الجنوبية المتحالفة مع الولايات المتحدة .

وتوصي الكتب الدراسية المقررة في هذه المدرسة حتى بين عامي ١٩٨٢ ، ١٩٩١م ، باستخدام التعذيب والإعدامات بدون محاكمة ، واستخدام كل أساليب العنف بغية الحصول على المعلومات من المعارضين .

وقد قامت هذه المدرسة بتدريب ٦٠ ألف طالب من اثنى عشر بلدًا ، وبلغت ذروتها في أعوام الستينات حيث كانت أمريكا منغمسة في دعم الأنظمة المعادية للشيوعية في أمريكا اللاتينية ، وقد أصبح عدد من الضباط المتخرجين من هذه المدرسة جلادين مشهورين ، رؤساء دول ، من بينهم نوربيغا الجنرال البانامي[١] .

ويعرض جارودي لبعض عناوين الكتب التعليمية المجرمة التي يدرسها الطلاب هناك وهي مكتوبة باللغة الإسبانية ، وتحمل العناوين التالية : (معالجة مصادر المعلومات ، التجسس المضاد ، الإرهاب وحرب العصابات في المدن ... احتجاز الوالدين والأقرباء واعتقالهم وتعذيبهم .. والتهديد بالسجن والإعدام)[٢] .

---

(١) باختصار من كتاب « **الولايات المتحدة طليعة الانحطاط** » تأليف جارودي ص (١٠١) ، ترجمة مروان حموي ، دار الكاتب ـ دمشق ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .

(٢) نفسه ص (١٠١) .

❁ الإبادة بدوافع دينية في الحروب الصليبية :

ولا ينبغي أن نمر مرور الكرام على هذا الوصف الدامغ للحروب الصليبية كما ورد في سياق نص أرمسترونج ، فإن استرجاع بعض وقائع هذه الحروب يُعيد إلى الأذهان هول جرائمها ، وتزيدنا اقتناعًا بأن مسلسل « الإبادة » لازال مستمرًا في الشعوب الإسلامية ، إذ تسجل صفحات التاريخ إعلان البابا أوريان الثاني في ٢٧/ ١١/ ١٠٩٥م بابا الكنيسة الكاثوليكية في روما أن المسلمين كفرة يستباح دماؤهم والاستيلاء على ممتلكاتهم .. ودخلت قوات الحملة الصليبية الأولى الأراضي المقدسة بعد ظهر يوم الجمعة ١٥/ ٧/ ١٠٩٩م في مشهد تاريخي رهيب ، يقول عنه المؤرخ جيبون :

(إن خدّام رب المسيحيين رأوْا باعتقادهم الأعمى أن يكرّموا الرب فقاموا بذبح سبعين ألفًا من المسلمين .. تعظيمًا وإجلالًا وزلفى وقربانًا له .. ولم يرحموا كبار السن والأطفال والنساء .. وقد استمرت هذه المذبحة ثلاثة أيام وإن من احتفظوا بهم من الأسرى دون أن يقتلوا ، إنما يرجع بقاؤه على قيد الحياة إلى التعب والإجهاد الذي أصاب الصليبيين من كثرة ما قاموا به من القتل والذبح)[١] .

ويرى الدكتور الحسيني أن الإبادة ـ إلى جانب كونها خاصية بشرية ـ فإنها تضرب بجذورها إلى الفكر الديني اليهودي والمسيحي معًا ، ويضرب مثلًا على ذلك بالعقيدة « التطهرية » « البيوريتانية » هي من أولى الأيدولوجيات الامبريالية الإبادية التي كانت تغطيها ديباجة دينية كثيفة ، وقد اعتنق هذه العقيدة

---

(١) دكتور مهندس محمد الحسيني إسماعيل « الدين والعلم وقصور الفكر البشري » ص (٢٣٧ - ٢٣٨) ، مكتبة وهبة بالقاهرة ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م .

المستوطنون البيض في أمريكا الشمالية وكانوا يشيرون إلى هذا الوطن الجديد باعتباره « صهيون الجديدة » أو الأرض العذراء ، فهي أرض بلا شعب .. وأثناء مطاردتهم للهنود الحمر للقضاء عليهم والاستيلاء على أرضهم كانوا يستشهدون بـ « سفر التثنية » وبـ « عمليات الإبادة المقدسة »[١] .

كذلك تحققت الإبادة بشكل نموذجي كامل في « الإبادة النازية » ، فقدأطلق الكاتب الأمريكي « ثيودور كوفمان » في عام ١٩٤٢م في سياق كتابه « لابد من إبادة ألمانيا » الدعوة الصريحة للإبادة الجماعية بالمعنى الحرفي للكلمة[٢] ، كما أيد هذه الدعوة الروائي الشهير « ارنت هيمنجواى » الذي طالب بتعقيم الألمان بالمعنى الطبي والجراحي لهذه الكلمة بشكل جماعي للقضاء على العنصر الألماني ، كما قال تشرشل « رئيس وزراء بريطانيا » في عام ١٩٤٠م : أنه ينوي تجويع ألمانيا وتدمير المدن الألمانية وحرقها وحرق غاباتها[٣] .

وعن رأي رجال الدين ، فقد نشرت صحيفة ديلي هيرالد اللندنية مقالًا للأب « و . ويب » قال فيها : (يجب أن يكون شعارنا هو « محوهم » ومن أجل ذلك يجب أن تنصب علومنا على اختراع متفجرات جديدة أشد هولًا .. وربما لا يجوز لرجل دين يتمسك بالإنجيل أن ينساق إلى مثل هذه المشاعر ، ولكني أقولها دون مواربة ، إنه لو كان الأمر بيدي لمحوتُ ألمانيا من على الخريطة . فهم جنس شيطاني ابتليت به أوروبا على مدى قرون عديدة)[٤] .

---

(١) نفسه ص (٢٤٢) .

(٢) نفسه ص (٢٤٩) .

(٣) نفسه ص (٢٥٠) .

(٤) نفسه ص (٢٥٠) .

ومصدره كتاب « الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية » روجيه جارودي ، دار الشروق ص (١٢٩ ـ ١٣٠) .

وينبغي أن نتذكر الإبادة التي قام بها النظام الستاليني ضد أعدائه الذين قاموا بتحويل مزارعهم إلى مزارع جماعية ، وبعض الشعوب الإسلامية وبعض أعضاء الحزب الشيوعي الذين قاوموا الديكتاتور ستالين الذي بلغ عدد ضحاياه ٢٠٥ مليونًا حسب التقديرات المحافظة « مات منهم ١٢ مليون في معسكرات الجولاج وحدها » أما أعداء النظام الستاليني فيقولون إن عدد الضحايا بلغ ٥٠ مليونًا [١] .

ويقول الدكتور الحسيني ، وتنتهي الحرب العالمية الثانية ، وتخرج الولايات المتحدة الأمريكية من الغبار الذري لهيروشيما ونجازاكي كقوة عظمى ، فتقوم ـ في غضون خمسين عامًا ـ بإنفاق ٩٥٠ مليار دولار في عملياتها السرية الخاصة بالإبادة البشرية لقلب نظام الحكم في « ١٢٧ دولة » واغتيال أو محاولة اغتيال « ٥٤ » زعيمًا وطنيًا ، وفرض الحصار على « ٧٠ » دولة أو عقابها بصورة أو بأخرى ، وإشعال « ٨٥ » حربًا أهلية « الكثير منها في أفريقيا » . وقد كشف مانديلا للجموع المحتشدة من شعب جنوب أفريقيا عن المخازي التي ترتكبها حكومة الأقلية البيضاء لإبادة السود عن طريق عقاقير منع الحمل والقتل الجماعي بالأسلحة الميكروبية والبيولوجية والكيميائية ، التي اشترك في صنعها علماء متخصصون من ألمانيا وأمريكا وبريطانيا وكندا ، والتي أباحت حكومات أوروبا وأمريكا تسليمها للحكام البيض وافتضح أمرها أخيرًا [٢] .

وبعد استعراضنا لهذه الجرائم الدامغة يتبين لنا أن الحروب المعلنة على العراق وأفغانستان والصومال وغيرها من بلاد المسلمين هدفها الإبادة ، وليست

---

(١) نفسه ص (٢٦٦) .

(٢) نفسه ص (٢٦٦) .

غريبة على النسيج الديني والحضاري الغربي ، فهي بحق متغلغلة في أحشائه ، ومستمدة من أصوله الدينية ومذاهبه الفلسفية (إن الأوروبيين يفضّلون التصفية الجسديّة « أي الإبادة » للشعب المسلم في البوسنة عن أن يتسامحوا بوجود دولة مسلمة على الأرض الأوروبية .

وعند دخول اليهود دولة فلسطين قاموا بإبادة « ١٤٨١٣ » فلسطينيًا « ثمة قائمة كاملة بأسمائهم » كما تم تشريد ٨٠٠ ألفٍ وفقدوا ممتلكاتهم بالكامل في ٤٢٠ قرية و١٥ مدينة ، فضلًا عن أن هناك ٣٨٥ قرية « أو ٣٨٨ في إحصائيات أخرى » قد تدميرها ومحيت تمامًا من على الخريطة)[١] .

۞ تفاصيل خطط الإبادة كما وردت بكتاب « مؤامرة الغرب الكبرى » :

يتضمّن هذا الكتاب تسجيل خطط بشعة يمارسها الغرب على دول العالم ، منها امتصاص دماء الفقراء حتى النهاية لكي يثرى الأثرياء أكثر في ظل « العولمة » ، أما الفاجعة الكبرى والتي تتصل بخطة الإبادة فهي ضرورة تخفيض سكان العالم من الرقم الحالي ـ وهو ست مليارات ـ إلى أربعة مليارات فحسب حتى تنجح العولمة ، وهو الرقم المثالي الذي تستطيع معه الرأسمالية وآليات السوق أن تحقق النجاح والازدهار الذي يؤمن به الغرب الأوروبي الأمريكي ، ويقيم في ظله نظامًا اقتصاديًا نموذجيًا[٢] .

---

(١) نفسه ص (٢٦٦) .

(٢) تقرير لوجانو « مؤامرة الغرب الكبرى » ص (د) من المقدمة ، بقلم صلاح الدين حافظ . تعليق سوسان جورج وترجمة محمد مستجير مصطفى ، ط. سطور ٢٠٠١م ، والمؤلفة كاتبة وخبيرة أمريكية في قضايا التنمية .

وفي سبيل تحقيق هذا الهدف يلجأ الغرب إلى استخدام (أفظع الأساليب وأشدها همجية ووحشية ، من استخدام التعقيم وإطلاق حرية الإجهاض ، إلى إشعال الحروب والصراعات ، وزيادة الأوبئة والكوارث والأمراض الفتاكة لكي تلتهم الزيادة السكانية الحالية والقادمة)[(١)] .

وكذلك استحداث وسائل أكثر تأثيرًا تقوم على تكنولوجيا « الإفناء » بدلًا من انتظار الكوارث الطبيعية[(٢)] .

ويقول الأستاذ صلاح الدين حافظ بنظرة ثاقبة ، وبمقارنة منهجية صحيحة (فإن كانت هذه الفلسفة الإغريقية القديمة ، هي الحاكمة والسائدة حتى اليوم في الحضارة الغربية الأوروأمريكية ، الوارثة الشرعية للحضارة الإغريقية الرومانية ، فإن فلسفات الحضارات الشرقية ـ وخصوصًا العربية الإسلامية ـ ترى رأيًا مختلفًا ، قوامه أن الإنجاب والتكاثر والتناسل نعمة إلهية وإقامة العمران في الأرض لا ينبغي لفرد أن يتدخل فيه بالمنع أو حتى التحديد)[(٣)] .

ومن هول ما تضمنه التقرير لكل ما هو مثير وخطير ، سجلت المؤلفة هذه الأسطر في نهاية الكتاب فقالت : (وآمل أن يشعر القراء بالقشعريرة من « تقرير لوجانو » ، لكنني أريد أن أؤكد أنه ليست مبالغة إثارية ، ولا هو « تهكم » أو رؤيا ألفية متواضعة ، فمضمونه يستند كلية إلى ملفات سميكة من الوقائع المادية ، شأن كتبي الأخرى)[(٤)] .

---

(١) صفحة (د) من المقدمة ، بقلم الأستاذ صلاح الدين حافظ .

(٢) صفحة (ي) من المقدمة ، بقلم الأستاذ صلاح الدين حافظ .

(٣) نفسه صفحة (ح) من المقدمة ، بقلم الأستاذ صلاح الدين حافظ .

(٤) نفسه ص (٢٤٧) بقلم سوسان جورج .

وسجل الكاتب السعودي عبد الله محمد الناصر الأهوال التي يعانيها شعب العراق حاليًا من جراء ما يلقى على البلاد يوميًا من أطنان القنابل والمتفجرات والذخائر الحية ذات الطاقات التفجيرية الرهيبة والمحتويات الإشعاعية المتنوعة التي يجربها الأمريكيون على الشعب العراقي .. ويرى أن أمريكا تسعى إلى أن يكون مصير العرب مثل مصير الهنود الحمر الذين أبيدوا تحت راية الكتاب المقدس .

وكما تفنن الأمريكيون في إبادة سكان أمريكا الأصليين بأمراض لم يسبق لهم معرفتها ، فإنهم يمارسون النهج نفسه في العراق الذي تحول إلى مزبلة مليئة بجثث العراقيين وعظامهم ومخلفات الحرب [١] .

ولا يختلف مدلول لفظ « الإبادة » عن لفظ « الاستئصال » الذي استخدمه الأستاذ الدكتور حامد ربيع رحمه الله في تتبعه لتاريخ هذه الحضارة الملطخ بدماء الشعوب المقهورة ، فيصف عصر النهضة بأنه استخدم لغة القوة التي تحولت إلى منطق العنصرية باسم حق الشعب المختار ، والشعب المختار هو الشعب الأبيض (إن مأساة المجتمع الأوروبي هي قصة العنصرية التي لا تزال تتوالى فصولها أمام أعيننا ، وهل تستطيع الحضارة الغربية أن ترفع عن ضميرها أربع مآسي لم يعرف لها مثيلًا التاريخ الإنساني ؟ :

استئصال الهنود الحمر في القارة الجديدة ، ثم استئصال الأهالي الأصليين في استراليا ، واستئصال اليهود في القارة الأوروبية ، ثم استئصال الفلسطينين من أرض آبائهم) [٢] ؟!

---

(١) مختصر لفحوى كتاب « أمريكا .. العقلية المسلحة » بجريدة (المصري اليوم) القاهرية ٢٤ جمادى الآخرة ١٤٢٨هـ - ٩ يوليو ٢٠٠٧م ، صفحة (٥) .

(٢) د/ حامد ربيع « قراءة في فكر علماء الاستراتيجية » ص (٤٦) ، دار الوفاء بالمنصورة ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م .

ويتابع استمرار عملية الاستئصال إذ يرى أن الحرب العالمية الثالثة قد بدأت مقدماتها (وأحد هذه المقدمات هو الاستئصال التدريجي المقنّع للشعوب الملونة ، والشعب العربي هو أحد أخطر هذه الشعوب الملونة)[١] .

ولا يسع الدكتور حامد ربيع أمام هذه النزعة العنصرية البغيضة ، ونزعة الاستئصال المتأصلة في نفسية الرجل الغربي ، لا يسعه إلا أن يوازن مع تقاليد أمة الإسلام ، فيقول بفخر : (في مواجهة هذا المنطلق العنصري المتخلّف تقف أمّتي شامخة متميزة)[٢] ثم أخذ يعدد القواعد الثابتة التي آمنت بها الأمة الإسلامية وجعلت منها دستور الممارسة السياسية مع الشعوب الأخرى ، وأطلقتها كقواعد للممارسة الدولية ، ولم تقبل لها استثناء ، ولو على حساب نفسها ، وهذه القواعد تتلخص في (شرعية القتال دفاعًا عن مبادئها ، مع احترام آدمية الإنسان في السلم والحرب ، وفي كل الظروف ، وعدم السماح للنزعة العنصرية بأن تحكم علاقة العربي بغيره ، وحتى في ساحة القتال ، فلا يجوز أن يكون الصدّام المسلح مسوِّغًا لإهدار آدمية الآخرين ، نفس القواعد التي تطبق على الإنسان العربي يتمتع بها غيره ، ويتحمل آثارها غيره ، ولا يجوز ـ والحالة هذه ـ الاعتداء على المرأة أو الصبي أو العجوز)[٣] .

---

(١) نفسه ص (١١٠) ، وقد صدق حدس هذا العالم السياسي المخضرم ﵀ ونحن نعاني من جراء حرب الاستئصال لشعوبنا وحسبنا الله ونعم الوكيل .

(٢) نفسه ص (٤٦) .

(٣) نفسه ص (٤٧) .

وهذا واضح في وصية الرسول ﷺ للصحابة ـ رضي الله عنهم ـ أثناء خروجهم للغزو (لا تقتلوا شيخًا فانيًا ، ولا امرأة ولا طفلًا ، ولا تقطعوا شجرة ، ولا تقتلوا حيوانًا) .

وهذه التعاليم عكس ما ورد في التوراة فتقول : (عندما تقرب من مدينة لكي تحاربها . . . فاضرب جميع ذكورها بالسيف . . . وأما مدينة هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك فلا تبق منه نسمة ما) سفر التثنية .

وبعد ذلك كله فإننا نعجب أشد العجب ممن تلطخت أيديهم بدماء الشعوب أن يزعموا أن الإسلام انتشر بحد السيف ، ونكتفي ـ للموازنة ـ الاستشهاد بقول السير توماس أرنولد الذي علل انتشار الإسلام بين الصليبيين بقوله : (ويظهر أن أخلاق صلاح الدين وحياته انطوت على البطولة ، قد أحدثت في أذهان المسيحيين في عصره تأثيرًا سحريًا خاصًا ، حتى أن نفرًا من الفرسان المسيحيين قد بلغ من انجذابهم إليه أن هجروا ديانتهم . وهجروا قولهم وانضموا إلى المسلمين وكذلك الحال عندما طرح النصرانية أحد فرسان المعبد روبرت أوف سانت ألياس ١١٨٥م واعتنق الإسلام ثم تزوّج بإحدى حفيدات صلاح الدين !!!) .

ويعلق على ذلك الدكتور الحسيني بتساؤله : فأين السيف هنا ؟ .... لست أدري !!![1] .

---

(١) د/ محمد الحسيني اسماعيل « الدين والعلم وقصور الفكر البشري » ص (٢٥٩) .



۞ نذر الإخفاق ومرحلة الأفول .

۞ الانحدار الأمريكي .

۞ العراق « فيتنام الثانية » : الفالوجة نموذجًا .

نذر الإخفاق ومرحلة الأفول :

كتب لورانس فريدمان أستاذ علم الحروب في جامعة « كينغز كوليج » جاء فيه (إن بوش قامر على حرب العراق فخسر ولم يعد بإمكان أمريكا أن تفرض إرادتها على العراق ، لأنها تفتقر إلى الهيبة المعنوية كي تستطيع تحقيق ذلك) .

وكان من نتائج هذه الحرب كما يرى باتريك سيل ـ الكاتب البريطاني المتخصص في شؤون الشرق الأوسط ـ زيادة العنف الذي يجتاح الشرق الأوسط والفشل في حل مشكلة انتشار السلاح النووي (وتزايد عدد المجموعات الإسلامية الأصولية المصممة على الرد على ما تراه من وحشية لدى الغرب ، كل ذلك يجعلنا شهودًا على إخفاق الهيمنة الأمريكية الأحادية القطب ، الذي بقى بعد انهيار الاتحاد السوفييتي منذ نيف و١٢ عامًا)[١] .

ومن يتابع التحليلات السياسية لحرب العراق والتوقعات المحتملة ، يرى أن هذه الحرب عجّلت بانحسار المد الأمريكي ولم تساعد على تقويته كما كان يظن المخططون لها ، ويأتي التحليل الاقتصادي أيضًا مؤيدًا لنفس النتيجة حيث يقول الدكتور جلال أمين : (ليس هناك أي سبب للاعتقاد بأن الهيمنة الأمريكية الراهنة على قوى العولمة ، محصّنة ضد الانكسار ، وأنه لن يجري عليها ما جرى على الهيمنة البريطانية والفرنسية من قبل ، وهناك أكثر من مركز في العالم يرشحه تقدمه الاقتصادي السريع للقيام بهذه المهمة ، مهمة تدشين مرحلة الأفول في عصر الهيمنة الأمريكية إن لم تكن مرحلة الأفول هذه قد بدأت بالفعل)[٢] .

---

(١) مقال بعنوان « هل يتخلى بوش عن المحافظين الجدد ؟ » بقلم باتريك سيل ـ جريدة الحياة اللندنية ٤/ ٦/ ٢٠٠٤م .

(٢) ص (١٠٠) من كتاب « مستقبليات : مصر والعرب والعالم في منتصف القرن ٢١ » للدكتور جلال أمين ، كتاب الهلال ، أبريل ٢٠٠٤م العدد (٦٤٠) .

ويقول الأستاذ زياد عقل : إن أمريكا لم تنجح في تحقيق (أي هدف من الأهداف التي كانت تسعى إليها بل على النقيض أدّت سياستها إلى الكثير من الخسائر ، بل لم يعد من الممكن استبعاد وقوع حوادث أخرى مثل حادث سبتمبر)[(١)] .

كما يذكر أن أفعال إدارة بوش قد أدّت إلى تشويه الحرب على الإرهاب (وتحويلها إلى صراع دموي بين الإسلام والحضارة الغربية ، وكنتيجة زادت حدة العدائية تجاه أمريكا في العالم العربي ، وزادت شعبية الحركات الإسلامية في المنطقة)[(٢)] .

۞ الانحدار الأمريكي :

أما نعوم تشومسكي فيستخدم لفظ « الانحطاط » للتعبير عن انحدار النظام الأمريكي بالمفهوم الاقتصادي إذ أن التفوق العسكري الحاسم للولايات المتحدة يرافقه انحطاط في قدرتها الاقتصادية مقارنة بألمانيا واليابان ، ويقول : ثمة مثال ساطع في النظام الدولي في مرحلة ما بعد الحرب الباردة ، فالنظام اقتصاديًا ، مثلث القطبية « اليابان وألمانيا والولايات المتحدة » ، أما عسكريًا فيبدو أحادي القطبية « الولايات المتحدة » . والقوة العسكرية دون قاعدة اقتصادية تدعمها .. كارثة[(٣)] .

ويضيف جارودي مستخدمًا منهج فلسفة الحضارة والتاريخ فينظر إلى المجتمع الأمريكي من الواقع الإحصائي وظاهرة التفتت الداخلي ، فيقول : (وقد دخلت الولايات المتحدة في مرحلة « قصور حراري » من تاريخها ، أي مرحلة من التفكك

---

(١) زياد عقل مقال بعنوان « الحرب على الإرهاب : كيف ضلت أمريكا الطريق ؟ » جريدة الأهرام ، ٨ جمادى الآخرة ١٤٢٨هـ - ٢٣ يوليو ٢٠٠٧م .

(٢) نفسه .

(٣) « تفكيك أمريكا » ، رضا هلال ص (١٠٥) ، دار مصر المحروسة ٢٠٠٣م .

الداخلي بسبب النمو البائس لأمريكا الأخرى ، النمو البائس لثلاثة وثلاثين مليون مواطن يعيشون تحت عتبة الفقر ، ومن التفتت الاجتماعي بسبب التمييز العنصري الممتد عبر القرون ، وبشكل خاص ضد السود ، وكذلك الانحلال الاجتماعي بسبب المخدرات والنساء والمضاربيات الطفيلية)[١] .

واستخلص المؤرخ الأمريكي بول كنيدي بكتاب « صعود وأفول القوى العظمى » أن الامبراطوريات الكبرى في التاريخ ، ابتداء من الامبراطورية الرومانية وانتهاء بالامبراطوريتين البريطانية والفرنسية سقطت تحت وطأة الكلفة الاقتصادية العالية ، محذرًا من أن الامبراطورية الأمريكية قد تلقى المصير نفسه[٢] .

كذلك يعرض لإحصائية تراجع معدل نمو الإنتاجية في الاقتصاد وزيادة الديون الخارجية وغير ذلك من نقاط تراجع الاقتصاد الأمريكي مشيرًا إلى أن ٣٧ مليون أمريكي لا يتوافر لهم التأمين الصحي .. إلى تزايد أعداد الفقراء واختلال توزيع الثروة وانتشار المخدرات وتفشي الجريمة والعنف وتدهور التعليم وابتذال الثقافة الأمريكية أي التركيز على تعظيم الاستهلاك وثقافة موسيقى البوب والرسوم المتحركة والضوضاء والاستمتاع والبعد عن التفكير الجدي[٣] .

ويرى رضا هلال أن تفكك العقيدة والثقافة الأمريكية سيؤدي بالقرن الأمريكي إلى أفول ، ويتجلى هذا التفكك بدخول المجتمع الأمريكي في حرب ثقافية عرقية جنسية ، أي أن (العقيدة والثقافة اللتين جعلتا من أمريكا « بوتقة صهر »

---

(١) « الولايات المتحدة طليعة الانحطاط » جارودي ص (٢١) ، ترجمة مروان حموي ، دار الكاتب ـ دمشق ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .

(٢) رضا هلال « تفكيك أمريكا » صفحات (١٠٦،١٠٧،٢١٢،٢١٤) .

(٣) نفسه .

أصبحتا تواجهان بتعددية انفصالية اثنية وثقافية ، وبحساب أن معدّلات النمو السكاني والهجرة ، في غير صالح البيض)[١] .

ويقارن عالم السياسة الأمريكي صمويل هانتجتون بين الاتحاد السوفيتي وأمريكا بأنهما ليستا دولتين قوميتين بالمعنى التقليدي ، وأن العقيدة هي التي صنعت الدولتين (فإذا تفككت العقيدة الأمريكية وسادت الانفصالية الثقافية ، وتفكك الإجماع على الحرية الديمقراطية ، فستنضم أمريكا إلى الاتحاد السوفيتي على تل نفايات التاريخ)[٢] .

وفي مقال بعنوان « أفول الامبراطورية » عرض الدكتور رفعت سيد أحمد للدلائل على أفول الامبراطورية الأمريكية ، وانتهى إلى القول بأن هذا الأفول لن يكون سريعًا وقد يأخذ سنوات بحكم كونه يتم مع دولة عظمى ، إلا أن هذا التمدد الاستراتيجي وتلك السياسات الظالمة والمخاصمة لكل القيم والأعراف ، وهذا الانحياز الثابت للشر ولقواه العالمية وفي طليعتها إسرائيل سيؤدي إلى تسريع الأفول الامبراطوري الأمريكي[٣] .

وفي النهاية ، إننا نرى أن محاولة تطبيق تجربة الولايات المتحدة مع جمهوريات أمريكا الوسطى أو الجنوبية على أمتنا ستبوء بالفشل ، لأن أمتنا عصيّة على الهيمنة متى تذرعت بعقائدها وقيمها وشريعتها ، والتاريخ شاهد على فترات هزائم ولكن يستحيل القضاء عليها ، وما ظواهر « الأمركة » البادية على البعض

---

(١) نفسه .

(٢) نفسه .

(٣) د/ رفعت سيد أحمد : مقالتان بعنوان « أمريكا من العذبات الاستباقية إلى التراجع الاستراتيجي » ، « أفول امبراطورية » جريدة الأحرار ، ١- بتاريخ ١٥ جمادى الثانية ١٤٢٧هـ - ١٠ يوليو ٢٠٠٦م ، ٢- بتاريخ ٢٢ جمادي الثانية ١٤٢٧هـ - ١٧ يوليو ٢٠٠٦م .

منها إلا صورة من صور « التشكل الكاذب » للحضارات كما يصفه توينبي ، إذ يقتصر على المظاهر ولا ينفذ إلى الجوهر .

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ [البقرة : ١٠٩] .

كما نرى أن العقلية الأمريكية تعجز بسبب الفلسفة النفعية العملية ، عن فهم مكونات الثقافة الإسلامية ، فالبون شاسع بين نظرة للحياة يحركها النفع العاجل بلا أي قيم أخلاقية ثابتة ، وبين نظام للحياة يرسم طريقها مجموعة من المباديء الثابتة ، منها عقيدة التوحيد والإيمان باليوم الآخر فتمتلئ النفس بالطمأنينة وتتخطّى في أهدافها الحياة الدنيا المؤقتة إلى حياة الآخرة الباقية ، وشريعة تحدد للمسلمين طرق معيشتهم للأفراد والجماعات لتحقق السعادة المرجوة بالعبادات ، والمعاملات ، وتسعى في سلوكياتها لرضا الله ﷻ .

ويبدو أن السياسة الأمريكية تبني خططها بناء على آراء بعض المستشرقين المعروفين بعدائهم للإسلام ـ مثل برنارد لويس ـ ومن هنا يبدو التخبط والقصور في الفهم .

ويعترف بذلك مؤلفا كتاب « نهاية الشر » فيقرران أن (تقارير المخابرات الأمريكية حول الشرق الأوسط تسيطر عليها نفس المفاهيم السابقة ـ أي التي كانت ترى أن الاتحاد السوفيتي بشكل أو بآخر هو مجرد دولة عادية ذات اقتصاد فعال ـ والتحيزات الأيدولوجية ، بالإضافة إلى فهم محدود لثقافة هذه المنطقة وعجز عن فهم الكثير من الحقائق عن الشعوب غير الغربية) [(١)] .

---

(١) ص (٢٥٦) من كتاب « **أمريكيات ، كتب هزت الولايات المتحدة والعالم** » تقديم وترجمة حسين عبد الواحد ، كتاب اليوم ـ يونيو ٢٠٠٤م عدد ٤٦٩ .

وبعللان ذلك أن محللي المخابرات عجزوا عن تحرير أنفسهم من الافتراضات الأيدولوجية الليبرالية التي أحضروها معهم من الجامعات المتميزة التي كانوا يدرسون بها [(١)] .

❁ العراق « فيتنام الثانية » : الفالوجة نموذجًا :

تمثل فيتنام الجرح الغائر في صدور الأمريكيين .

يقول نيكسون الرئيس الأسبق للولايات المتحدة : (إن مأساة فيتنام قد جرحت كبرياء أمريكا ، ولم يكن ذلك راجعًا إلى أننا ذهبنا إلى هناك ، بل إلى أننا خسرنا . ولا يقلل الألم أن الحرب خسرناها بعد عامين من انتهاء دورنا القتالي . لقد جرحتنا في أعين أصدقائنا في الخارج ، وقللت من قدرنا في أعين خصومنا .

ولكن الدمار الأكبر كان داخل الوطن ، فخسارتنا في فيتنام أخلت بتوازن أمة لم تعهد الخسارة ، أمة جعلت النصر في المعركة مرادفًا لانتصار ما هو صواب) [(٢)] .

وهل يعجز شعب العراق أن يذيق القوات المحتلة من نفس الكأس ويتحول العراق إلى فيتنام ثانية ؟

آراء كثيرة ترجح ذلك ، فلا زالت المعارك مستمرّة ولم تنكسر إرادة شعب العراق ، ونقدم على ذلك نموذجًا يتمثل في الفالوجة .

---

(١) نفسه ، والكتاب المعنّي بعنوان « نهاية الشر » تأليف ديفيد فروم وريتشارد بيرل .

(٢) ص (٢٩) كتاب « نصر بلا حرب » ريتشارد نيكسون ، إعداد وتقديم المشير محمد عبد الحليم أبو غزالة ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م ، مركز الأهرام للترجمة والنشر .

ويقول ص (٣٠٧) وفي العالم الإسلامي من المغرب إلى أندونيسيا حلت الأصولية الإسلامية محل الشيوعية باعتبارها الأداة الأساسية للتغيير العنيف ، وعندما نناقش هذه الظاهرة الحديثة فمن المهم بصورة حيوية ألا نسمح لتطرف الأصولية الإسلامية أن يعمي أبصارنا عن عظمة التراث الإسلامي .

فإن الفالوجة كنموذج للمقاومة والجهاد تمثل نموذجًا آخر لحرب فيتنام :
(وبدأت قوات المارينز الأمريكية بقوة تبلغ في بعض التقديرات عشرين ألف جندي في مهاجمة المدينة الصامدة ...) [١] .

ويقول كاتب المقال :

(لقد مثلت الفالوجة النموذج السني المقاوم في العراق ، والذي يأبى الانكسار لدرجة أن أحد كبار خبراء ما يعرف بالإرهاب الفرنسيين قد ذكر في حديثه إلى إحدى محطات التلفزة الفرنسية عن الفالوجة في يونيو من العام الماضي ـ ٢٠٠٣م ـ إن من أكبر المناطق الإرهابية الكبرى في العالم منطقة في العراق تسمى « الفالوجة » فتلقين الفالوجة درسًا هو في الواقع كسر لإرادة المقاومة عند الجانب السني في الشعب العراقي) [٢] .

وفي محاضرة ألقاها الأستاذ أحمد منصور (وكان محاصرًا في الفالوجة في الفترة من ٥ أبريل حتى ٣ مايو ٢٠٠٤م) قال :

(إن الفالوجة تمثل عقدة بالنسبة للأمريكيين من حيث كانت أول مدينة خرج منها الأمريكان في يوليو الماضي ، وقد حدث خلاف بين القوات الأمريكية في شأن محاصرتها ، واستشهد بما قاله جون كولمان مسئول فرقة المشاة البحرية الذي قال : إن ما سينتهي إليه الأمر في الفالوجة هو ذاته ما سينتهي إليه الوضع في وسط العراق وبقية البلاد ...

---

(١) « الغزو الثاني للعراق . . قتال في الفالوجة » مقال بقلم حسن الرشيدي ص (٩٠) ، مجلة « البيان » ربيع الأول ١٤٢٥هـ - مايو ٢٠٠٤م .

(٢) نفسه .

وأشار أحمد منصور إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية تستعد الآن لإرسال آلاف من القوات إلى العراق لأن هناك ٤٠ ألفًا من الجنود المرتزقة رفضوا تجديد عقودهم للبقاء في العراق رغم الإغراءات المالية التي عرضتها أمريكا)[١] .

ولا شك أن هذه المعارك المستمرة ستسفر بمشيئة الله تعالى عن انتصار من يجاهدون دفاعًا عن دينهم وأرضهم وأعراضهم في مواجهة « مرتزقة » باعوا أنفسهم مقابل بضعة دولارات .

أما الاستعانة بالمرتزقة فإنها مؤشر في حد ذاته له دلالة بمدى الانهيار النفسي للمواطن الأمريكي الذي لا يقبل المخاطرة بحياته مما يضطر حكومته للاستعانة بالمرتزقة الذين توظفهم الشركات الأمنية والعسكرية الخاصة .

(ويؤكد أحد المسئولين عن واحدة من هذه الشركات أن الحرب على العراق تعتبر نقطة تحول بالنسبة لهذه الصناعة ، مشيرًا إلى أن المرتزقة شكّلوا نحو ١٠٪ من القوات الأمريكية في بداية الغزو الأمريكي للعراق ، وارتفع هذا الرقم بعد الغزو إلى ٤٠ ألف جندي تقريبًا)[٢] .

ويقول ادوارد كنيدي تحت عنوان :

« **العراق فيتنام بوش الابن** »

وهو السناتور الديمقراطي والسياسي المخضرم : (إن العراق فيتنام بوش الابن) ، ولم ينطق بهذا الوصف لغاية انتخابية ـ كما قال بعضهم ـ بل

---

(١) من محاضرة ألقاها في نقابة الصحفيين بالقاهرة ، ونشرتها مجلة الأسبوع ، ٥ ربيع الآخر ١٤٢٥هـ - ٢٤ مايو ٢٠٠٤م .

(٢) مروة محمد إبراهيم ، مقال بعنوان « المرتزقة . . وقود الحرب الأمريكية في العراق » جريدة الأهرام ، بتاريخ ٨ جمادى الآخرة ١٤٢٨هـ - ٢٣ يوليو ٢٠٠٧م .

للحرص على بلده الذي قاده بوش وإدارته ، ورغم كل الفخفخة الظاهرة إلى هاوية بلا قرار)[١] .

وبمثل هذه الشهادة نستطيع النجاة من الحرب النفسية ، وينبغي الجمع في دراستنا لأوضاعنا الحزينة بين الرؤية الآنية ، وبين النظرة الموضوعية التي تتناول أطراف القضية بأبعادها العقدية والتاريخية والحضارية ، بمنهج علمي تحكمه الضوابط الثابتة التي نوزن بها الأحداث ولا نستسلم لمطارق الحرب النفسية التي يشعلها الأعداء .

ففي أتون المعارك الضاربة الآن على جبهات فلسطين والعراق وأفغانستان يعتصرنا الألم جميعًا ، ونتعرض لحرب نفسية ماكرة ، تغذيها الصور عبر الأقمار الصناعية التي اختيرت بعناية لتعمّق الجروح وتزيد الآلام وتجعلنا نستسلم ونقر بالهزيمة .

فإن الجهاز الإعلامي « أو الدعائي بمعنى أصح » الخاضع للمخابرات له دوره في الحرب لا يقل خطورة عن دور القتال بالطائرات والدبابات والصواريخ ، إذ يستهدف تحطيم الروح المعنوية للعدو .

والظاهر للعيان لكل من يراقب الحرب في العراق بصفة خاصة شح المعلومات التي تتصل بالضحايا من قوات الاحتلال ورسم الصورة لهذه القوات بأنها القوية والمسيطرة على المدن والتقليل من أخبار المقاومة إلا في حالة ضخامتها واستحالة إخفائها أمام الأعين الصحفية التي ترصد الأحداث .

---

(١) مقال بعنوان « هذا العراق : فيتنام بوش الابن » بقلم عبد الرحمن مجيد الربيعي ، جريدة (الأسبوع) القاهرية ٢٢ صفر ١٤٢٨هـ - ١٢ أبريل ٢٠٠٤م .

إن الاكتفاء بتلقي معلوماتنا من أجهزة الإعلام الخاضعة للاحتلال تحقّق له غرضه في الانهزام النفسي وإحلال الاكتئاب ، بدلًا من الثقة بالنفس وإيقاظ روح التفاؤل التي نستمدها من الرؤية الاستقلالية بالاطلاع على المصادر المتنوعة للأخبار والتعليقات التي تُنشر في الصحف الأوروبية والأمريكية التي تضع نفسها في خدمة الرأي العام ومصالح بلادها هناك وتصدر أحكامًا أقرب إلى الموضوعية .



❁ حضارة الغرب بين بيجوفيتش وجارودي .

❁ جارودي شاهد على العصر .

❁ عصر الانحطاط ، لا التقدم .

❁ حضارة الغرب بين بيجوفيتش وجارودي :

قبل عرض بعض آراء الفيلسوف جارودي الناقدة لحضارة الغرب فإننا ننوّه أولًا باختلاف منهجّي كل من علي بيجوفيتش ورجاء جارودي في عرض الإسلام وحضارته ، ونظرتهما للحضارة الغربية ، إن بيجوفيتش وضع هدف كتابه بالكلمات الآتية :

(كتاب « **الإسلام بين الشرق والغرب** » ليس كتاب لاهوت وإنما هو كتاب يتناول عقائد الإسلام ومؤسساته وتعاليمه بقصد اكتشاف موقع الإسلام في إطار الفكر العالمي ، وإنه ليس نظرة للإسلام من الداخل ، وإنما على الأرجح نظرة من الخارج . بهذا المعنى فإن موضوع الكتاب ليس في أساسه عن الإسلام كمعلّم ، بل عن الإسلام كنظرة على العالم)[١] .

وبعد أن ناقش حقيقة كل من الديمقراطية والاشتراكية بما فيهما من انحرافات ، انتهى إلى القول بأنه مهما (يكن الأمر ، فإن ما رأيناه من تأرجح وانحرافات وتسويات قهرية ، إنما يمثل انتصار للحياة والواقع الإنساني على جميع الأيدولوجيات القاصرة على جانب واحد ، وهذا في حد ذاته يُعد انتصار للمفهوم الإسلامي)[٢] .

أما الفيلسوف رجاء جارودي الذي وُصف بأنه أكبر مفكر فرنسي معاصر[٣] ،

---

(١) علي عزت بيجوفيتش « الإسلام بين الشرق والغرب » ص (٣٩) ، ترجمة محمد يوسف عدس ، الناشران : مجلة النور ومؤسسة بافاريا ، رجب ١٤١٤هـ - يناير ١٩٩٤م .

(٢) نفسه ص (٣٨٩) .

(٣) د/ مصطفى حلمي « إسلام جارودي بين الحقيقة والافتراء » ص (١٥) ، كما وُصف أيضًا بأنه (أكبر فيلسوف في الغرب الآن) ، ط. دار الدعوة بالإسكندرية ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .

فإنه ينظر إلى الإسلام من منظور حضاري ، ويرى أنه يقدم الحلول لمشاكل حضارة الغرب المستعصية ، كذلك يؤكد على فضائل حضارة الإسلام على حضارة أوروبا في سياق الأخذ والعطاء فيما سماه « حوار الحضارات » . ولكونه مرّ بمرحلتين في حياته قبل إسلامه : المسيحية أولًا ثم الماركسية ثانيًا ، وهُدي إلى الإسلام في نهاية المطاف ، فقد أمدّته هذه المراحل الثلاث بخبرة عميقة بالأديان والمذاهب الفلسفية .

لذلك يتنبأ بأن الإسلام دين المستقبل ، وله كتاب بهذا العنوان ، وعدّد مزايا الإسلام بكتابه « ما يعد به الإسلام » .

وللفيلسوف جارودي آراء نقدية عديدة للحضارة الغربية [1] ، ويطلق عليها صفات حادة النبرة ـ كما سيتضح من عرضها ـ ولكنها في الحقيقة مطابقة للواقع ، ويتبنى قضية فلسطين مدافعًا عنها في مواجهة اللوبي اليهودي الأمريكي والأوروبي ، وقد تعرض للمحاكمة بسبب تشكيكه في عدد اليهود من ضحايا النازي فيما يسمى بالمحرقة .

وقد فضّلنا إضافة بعض أفكاره للمقارنه بمنهج علي بيجوفيتش ، ليتّضح للقارئ الصورة المتكاملة لحضارة العصر بجانبيها : الإيجابي والسلبي .

ولكن يتفق كل من جارودي وعلي بيجوفيتش على اختيار الإسلام منقذًا للبشرية .

---

(١) يسجل الأستاذ عادل المعلم مختصر رأي جارودي في الغرب بأنه سلب ونهب وقتل الآخر طوال خمسة قرون ، بمنهاجية مؤسسة . تارة على أصولية دينية ، طبقًا لأخطر أساطير التاريخ الإنساني : الشعب المختار وأرض الميعاد ومملكة المسيح على الأرض التي تشيدت على دماء عشرات الملايين من القتلى . ص (٦) من كتاب جارودي « الإرهاب الغربي » ج٢ .

❁ جارودي شاهد على العصر :

ونعود إلى الفيلسوف الكبير جارودي الذي استطاع أن يفلت مما سماه بالسيطرة الإعلامية على الجماهير لتخدير الضمائر ، وهو في تأمله ودراسته للإحصائيات في المجتمع الأمريكي يستخلص الانحدار الأكثر دموية لهذا المجتمع ، (فهناك مائتان وخمسون مليونًا من قطع الأسلحة المختلفة لمائتين وخمسين مليونًا من البشر ، وأطفال قتلة في سن التاسعة ، ومليونان من المسجونين ، ومليارات الدولارات من الديون « أكثر من مجموع إنتاج العالم الثالث » ، وثلاثة وثلاثون مليونًا من الفقراء ، وحيث واحد في المائة من السكان يمتلك سبعين في المائة من الثروة الوطنية .. والعتاد الحربي يدمر السكان والبنية التحتية ..) ولا ينسى الانحدار الأخلاقي المتمثل في معونة أمريكا لإسرائيل التي يصفها بشيكاجو الصغيرة ، فها هي تغزو فلسطين بدبابات زنة أربعين طنًا ، ويعلق أخيرًا على ذلك بقوله : (وما ذلك إلا دليل على الانحطاط الأخلاقي لعالم اختفى منه تمامًا مفهوم « الشرف ») [١] .

ولا يُصدر جارودي هذا الحكم من فراغ ، بل بدراسته الواسعة للتاريخ الغربي كله حيث يرى أنه مع الحقبة التاريخية التي بدأت عام ١٤٩٢م بغزو أمريكا ، أدرك البعض معنى البربرية الجديدة لهذا الغرب [٢] .

ويؤرخ لفكرة « الشعب المختار » وهي أكثر الأفكار دمويّة في التاريخ التي دفعت بطائفة « الطهريّين » البروتستانت الإنجليز الذين وصلوا أمريكا

---

(١) روجيه جارودي « الإرهاب الغربي » ج ١ ص (٤١) ، تعريب د/ داليا الطوخي ، د/ ناهد عبد الحميد ، د/ سامي مندور ، مكتبة الشروق الدولية ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م .

(٢) نفسه ص (١٢٣) .

باستئصال الهنود ، وجعلت أحد البابوات يتساءل : ما إذا كان الهنود يتمتعون بروح كالبيض ، ثم قسّم أراضيهم بين إسبانيا والبرتغال (فهذه الفكرة إذن أساس الكثير من أنماط الاستعمار) وقد مارست أمريكا سياستها الاستعمارية وإخضاع العالم تحت شعار « الشعب المختار »[1] .

عصر الانحطاط ، لا التقدم :

إن لجارودي نظرته المتفردة للحضارة المعاصرة بجناحيها السوفييتي والأمريكي ، وقد تسلح بمخزون ثقافته العميقة والجامعة بين التاريخ والفلسفة والآداب والفنون والاقتصاد والسياسة والأديان ، مع ملاحقته للتطورات المعاصرة في كافة هذه النواحي .

فضلًا عن معايشته بإخلاص لآلام الشعوب المقهورة من دول العالم الثالث حيث استخدم الغرب معها أدوات القهر المتمثلة في صندوق النقد الدولي ، والبنك الدولي ، والمعونات المشروطة ، والغزو الإعلامي ، وحرمانها من امتلاك التقنية الحديثة ، فإنه من غير المسموح به لأي شعب أن يرتقي إلى مستوى تقني عالٍ ، أو يستثمر بنفسه ثرواته الوطنية « كالبترول » .

وبهذا الموقف الإنساني ، مع استخدام أدوات البحث العلمي ، مع ذاكرة قوية وإدراك للحقائق وراء الظواهر الخادعة ، توصل جارودي إلى نتيجة مؤداها أننا نعيش مقدمة عصر الانحطاط ـ لا التقدم ـ وخصّ أمريكا بهذا الوصف باعتبارها القوة الأولى في العالم بعد انهيار الاتحاد السوفييتي .

---

(١) نفسه ص (٦٧) .

وله رؤيته الخاصة المتشائمة لحضارة الغرب وطبيعة القرن العشرين ، وهذه الرؤية مستمدة من نظرة كلية لجرائم الاستعمار ودور « العولمة » في تدمير اقتصاد العالم الثالث ، وافتقاد قيم الشرف في العلاقات الدولية واتباع دين جديد سمّاه « وحدانية السوق » ويصف « العولمة » بأنها اسم مرادف للهيمنة العالمية لدى أمريكا والتابعين لها (الذين يقودونا ـ في القرن الواحد والعشرين ـ إلى انتحار كوني) ثم يستخدم في وصف الغرب كلمة ألمانية معناها « بلاد الظلام » ، ثم يتساءل : ما الذي نجنيه اليوم من حضارتنا المنحطة ؟ [(١)] .

ولم ينجرف جارودي وراء الأوصاف الجذّابة اللامعة التي يستخدمها معظم كتّاب العصر بوصفه أنه عصر الثورة الاتصالية الكبرى ، أو أنه عصر ثورة تكنولوجيا المعلومات ، ولكنه وضع نصب عينيه فضح سلوكيات الحياة المعاصرة التي تختفي وراء النفاق السياسي ، وترفع شعارات الحرية والديمقراطية ، بينما تشجع في الحقيقة وسائل القمع البوليسية فيقول : (والخبث الأكبر فيما يسمى الدفاع عن « الديمقراطية » وعن حقوق الإنسان ، يمكن اكتشافه في حالة الجزائر الآن ، فالتناقض كان واضحًا جدًّا ، إذ اتخذ النظام الديمقراطي الحر اتجاهًا متناقضًا تمامًا مع كل مبادىء هذا النظام ، فقد قبل بوقف العملية الانتخابية « الحرة » وساند الانقلاب العسكري بهدف مقاومة أصولية جبهة الانقاذ الإسلامية) [(٢)] .

ويذكّر القارئ بالتاريخ الأمريكي القائم على العنف الدموي الذي يرعاه نفاق ديني (سمة دائمة في تاريخ الولايات المتحدة منذ تأسيسها وقد حمل

---

(١) نفسه ص (٥٠) .

(٢) «الولايات المتحدة طليعة الانحطاط » ص (١٧) ، ترجمة : مروان حمدي ، دار الكاتب ـ دمشق ، ١٩٩٨م .

البيوريتانيون ـ أي التطهريون ـ الإنجليز الذين نزلوا أمريكا ، حملوا معهم الاعتقاد الأشرّ فتكًا في تاريخ الإنسانية ، وهو الاعتقاد بفكرة « الشعب المختار » الذي أعطى الشرعية بعمليات استئصال السكان الأصليين واغتصاب أراضيهم ، وكأنه أمر إلهي ، اقتداء بالنموذج التوراتي ، نموذج « يوشع » حيث أوكل « رب الجنود » لشعبه مهمة ذبح السكان الأصليين في بلاد كنعان والاستيلاء على أراضيهم)[١] . وهذا النموذج التاريخي يجعلنا أكثر فهمًا لدوافع سلوك جنود أمريكا في العراق وأفغانستان ، وتصرفاتهم المشينة في سجن أبي غريب وغيره من السجون السرية في العالم .

ويلجأ جارودي إلى لغة الإحصاء في وصفه للتغييرات الاجتماعية داخل المجتمع الأمريكي (وقد دخلت الولايات المتحدة في مرحلة « قصور حراري » من تاريخها ، أي مرحلة التفكك الداخلي بسبب النمو البائس لأمريكا الأخرى ، النمو البائس لثلاثة وثلاثين مليون مواطن يعيشون تحت عتبة الفقر ، ومن التفتت الاجتماعي بسبب التمييز العنصري الممتد عبر القرون ، وبشكل خاص ضد السود ... وكذلك الانحلال الاجتماعي بسبب المخدرات والفساد ، والمضاربات الطفيلية)[٢] .

وفي بداية مقالته بعنوان « عوارض الانحطاط » وضع السؤال التالي :

(أليس العالم مهددًا بدخول زمن الانحطاط بسبب سيادة الولايات المتحدة العالمية وتوحيد السوق) ؟

وأخذ يفسر المقصود بالانحطاط على المستويين الفردي والاجتماعي (فإن

---

(١) « **الولايات المتحدة طليعة الانحطاط** » ص (٣٩) ، ترجمة : مروان حمدي ، دار الكاتب ـ دمشق ، ١٩٩٨م .

(٢) نفسه ص (٢١) .

الانحطاط على المستوى الفردي هو انطواء الفرد الأناني على ذاته ورفض مسؤليّته تجاه الغير ، وهو على مستوى الجماعة رغبة السيطرة ، فعبادة السوق وملكية المال المطلقة يؤدّيان بمجتمعاتنا إلى الانحطاط والموت .

فبعد حرب الخليج وتفكك الشرق أصبحت سيطرة الولايات المتحدة العالمية شاملة لدرجة أن وضعها الحالي يجسد وضع الدول الأخرى إذا ما استسلمنا للإنحراف الحالي باتجاه « فساد التاريخ » ، وتمثل الولايات المتحدة عوارض الانحطاط الأعمق من الانحطاط الروماني)[١] .

ويعطينا جارودي نموذجًا لتعامل أمريكا مع « بيرو » مشيرًا إلى وثيقة عنوانها « حال العالم ١٩٩٥م » وتلخص بوضوح ، ما أطلق عليه « الجنازة البشرية لبيرو » بعد خمسة قرون من الاندماج في الحضارة الغربية : (٧٦٪ من السكان ضحية لما كان يسمى في هذا الوقت بالبطالة ، .. ويعيش ثلث السكان تحت خط الفقر ، الزراعة أهملت واضطر الفلاحون ـ لكي يبقوا على قيد الحياة ـ إلى زراعة الكوكا ، وهي المادة الخام التي يصنع منها الكوكايين « المخدر الذي أصبحت الولايات المتحدة أكبر مستهلكيه » لأن زراعة البن أو الكاكاو التي تدر عليهم دخلًا أقل ثلاث مرات لم تكن تسمح لهم بالعيش)[٢] .

وهذه الأحوال البائسة دفعت هنود أمريكا **Andes** في عام ١٩٨٥م في أثناء رحلة البابا إلى بيرو ، إلى تسليمه هذه الرسالة (نحن هنود أمريكا نريد أن ننتهز فرصة زيارة البابا جان بول الثاني ، لنرد إليه كتابه المقدّس ، ذلك أنه وعلى

---

(١) روجيه جارودي : مقال بعنوان « **عوارض الانحطاط** » ص (١٤) مجلة « منبر الشرق » العدد ١٥ ربيع أول ١٤١٥هـ - سبتمبر ١٩٩٤م ، يصدرها المركز العربي الإسلامي للدراسات (حزب العمل) .

(٢) ص (٤٤) من كتاب « كيف نصنع المستقبل ؟ » روجيه جارودي ، ترجمة وتقديم د/ منى طلبة ود/ أنور مغيث ، دار الشروق ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م .

مدى خمسة قرون ، لم يجلب لنا الحب ولا السلام ولا العدل ، فليردّه إلى مضطهدينا فهم يحتاجون إلى وصاياه الأخلاقية أكثر منا . لقد وصل إلينا الكتاب المقدس كجزء لا يتجزأ من النظام الاستعماري المفروض علينا)[١] .

والحق أن جارودي لا ينفرد بهذه الرؤية ، فقد سبقه الكاتب الإنجليزي الشهير ألدوس هكسلي بكتابه الصادر عام ١٩٣٢م مدفوعًا بشعور قوي جدًّا بالخوف والتشاؤم من المستقبل الذي يهدد العالم ، إذا لم نفعل شيئًا لتجنب هذا المستقبل المظلم الذي كان يخيفه[٢] .

ويتلخص رأيه في أن (التقدم العلمي والتكنولوجي يسمح بطبيعته بتركز السلطة والقوة في أيدي قلة تقوم بفرض إرادتها على الآخرين ، والأدوات التي تستخدم في فرض هذه الإرادة لا تقتصر على أدوات القهر المادي المعروفة في مختلف عصور التاريخ ، من أسلحة وسجون وأدوات التعذيب الجماعي بمختلف صورها ، بل أصبحت تشمل في العصر الحديث صورًا جديدة للقهر المعنوي ، عن طريق ما أصبحت تسمح به وسائل الإعلام والاتصال الحديثة من تأثير في عقول الناس وميولهم وغسيل أدمغتهم وبث ما يريد الممسكون بالسلطة نشره من أفكار ومعتقدات ومعلومات)[٣] .

---

(١) نفسه ص (٢٧٣) .

(٢) د/ جلال أمين « خرافة التقدم والتأخر ـ العرب والحضارة العربية في القرن الواحد والعشرين » ص (١٤١ - ١٤٣) ، ط. دار الشروق ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .

(٣) نفسه ص (١٤٤) .

ويرى الدكتور جلال أمين أن الحضارة الغربية أصابها الضعف وهي تمر بمرحلة لها كل سمات الشيخوخة ... بل بدأ أصحاب هذه الحضارة في فقد الثقة في حضارتهم . ص (١٦٨-١٦٩) .

ويذكر بكتابه « عصر التشهير بالعرب والمسلمين » : (إن نهضتنا يجب أن تعتمد على قيمنا الخاصة) ص (١٠٩) « مصدر سابق » .

لذلك يعطينا جارودي صورة واقعية للعصر ، بعد بحث ودراسة لكافة وسائل العصر التقنية وآثارها على المجتمعات البشرية ودورها بالتلاعب بالرأي العام .

وهو يضع نصب عينيه الولايات المتحدة الأمريكية ودورها الأكبر في محاولة السيطرة على العالم عن طريق العولمة ، ويستخدم المنهج التاريخي أولًا لبيان أسباب الظواهر المعاصرة .

ويذكر في هذا المصدر وصف « توكفيل » منذ ١٨٤٠م في كتابه « الديمقراطية في أمريكا » الشعب الأمريكي بقوله (لا أعرف شعبًا يحتل المال في نفوس أفراده مكانًا أكبر) . والشعب هو « تجمع مغامرين ومضاربين » ومازلنا اليوم قادرين أن نجد في تاريخهم أسس انحطاط ثقافتهم [١] ، ويتابع قوله : (قد تقدم دولة اجتماعية ديمقراطية شبيهة بدولة الأمريكيين تسهيلات لحلول الاستبداد .. وسيكون هذا الأخير أكثر انتشارًا « من استبداد أمراء أوروبا » ، ومن شأنه أن يدفع بالبشر إلى التقهقر من دون أن يعذبهم) [٢] .

ويعلق جارودي على هذه الكلمات بقوله : (فعمرها مائة وخمسون عامًا ، لكنها قد تساعدنا اليوم على إدراك حقيقة أكثر تعقيدًا) [٣] ، ويقصد بذلك النتائج التي يستخلصها من تحليل طبيعة المجتمع الأمريكي ثقافيًا واجتماعيًا وسياسيًا ، فالتلفاز يتغلب على المدرسة لأنه يعفي الأفراد من جهد التعلم والحكم ، كذلك يقضي على السياسة فليس هناك شيء أسهل من حكم شعب أمّي .

---

(١) ص (٣٨) من كتابه « **الولايات المتحدة طليعة الانحطاط** » ترجمة مروان حموي ـ دار الكاتب ـ دمشق ١٩٩٨م .

(٢) نفسه ص (١٨) .

(٣) نفسه .

ويحلل الانتخابات الأمريكية التي تتشكل من قائد سياسي يهتم في بادئ الأمر ببناء صورته مستخدمًا وسائل الاتصال الحديثة ، ويتولد من المهنة السياسية جيل جديد : جيل النجوم[١] .

ويرى جارودي أن اقتصاد السوق هو في الحقيقة المسيطر على الحياة السياسية الأمريكية ، وهو الذي يولد سلطة « ديمقراطية » جديدة (تتألف من ثلاث : رئيس مؤسسة « الاتصال » ومدير التلفاز ورئيس الحزب السياسي ، وتصبح الديمقراطية الاسم السياسي المستعار لاقتصاد السوق)[٢] .

ويضيف أن الثقافة في هذا الإطار تندمج بالنموذج الاقتصادي الكلاسيكي : الإنتاج ، التوزيع ، الإستهلاك ، وتخضع له غالبية مؤسسات الصحافة والنشر ودور السينما ومحطات التلفاز ، ويتحول الأمر إلى « فوضى ثقافية » ، إذ بدلًا من أن تساعد الثقافة الصحيحة الإنسان على أن يثبت بها نفسه مسؤولًا عن تاريخه الخاص (أصبحت الثقافة خاضعة لقوانين الإنتاج . . مع معايير الرباحية المؤسسة)[٣] .

ويسهب جارودي في شرح التطورات الحادثة في مجالات الفنون والمسرح والسينما التي سلبت (الفيلم والمسرح والقصة كل استفهام حول معنى الحياة ، وكل شخصية متماسكة ، وكل عمل لا بل كل موضوع) .. وفيما يتعلق بالفنون كلها خطفتها دوّامة اقتصاد السوق .

---

(١) نفسه ص (١٩) .

(٢) نفسه .

(٣) نفسه .

ولم تقتصر هذه الصفة على أمريكا ، بل إن الثقافات الأوروبية (تتجه نحو الطابع الأمريكي في الميادين كلها ولأسباب سيادة اقتصادية)[١] ..

ثم يلخص دراسته العميقة لسمة العصر بقوله : (فكما في زمن الانحطاط الروماني ، نعيش مدّة جديدة فترة « فساد التاريخ » تميّزها السيطرة التقنية ، والعسكرية لامبراطورية لا تقدم أي مشروع إنساني من شأنه أن يعطي الحياة والتاريخ معنى)[٢] .

ويسخر من فوكوياما المستشار في وزارة الخارجية الأمريكية وكتابه حول « نهاية العالم » ويصفه بأنه مثال على عقيدة تبرير « الفوضى العالمية الجديدة » ودليل أيضًا على أحدّية السوق الأمريكية[٣] .

ويصل في النهاية إلى الحكم بفشل الحضارة الغربية في الإجابة على أسئلة الغاية من الحياة ، فيقول :

(تفرض سنة ١٩٩٢/ التفكير في الانحطاط ، ففشل الحضارة الغربية المزدوج ، من جهة السوفيات ومن جهة الأمريكيين ، يفرض التساؤل حول خطأ الغرب في التوجه ، ويفرض أيضًا التساؤل حول اختيار هذه الحضارة وسائلها في القرن السادس عشر مع فساد عصر النهضة ، والتساؤل حول اختيارها غاياتها في القرن الرابع مع فساد المسيحية في زمن قسطنطين ، وتكملة المشكلة الأعمق للمستقبل في اختيار الغايات ، فهي إذن مشكلة دينية ، إنها مشكلة إيمان لأن

---

(١) نفسه ص (٢٢) .
(٢) نفسه .
(٣) نفسه ص (٢٣) .

الديانات تجد حلًّا لمشاكل الغايات الأخيرة للحياة ، ولم ينجح نظاما الشرق والغرب الاجتماعيين في الإجابة عن أسئلة الغايات هذه)[١] .

وسنرى جارودي في كتابه « الإسلام دين المستقبل » يقدم الإجابات الشافية عن الغايات من الحياة بإجابته عن سؤال :

ويرى جارودي أنه من الأفضل للغربيين بدلًا من وقوفهم موقف المراقب المتسلط على الأنظمة السياسية التي تنتسب للإسلام ، أن يسألوا أنفسهم سؤالين :

أولًا : ما هو نصيب الغرب من المسئولية حول ما يظنونه تعصبًا ؟

وتكمن الإجابة في أن دفاع الشعب المسلم عن إسلامه وبشكل شجاع تحت سير الاستعمار كانت الطريقة الوحيدة للمحافظة على هويته .

ثانيًا : للرد على السؤال الذي يوجهه بعضهم إلى جارودي بشكل ساذج (أين هو هذا الإسلام الذي تجعلونه مثاليًا على الخريطة ؟) .

أجاب : تجرؤوا وضعوا أصبعكم على خريطة العالم لتبينوا لي أين هو المجتمع المسيحي ؟ أو المجتمع الاشتراكي ؟

وأخذ يشرح ما يستطيع الإسلام تقديمه للعالم للتهيؤ للقيام بالمسئوليات التي فرضتها القوة العلمية والتقنية[٢] بعد ألقى السؤال التالي :

ما الذي يجب أن نتعلمه من الإسلام في الوقت الحاضر ؟

١ - (في ميدان الثقافة بم نستطيع أن نشارك الإسلام ، كما في أي ميدان آخر . قبل كل شيء علينا أن نشاركه في الإسلام نفسه ، في إيمانه الذي يلهم ويحي ويوحد

---

(١) نفسه ص (٢٤) .

(٢) ص (٧٠-٧١) من كتاب « الإسلام دين المستقبل » جارودي ، ترجمة عبد المجيد بارودي ، دار الإيمان - بيروت - دمشق ١٩٨٣م .

هذه الثقافة .. وقبل كل شيء علينا أن نعرفها وهذا يحتم أن نتخلى عن عصرنا الوسيط الذي كان يعتبر الإسلام نقيضًا للمسيحية)[١] .

٢- (شهادة لا إله إلا الله تُقصي كل ما يمت إلى الأصنام التي تكثر في مجتمعاتنا : كصنم النمو والتطور ، وصنم التقنية العلموية ، وصنم الفردية ، وصنم القومية ، وصنم قوة السلاح والجيش ، وكل منها يحمل محرماته ورموزه المقدسة وطقوسه .

ويؤكد الإسلام رفضه لهذه الأصنام بقوله : لا إله إلا الله والله أكبر)[٢] .

٣- (وفي مجال الفنون ، لا يتجه الشعر الإسلامي الحالي إلى ملاقاة أولئك الذين يعيشون على أمل إبداع فن يحمل إلى الصورة الإنسانية شيئًا جديدًا في فرنسا وفي الغرب ؟

ولكي نتغلب على كافة العقبات التي تتعارض مع الحب والإبداع والإيمان ، هذه العقبات التي نشأت من طريقتنا الغربية في السعي وراء نمو ومن الثقافة الوضعية والتقنية التي تدعمها ، يستطيع هذا اللقاء مع الروح التنبؤيّة أن يحي إيمانًا جديدًا في الإبداع والحب لأن أعظم شاعر مسلم في عصرنا هذا ـ محمد إقبال ـ قد قال : « إن هدف القرآن الأساسي هو أن يحيى في الإنسان وعيًا أسمى لعلاقاته العديدة مع الله والعالم »)[٣] .

---

(١) نفسه ص (١٨٧) .

(٢) نفسه ص (١٨٩) .

(٣) نفسه ص (١٩١) م .

واستكمالًا لما يجب على الغرب أن يتعلّمه من الإسلام في الوقت الحاضر، ننشر بملحق هذا الكتاب وثيقة تتضمّن اعتراف المؤتمر الدولي للقانون المقارن - المنعقد بباريس في ٧ يوليو ١٩٥١م - بأنه يمكن للقانون الإسلامي تلبية جميع حاجيات الحياة العصرية[1].

(١) يُنظر الملحق ص ٣



- ❁ فشل المشروع القومي « البديل للجامعة الإسلامية » .

- ❁ ظاهرة تبعية بعض مثقفينا للغرب : الأسباب والعلاج .

- ❁ علي بيجوفيتش حجة على المثقفين المتغربين .

- ❁ تغلغل المسيحية في الثقافة الأوروبية .

- ❁ عودة بعض المتغربين إلى التراث الإسلامي .

رأينا كيف علّل بيجوفيتش هزائم الأمة الإسلامية بسبب تفتيت وحدتها بفكرة القومية وهي فكرة دخيلة أجنبية ، وهو ما يحتاج منا إلى مزيد من الدراسة فيما يلي :

❁ فشل المشروع القومي « البديل للجامعة الإسلامية » :

إن المشروع القومي كان أساسه تاريخيًا الانسلاخ من الخلافة العثمانية والاستقلال عنها بزعم إقامة « خلافة عربية » . وشجّعت إنجلترا على إقامتها ، فقد رحّب كتشنر بها ووعد بحمايتها من الهجوم الخارجي ، ولكن الحقيقة التي أسفرت عنها النتائج بعدذلك أن إنجلترا كانت تعد بمساندة « فكرة ميّتة » ، لأنها كانت (تعلم بلا شك أن الطامحين إليها كثيرون ، بل تدفع هي نفسها بآخرين إليها ، وإذا اتفق العرب على الخلافة فلن يتفقوا على الخليفة)[١] .

ونحن لا نستغرب قيام الإنجليز ببذر بذور الانشقاق بين حكام العرب ، فقد كان الشريف حسين يخشى العزل من الدولة العثمانية ، (ويخشى العداء من خلفه من ابن السعود الذي يحرّضه « مكتب الهند » البريطاني) .

ويعلّل مؤلف كتاب « المشروع القومي الذي لم يتم » الفشل بتقاعس همم العرب عند الخيار المطلوب ، فكان هذا الخطأ القاتل الذي موّه المشاعر (شعوب متحفزة ثائرة وقيادات متهالكة مساومة)[٢] ، لأن الثورة العربية آلت إلى (إقامة عروش في الحجاز والعراق والأردن . ولم يبدر من هذه العروش حركة واحدة

---

(١) د/ ذوقان قرقوط « المشروع القومي الذي لم يتم - بحث في نزعات التوحيد ١٩١٣- ١٩٥٢م » ، ص (٢٣) ، مكتبة مدبولي ٢٠٠٦م .

(٢) نفسه ص (١٣٤) .

باتجاه تحقيق الأماني العربية)[١] .

وقد أخذ مؤلف الكتاب يفنّد في الفصل السابع من الكتاب بعنوان : « بلاد مستباحة وشعوب واحدة ، ذاهلة وضائعة » أسباب النشاز في صفوف العرب ، فيقول :

(فبدلًا من أن تواجه البلاد في الثلاثينيات الاستعمار والصهيونية ، موحدة كما واجهتها مباشرة في العشرينيات قامت فيها أحزاب إقليمية وطائفية تبذر الشكوك بقومية البلاد وانتمائها العربي الإسلامي ، وبوحدتها .. فالحزب السوري القومي الذي أكرهته المستجدات على تبديل اسمه مرات ، يلبي بفذلكته الاجتماعية سايكس بيكو ، والحزب الشيوعي نشأ نشأة أجنبية مرتبطًا بنشر فكرة الشيوعية ، ومعاداة الاستعمار قبل اهتمامه بمصير البلاد)[٢] .

وعندما شُكّلت الجامعة العربية في مارس ١٩٤٥م تطلعت الأنظار إليها لتحقيق الوحدة العربية المرجوة .. ولكن ماذا كانت النتيجة في الواقع المرير ؟ (انتهى الأمر فتمخضت الآمال الكبار العظام في تشكيل جامعة « دول عربية » لتبصم على ضياع فلسطين من جهة ، ولتحمي الكيانات الإقليمية ، وتحول دون وحدة حقيقية من جهة أخرى)[٣] .

والباحث في نتائج أعمال جامعة الدول العربية يرجّح الرأي القائل بأنها من بنات أفكار (إيدن) الذي أراد بها قطع الطريق أمام حركة قومية عربية أصيلة (تحقق مراميها بدون وجود أثر لصنائع النفوذ الأجنبي)[٤] .

---

(١) نفسه ص (١٣٦) .
(٢) نفسه ص (١٠٩) .
(٣) نفسه ص (١٦١) .
(٤) نفسه ص (١٦١) .

ونرى أن إيدن ومن ورائه الغرب أراد قطع الطريق أمام قيام حركة (الجامعة الإسلامية) فلم يكن من المعقول أن يسهم الغرب بجيوشه للقضاء على الخلافة العثمانية ، ثم يسمح بتحقيق أي كيان وحدوى آخر يهدد مصالحه . فلم تنجح ثورة العرب الكبرى في وجه الخلافة العثمانية ، إلا بمساعدة الأسطول الإنجليزي الذي كان عمادها ... فقد نزلت جنود إنجليزية وفرنسية في ثغور جدة ورابغ وينبع والوجه وغيرها من سواحل الحجاز .... وإن الطائرات الإنجليزية هي التي كانت تستطلع مواقع الترك في المدينة وفي سواها من مدن الحجاز)[١] .

كذلك لا ينبغي نسيان أن أول عمل منظّم في حركة القومية العربية يرجع إلى عام ١٨٧٥ م (عندما قام خمسة شباب من الذين تلقوا العلم في الكلية البروتستانتية في بيروت ـ الجامعة الأمريكية ـ بتشكيل جمعية سرية قبل تولي عبد الحميد بسنتين)[٢] .

وحتى بعد أن وقعت كارثة فلسطين عقب كارثة سقوط الخلافة ، لم يع قادة العرب الدرس واستمر مسلسل الهزائم .

يقول د/ ذوقان قرقوط : (وبعد كارثة فلسطين ، والمهازل التي انكشفت في مواقف الحكومات العربية ، من عجزها بل وعقمها ، بات مطلوبًا بإلحاح للنهوض من الكبوة ولرد التحدي واسترداد الكرامة ورأب الجرح ، التغيير : تغيير الحكم للوقوف في وجه الفساد والإفساد ...)[٣] .

---

(١) نفسه ص (١٣٥-١٣٦) .

(٢) ص (٧) .

(٣) نفسه ص (١٦٥) .

وبدأت سلسلة الانقلابات في البلاد العربية بدءًا بسوريا ، وانتهاءًا بليبيا في خلال أعوام متقاربة ، وكان أحد أسباب الفشل في استرداد أرض فلسطين المغتصبة هو غياب فكرة الجامعة الإسلامية .

ويضيف إلى ذلك أن الحكومات العسكرية التي أقيمت بعد الانقلابات ألحقت الأضرار بالبلاد كما يرى الدكتور أحمد شلبي ﷬ (ويبدأ الضرر بالعسكريين الذين يقومون بالانقلابات ، إذ سرعان ما يضرب بعضهم بعضًا مما يؤكد أن الصحبة بينهم قصيرة العمر ، فشركاء حركة الانقلاب تقفز العداوة بينهم بمجرد نجاح الانقلاب ، ثم يتجه الضرر للمدنيين في البلاد ، وهذه النتيجة لم تتخلف على الإطلاق ... لقد حدث هذا بوضوح في أمريكا اللاتينية ، وحدث في بعض البلاد العربية ومن بينها مصر ، وحدث في الباكستان وأفغانستان وأوغنده وإفريقية الوسطى واليونان)[١] .

ويُلحق بفكرة القومية فكرة الوطنية إذ نجحت أبواق الاستعمار من خلال قنوات التعليم والإسلام والأذناب في تحويل الآراء إلى الاتجاه المعاكس فبشهادة الاستاذ محمد جميل بيهم (وكان المصريون جميعهم من دعاة الجامعة الإسلامية على اعتبار أن مصر إسلامية في دينها وحضارتها ، وهي جزء من عالم إسلامي يلتف حول الخلافة ، وتجمع بين أجزائه الأخوة الدينية) .

ولكن بسبب انتشار الفكرة القومية في العالم الغربي روّج لها من يؤيدها في الأوساط المثقفة بمصر ، فبرز أنصار القومية الفرعونية (ومن ورائهم دولة

---

(١) د/ أحمد شلبي « موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية » ص (٩) ـ دراسات تفصيلية عن تاريخ مصر المعاصرة ـ ثورة ٢٣ يوليو من يوم إلى يوم ص (٨٠١) ، مكتبة النهضة ١٩٧٩م ، ويُنظر كتاب توفيق الحكيم « عودة الوعي » دار الشروق ٢٠٠٦ .

الحماية ـ أي إنجلترا [*] ـ وقامت بمصر بلبلة في الأفكار وتشتت في المقاصد وذلك خلال الصراع الذي حدث بين جامعة إسلامية تتنكر لكل قومية ، وبين قومية فرعونية تجاري النزعات القومية وتكافح كل كتلة دينية) [١] .

ويضيف الدكتور محمد حسين بدقة كيف غَالَى دعاة الفرعونية في مصر في دعوتهم فيقول : (إنها قد أصبحت دعوة انفصالية تنزع نحو الأنانية والانطواء على النفس ، وتعارض الجامعة الإسلامية والجامعة العربية ، وترى أن جامعة الوجود المكاني التي تربط بين من يعيشون على هذه الأرض اليوم وبين من عاشوا عليها منذ آلاف السنين ، هي أقوى وأحق بالرعاية من الجامعة الزمانية التي تربط بينهم وبين أبناء جيلهم ممن يعيشون في غير مصر ، وهي أقوى وأحق بالرعاية من الجامعة الروحية التي تربط بينهم وبين أبناء دينهم ، ومن الجامعة العقلية والثقافية التي تربط بينهم وبين أبناء لغتهم) [٢] .

ولكن كان هناك تيار آخر يُمثّله حزب مصطفى كامل باشا، الذي جمع بين بعث الوطنية المصرية والدعوة إلى الجامعة الإسلامية التي تنتظم فيها الأقطار والوطنيات والقوميات ... والوطنية بهذا المفهوم ترى الجامعة الإسلامية سياجها الإقليمي .. (ولم تكن وطنية سعد زغلول باشا التي تنفض اليد من الدائرة العربية والإسلامية يأسًا وقنوطًا) [٣] .

(*) وهي لازالت تسعى إلى الآن (عام ٢٠٠٦ م) مع حليفتها الولايات المتحدة إلى تكريس المزيد من تفتيت البلاد العربية (السودان ـ العراق) .

(١) محمد جميل بيهم « العروبة والشعوبيات الحديثة » ص (١١) ، نقاش مع الأساتذة : (انطون سعادة ، كمال جنبلاط ، سلامة موسى ، د/ أمير بقطر) ، ط. دار الكشاف ـ بيروت شعبان ١٣٧٦ هـ - مارس ١٩٥٧م .

(٢) د/ محمد حسين : « الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر » ط٢ ، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨م ، جـ ٢ - ص (١٤٠) مكتبة الآداب بالجماميز ـ القاهرة .

(٣) د/ محمد عمارة « إسلاميات السنهوري باشا » ـ ١ ص (٩٥) دار الوفاء بالمنصورة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.

وانتمى إلى مدرسة مصطفى كامل الدكتور عبد الرزاق السنهوري الذي كان يحلم منذ صغره بالجامعة الإسلامية ، ويتمنّى قيام جمعية أمم شرقية إلى جانب جمعية الأمم العربية [١] وكتب يقول : (إن دول الشرق لا يمكن أن تجتمع على شيء واحد غير دين الإسلام .... ولقد كنت أحلم صغيرًا بالجامعة الإسلامية ... وكلما تقدّمت في السن ازداد إيماني وتعلقي بقيام الشرق الإسلامي .... وبجمعية أمم شرقية ... فالشرق بالإسلام ، والإسلام بالشرق .. إنهما شيء واحد ... وإذا تحدثت عن أحدهما فكأنني أتحدث عن الآخر) [٢] .

ويتضح من هذه العجالة الخطأ الكبير الذي وقع فيه قادة العرب ـ وعلى رأسهم الشريف حسين ـ إذ أغفلوا حقيقة إرادة شعوب المنطقة التي لم تكن تقبل بغير حكم إسلامي ، وهو ما أثبته الباحث دافيد فردمكين حيث قال :

(إن البريطانيين في القاهرة عند تقويمهم للتقارير التي تحدثت عن استياء الحكم العثماني في بعض أقسام الامبراطورية ، قد أخطؤوا في فهم إحدى الخصائص البارزة للشرق الأوسط الإسلامي ، أي أن هذا الشرق بقدر ما كان له من وعي سياسي ، لم يكن مستعدًا للقبول بغير حكم إسلامي) [٣] .

---

(١) نفسه ص (٩٦) .

(٢) نفسه ص (٩٣) .

ويذكر الدكتور محمد عمارة أن أهل القانون المصري توجّوا السنهوري إمامًا لفقهاء القانون الحديث .. أما فقهاء القانون في أوروبا ـ وخاصة في إنجلترا وفرنسا ـ فقد أدركو رسوخ قدم السنهوري في الشرعية الإسلامية والفقه الإسلامي ، فأطلقوا عليه لقب (الإمام الخامس) بعد الأئمة العظام للمذاهب الإسلامية الأربعة (ص٦ نفس المصدر) .

مع العلم بأن للسنهوري باشا كَتَبَ كتابًا بعنوان : « **الخلافة الإسلامية وتطورها لتصبح هيئة أمم شرقية** » ص (٧٧) نفس المصدر .

(٣) « المشروع القومي الذي لم يتم » ص (٢٥) .

ثم توالت الثورات ـ أو بالأصح الانقلابات العسكرية ـ في المنطقة ، وكلها أغفلت ـ أو على الأقل ـ لم تلق بالًا إلى الخصائص البارزة لشعوب الشرق الإسلامي ، وألقت وراء ظهرها بفكرة « الجامعة الإسلامية » ، بينما كانت البديل الشرعي للخلافة العثمانية .

أضف إلى ذلك أن انفراط عقد الأحزاب والتكتلات في الأقطار العربية يرجع إلى عاملين :

الأول : إن مبادئها غير مستمدة من التراث الإسلامي ، فهي إما قومية عربية منسلخة من الإسلام ، أو فلسفة شيوعية تتناقض مع عقائد الأمة وقيمها .

الثاني : لم يكن القادة على مستوى تحمل الأمانة لتفشي الانتهازية لديهم[١] .

ونستخلص من قراءة صفحات تاريخنا المعاصر ، ودراسة أسباب الهزائم ، أن زعماء العرب منذ زوال الخلافة العثمانية ، وحتى الانقلابات العسكرية في البلاد العربية ، افتقدوا النظرة الصائبة للمعركة مع الصهيونية بأبعادها التاريخية والدينية ولم يفطنوا إلى أنها معركة الإسلام الكبرى في هذا العصر ، وهي امتداد لمعارك صلاح الدين ونور الدين الشهيد[٢] .

وإذا درسنا أسباب نكبة فلسطين لوجدنا أن أحدها يرجع إلى تحويل القضية من بعدها الإسلامي ، إلى نطاق القومية العربية الضيق ، فسلبها قدرات الأمة الإسلامية الهائلة ، وأفقدها القيم المعنوية العليا التي ينبغي الدفاع عنها .

ويرى الشيخ محمد الصوّاف رحمه الله أنه كان لابد أن (ننقل قضية فلسطين من نطاقها العربي الضيق إلى نطاقها الإسلامي الواسع ، ونستثير الشعور الديني لدى

---

(١) نفسه ص (٣٠) ، ونخالف المؤلف الفاضل بوصفه للمبادئ بأنها كانت صحيحة .

(٢) محمد محمود الصوّاف « نداء الإسلام » ص (١٥٣) ، دار العلم ـ عمان ، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣م .

المسلمين في كل مكان ، ونشعرهم أن المعركة معركة الإسلام الكبرى في هذا العصر ، وإن العمل لها جهاد في سبيل الله)[١] .

ويعلل الهزائم المعاصرة للأمة بأنها شقيت (برجال عبدوا المناصب من دون الله ، وضحوا في سبيلها ، بكرامة الأمة ، وبشرف الإسلام)[٢] .

أما كون فلسطين قضية إسلامية فلأن (مصير بيت المقدس والأرض المقدسة مرتبط بمصير الإسلام ووحدة دوله .... ولأن العدوان الصهيوني على فلسطين عدوان على العالم الإسلامي باعتبار أن فلسطين هي الخط الأمامي له ، وتشتمل على قبلة المسلمين الأولى وعلى مسرى ومعراج الرسول الأعظم ﷺ ، وإن اقتطاع فلسطين من الجسم الإسلامي نذير خطير محدق بالأقطار الإسلامية)[٣] .

وقد أحيت فاجعة فلسطين في القلوب رابطة الانتماء الإسلامي ، وارتفعت بمستواها عن الانتماء الوطني ، فكتب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله بأسلوب أدبي رشيق يقول :

(يا فلسطين ! إن في قلب كل مسلم جزائري من قضيتك جروحًا دامية ، وفي جفن كل مسلم جزائري منتحلًا عبارات هامية ، وعلى لسان كل مسلم جزائري في حقك كلمة مترددة هي : فلسطين قطعة من وطني الإسلامي الكبير ، قبل أن تكون قطعة من وطني العربيِّ الصغير)[٤] .

---

(١) نفسه ص (١٥٦) .

(٢) نفسه ص (١٣٣) ، بينما مرت الأمة في تاريخها بكوارث أشد هولًا مما تعانيه الأن ، ولكن قادها إلى الانتصار قادة مخلصون .

(٣) محمد دياب « الإسلام والمواجهة الشاملة » ص (٧٠) ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ بالقاهرة (العدد ١٤٩) شعبان سنة ١٣٩٣ هـ - سبتمبر ١٩٧٣م .

(٤) محمد البشير الإبراهيمي « عيون البصائر ٢ » ص (٤٩١) ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر بدون تاريخ .

وخلاصة القول ، فبعد فشل المشروع القومي الذي كان سببًا في الهزائم المتتالية ، لم يبق إلا الالتجاء إلى الوحدة الإسلامية ، حتى في شكل الخلافة الغير كاملة حسب وصف الدكتور السنهوري ، إذ يجوز تعدد الخليفة للضرورة (ولكن الخلافة هنا تكون خلافة غير كاملة ، على أن الخلافة الكاملة يمكن تحققها إذا اجتمعت كلمة المسلمين ، لا على أن تكون له حكومة مركزية واحدة ، فذلك قد يصبح مستحيلًا ، بل يكفي ـ على ما أرى ـ أن تتقارب حكومات الإسلام المختلفة وأن تتفاهم ، بحيث يتكون فيها هيئة واحدة شبيهة (بعصبة الأمم المتحدة) تكون على رأس الحكومات ، وتكون هي هيئة الخلافة ، ولا سيما إذا ألحق بهذه الهيئة مجلس مستقل عنها ، ويكون مقصورًا على النظر في الشؤون الدينية للمسلمين)[١] .

وعلى أثر إخفاق القومية ومعها الماركسية في بلاد المسلمين لحل المشكلات الناجمة عن الاستعمار الغربي العسكري واليأس الاقتصادي والثقافي ، برزت الأسئلة التالية لدى كثير من المؤمنين (ما ديني ؟ وما أهميته في حياتي ؟ وكيف يكون سلوكي محكومًا بعقيدتي الدينية ؟)[٢] .

ويعلّق ديل إيكلمان على هذه الظاهرة الملفتة للأنظار بقوله : (وأنا أزعم أن تلك الأسئلة حديثة وأنها تحكم أقوال المسلمين وأفعالهم بطريقة مطّردة)[٣] .

---

(١) د/ محمد عمارة « إسلاميات السنهوري باشا » جـ١ ، ص (٣٣٠) ، مصدر سابق .

(٢) مقال بعنوان : « التوسع في التعليم العالي وأثره في الفكر الديني في المجتمعات العربية المعاصرة » بقلم ديل إيكلمان ص (٢٣٦) ، من كتاب (الكتاب في العالم العربي) تحرير جورج عطية ، وترجمة عبد الستار الحلوجي ، من سلسلة (عالم المعرفة) بالكويت ـ أكتوبر ٢٠٠٣م .

(٣) السابق .

وأخيرًا ، نترك الكلمة للأستاذ السيد يسين في حكمه على التيار الليبرالي العربي المعاصر إذ يقول : (غير أن التيار الليبرالي العربي الذي خفت صوته في مرحلة الخمسينيات والستينيات تحت وطأة ثقل الخطاب الاشتراكي والقومي ، والذي عاد في العقد الأخير وارتفع صوته ، يتسم بكونه أقل التيارات السياسية العربية إبداعًا في المجال الفكري . فليست هناك أعمال فكرية ذات بال أصدرها أنصار هذا التيار ، بالإضافة إلى أن عددًا كبيرًا من أنصار هذا التيار قنعوا بالانضواء تحت شعارات (الليبرالية الجديدة) التي تقودها وتروج لسياستها الولايات المتحدة الأمريكية)[١] .

ونحن نأمل ـ بعد هذا العرض الموجز لفشل تجربة المشروع القومي ـ والتجربة أقوى الأدلة في رأينا .. نأمل من مثقفينا المتغربين مشاركتنا الرأي في أنه لم يبق لنا سبيلًا للنهوض ومقاومة العولمة إلا المشروع الإسلامي الذي اقترحه الدكتور السنهوري .

❁ ظاهرة تبعية بعض المثقفين للغرب « السبب والعلاج » :

رسم الاستعمار والنصرانية صورة سيئة للإسلام خلال قرون من العداء والصراع مع الحضارة الإسلامية ، كما يذكر الدكتور إدريس الكتاني ، ثم يشرح حقيقة « المفهوم » الكامل للإسلام في الغرب ، حيث تندمج فيه معاني (الرجعية ، التخلف ، والبداوة والقسوة والعنف ، والقبلية والطائفية) ، ويؤيد ذلك الأبحاث التي تم القيام بها أخيرًا في مواد الكتب المدرسية ومناهجها التاريخية والجغرافية

(١) السيد يسين ، مقال بعنوان « توجيهات متناقضة ووعي اجتماعي مشتت » جريدة الأهرام ، بتاريخ ١٢ رجب ١٤٢٨هـ - ٢٦/ ٧/ ٢٠٠٧ م ، ص (١١) .

والحضارية في بعض الدول الأوروبية ، وفي الولايات المتحدة نفسها تأكيد هذه الحقيقة ، بل إن الكتب والمناهج التعليمية التي ورثناها في المغرب العربي عن الاستعمار مليئة بخطوط ومحتويات هذه الصورة السيئة .

ويستطرد في تصوير انتقال هذه الصورة إلى الأجيال العربية الإسلامية فيقول :

(على أن هذا « المفهوم » لم يقتصر على شعوب الغرب وحده ، فالأجيال العربية الإسلامية التي تعلمت في الغرب ، أو درست في أوطانها في المدارس الغربية أو طبق المناهج الغربية ـ وهي التي تتصدر الشرائح العليا في أغلب البلاد العربية ـ الإسلامية هذه الأجيال إن لم تكن هي نفسها تؤمن بهذا المفهوم بنسبة ثمانين أو تسعين في المائة ، فهي على أحسن تقدير واقعة تحت تأثيره الفكري ـ الثقافي بنسبة خمسين بالمائة ـ ، وهذا هو سر انسياقها وتبعيتها ، بوعي أو بدون وعي ، للتيارات المادية للفكر اللاديني الغربي ، ووقوفها من قضية الدين ببلادها موقف الحياد أو اللامبالاة)[١] .

❁ علي بيجوفيتش حجة على المثقفين المغتربين :

لقد نشأ كما قلنا في قلب نظام شيوعي مستبد ولكنه لم يستسلم له ، بل ظل مُعْتَزًّا بإسلامه بعد أن نال نصيبه من السجن لمدة خمس سنوات ، وحمل على أكتافه عبء إنقاذ الأجيال الجديدة من شباب المسلمين المعرّضين لفقد هويتهم الإسلامية والمحاصرين فكريًا ووجدانيًا ، إما بالإلحاد الروسي ، أو الكاثوليكية الكرواتية أو الأورثوذكسية الصربية .

(١) د/ إدريس الكتاني مقال بعنوان : « كيف نفهم التطرف الديني » ص (٧٢) ، كتاب العربي : المسلمون والعصر الكتاب الرابع عشر ، ١٥ يناير سنة ٢٠٠٩

وفي ظل الظروف المأسوية التي تعرض لها شعب البوسنة - حيث وقف الغرب يتفرج على المذبحة التاريخية للمسلمين - استطاع بيجوفيتش تأليف كتابه « **الإسلام بين الشرق والغرب** » وهو حصيلة تمكّنه من الثقافتين الإسلامية والغربية معًا كما يذكر الاستاذ محمد يوسف عدس مترجم الكتاب .

وإذا قارنا بين حياته وأطوارها والمحن التي أصابته وأصابت شعبه ، إذا قارناها بالظروف التي اجتازها مثقفونا لثبت لنا أنهم في ظروف أفضل بكثير ، أي بالرغم من أن بعضهم ضحايا مناهج التعليم أو وسائل الغزو الثقافي ، أو الانبهار بالغرب أثناء الحصول على الإجازات العلمية من الخارج ، بالرغم من تقديرنا لهذه العوامل ، فإنهم يستطيعون - كما فعل بيجوفيتش - الوصول إلى حقائق دينهم بالقراءة والدراسة والبحث .

ونحن ندعوهم لذلك محافظة على هويتهم وإحياءً لروح النخوة لأمّتهم المعرضّة لأشد المخاطر .

ونقترح عليهم - وصولًا إلى الهدف من أقصر الطرق - دراسة التاريخ الإسلامي من مصادره الموثقة - والتاريخ كما يوصف أحيانًا بأنه ذاكرة الأمة - سيتبين لهم أن الشرع كان يظلل المجتمعات الإسلامية ، والإسلام يجمعها ، والقيم الإسلامية تربط بينها فلما أصابها ما أصابها من وهن وضعف ، ثم تفككت وحدتها بإلغاء خلافتها ، واجتياح الاستعمار لأراضيها وسلخها من شرعيتها ومحاربة دينها ، وتربية الأجيال التي رضعت ألبان ثقافة الغرب بجناحيه ثم تولّت زمام الحكم ووضعت مناهج التعليم حسب أهواء أساتذتهم المستشرقين.. ترتب على كل هذا تحول المجتمعات الإسلامية عن مسارها الصحيح ، وفقدت في خضم كل ذلك التصور المتكامل لعقيدة الإسلام ودوائره المتشابكة ، وتحول

الدين عند الكثيرين منهم إلى عبادات وشعائر من صلاة وصيام وزكاة وحج ، فإذا أضفت إليها أمامهم نظم الحكم أوالسياسة أو الاقتضاء أو التربية ظنّوا أنها ليست من الدين .

فكيف يقنع هؤلاء بأنها لحمة الدين ؟ وكيف نربى الأجيال الجديدة على الفهم الصحيح للدين ؟ هذا ما وجدنا عليه الإجابة بكتاب « **الإسلام بين الشرق والغرب** » ، لأنه يكتب لنا ويخاطب أهل عصرنا ويحوّل وجهتنا إلى الإتجاه الصحيح الذي اتجه إليه سلفنا الصالح منذ قرون ، فسادوا وقهروا أعداءهم وحققوا أفضل حضارة على وجه الأرض ، ونرى في ذلك كله دليلًا على أن نهضتنا الحقيقية هي البدء في السير في هذا الاتجاه الصحيح .

وللقارئ مختصر موقف بيجوفيتش من هذه القضية ، ثم نتبعه بحقيقة غابت عن الكثيرين ، وهي ظاهرة تغلغل الثقافة النصرانية في الثقافة الأوروبية بخلاف ما يظن الكثيرون .

قال علي بيجوفيتش : (ويؤكد القرآن ـ على خلاف الأناجيل ـ أن الله تعالى خلق الإنسان ليكون سيّدًا في الأرض ـ خليفة ـ يمكنه تسخير الطبيعة ، وبتركيز الإسلام على القانون والعدالة ، فإنه لا يستهدف الثقافة فقط ، وإنما يسعى لبناء حضارة أيضًا)[1] .

وبعد أن قدم نماذج للتدليل على أن الإسلام يجمع بين الجانب « الديني » المجرد ، والنظم الاجتماعية والدولية ، سجّل الانشطار الذي حدث على يد أناس قصروا الإسلام على جانبه « الديني » المجرد ، فتدهورت أحوال المسلمين ،

---

(١) علي بيجوفيتش « الإسلام بين الشرق والغرب » ص (٢٨٥) .

وأهملوا دورهم في هذا العالم بتأثير التمادي في الفلسفة الصوفية والمذاهب الباطنية التي تعد انتكاسًا لرسالة النبي ﷺ .

ومن رأيه أيضًا خطورة التمادي في الاتجاه الآخر « أي مادية الإسلام » ، وإن كانت ماديته أو مجموع العناصر الطبيعية والاجتماعية المتضمنة في صلبه حصنّت العالم الإسلامي ضد الأفكار المادية المتطرفة ولذلك فقد أخفقت الثورة الشيوعية في الدول الإسلامية ، فالإسلام لا يحتاج إلى « ماركس » لأن فيه ماركسيته الخاصة به إن صحّ هذا التعبير [١] .

وكان علي بيجوفيتش موفقًا ـ بهذه التحليلات والموازنات ـ في تقديم منظومة الحضارة الإسلامية في إطار متكامل ، وبأسلوب يفهمه المثقفون الغربيون ، وكان غرضه أن يعرفوا الإسلام على الوجه الصحيح .

ولا زالت دعوته ممتدة إلى مثقفينا المتأثّرين بحضارة الغرب .

۞ تغلغل النصرانية في الثقافة الأوروبية :

يقرر برجسون أن النصرانية تغلغلت في الحضارة الغربية كلها ، وتنسم الناس عطرها في كل ما تأتي به هذه الحضارة [٢] .

وبعد شرحه لما تنادى به الديموقراطية من حرية ومساواة ثم تضع الأخوة فوق كل شيء ، وهي الشيء الأساسي في الشعار الجمهوري ، يقول برجسون : (وهذا يبيّن لنا أن الديموقراطية من أصل إنجيلي ، وأن محركها هو الحب ، وفي وسعنا أن نبين أصولها العاطفية في نفس روسو ، ومبادءها الفلسفية في

---

(١) نفسه ص (٢٨٧) .

(٢) هنري برجسون « منبعا الأخلاق والدين » ترجمة سامي الدروبي و د/ عبد الله الدايم ، ص (٢٤٢) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧١م .

مذهب كُنْت ، وأساسها الديني لدى كُنْت وروسّو كليهما . فكلنا يعلم ما يدين به كُنْت إلى تقواه ، وما يدين به روسو إلى البروتستانتية والكاثوليكية اللتين تداخلتا عنده . وإن إعلال استقلال أمريكا (١٧٧٦م) الذي حذا حذوه إعلان حقوق الإنسان عام (١٧٩١م) . تشيع فيه روح المتطهرين : (نرى أن من البديهي ، أن الله قد وهب لجميع الناس حقوقًا لا يمكن التخلي عنها لأحد ... إلخ) ، والاعترضات التي استخلصت من غموض الشعار الديموقراطي يرجع سببها إلى الجهل بالطابع الديني الأصلي لهذا الشعار)[(١)] .

ولنبحث كيف تغلغلت النصرانية في الثقافة الأوروبية ـ وجوهرها الفلسفة ، وكيف احتل مكان الدين ركنًا بارزًا في أفكار الفلاسفة وشغلهم واستحوذ على اهتمامهم وحتى الذين أكدوا مواقف ناقدة ، فإنهم لم يرفضوه ، (بل كانوا يبحثون عن طريق جديدة للتدين ، لا إلغاء الدين تمامًا)[(٢)] .

لقد تلقى « ديكارت » تعليمه من جماعة « الجزويت » ، التي يصفها « برتراند راسل » بأنها جماعة تتسم بالإخلاص الكامل للقضية والمهارة في الدعاية (وكان لاهوتهم هو اللاهوت المضاد للاهوت البروتستانت ، فهم يرفضون تلك العناصر في تعاليم القديس أوغسطين التي يصرّ عليها البروتستانت . وهم يعتقدون في حرية الإرادة ، ويعارضون القضاء والقدر .. واكتسبت الجزويت هيبة لحمساتهم التبشيرية خاصة في الشرق الأقصى)[(٣)] .

---

(١) نفسه ص (٣٠٤) .

(٢) ص (١١١) من كتاب « معارك في سبيل الإله ، الأصولية في اليهودية والمسيحية والإسلام » كارين أرمسترونج ، ترجمة د/ فاطمة نصر ود/ محمد عناني ، كتاب سطور بالقاهرة سنة ٢٠٠٠م .

(٣) ص (٥٥) من كتاب « تاريخ الفلسفة الغربية ـ الكتاب الثالث » ترجمة د/ محمد فتحي الشنيطي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧م .

واستمد « روسو » الشهرة عندنا بكتابه « العقد الاجتماعي » ونظريته السياسية ، ولكن له إسهامه في الفكر الديني ـ أو اللاهوت ـ إذ قام بتجديد يتقبله الغالبية العظمى لرجال اللاهوت البروتستانت ! .

ويصف راسل طريقة « روسو » في الدفاع عن الاعتقاد الديني بقوله : (والبروتستانت المحدثون الذين يحفزوننا إلى الاعتقاد في الله يزدرون في الأغلب « الأدلة » القديمة ويؤسسون إيمانهم على جانب من جوانب الطبيعة البشرية ـ انفعالات الخوف أو الغموض ـ إحساس الصواب والخطأ ، الشعور بالطموح ، وهكذا دواليك .. هذه الطريقة .. ابتكرها روسو)[١] .

وهناك شواهد كثيرة على عمق اقتناعه بعقيدته ، منها قوله : (أنا لا أستنبط هذه القواعد ـ أي قواعد السلوك ـ من مبادئ فلسفية عالمية ، وإنما أجدها في أعماق قلبي ، كتبتها الطبيعة بحروف لا تمحى)[٢] .

وفي مناسبة أخرى يوجه خطابًا إلى سيدة أرستقراطية لنفي الشك في الإله ، فيكتب :

(.. انظري هنالك : شروق الشمس ، وهي تبدد الغيوم التي تغطي الأرض ، وتكشف عاريًا منظر الطبيعة اللامع الرائع ، تبدد في عين اللحظة كل سحابة من نفسي . أجد إيماني من جديد ، وإلهي واعتقادي فيه . أنا أعجب به وأعشقه وأخرّ ساجدًا في حضرته)[٣] .

... ويقول روسو ـ الذي يصفه إميل بوترو بأنه « راهب سافوى » : (إني

---

(١) نفسه ص (٢٩٧) .

(٢) نفسه ص (٢٩٨) .

(٣) نفسه ص (٢٩٧) .

أعترف لكم أن لكل قداسة الإنجيل حجة تتحدث إلى قلبي ، ويؤسفني ألا أجد ضدها ردًّا حسنًا . انظروا إلى كتب الفلاسفة بكل ما تحمل من جلال ، فما أصغرها إلى جانب هذا الكتاب . إنكم تعارضونني بسقراط وحكمته وعقله . ولكن ما أبعد الشقة بينه وبين ابن العذراء !) .

ويستمر في المقارنة بين سقراط وعيسى عليه السلام حسب عقيدته : (إن كانت حياة سقراط وموته سيرة حكيم ، فحياة المسيح عليه السلام وموته سيرة إله) [(١)] .

ويرى إميل بوترو أن فلسفة روسو هي نقطة البداية ـ لا في الدين فقط ـ بل في السياسة والأخلاق والتربية ، وسينبثق من الأفكار التي ألهمته البعث الديني ، ودليل هذا البعث مضمون كتابه « عبقرية المسيحية » ، الذي اعتمد عليه « ساتوبريان » في دعم سلطان العاطفة ، فأعاد إلى حياة الفرد والجماعة معتقدات الكاثوليكية وطقوسها وتقاليدها في صيغها الدقيقة الملموسة ، وكان من رأيه أيضًا أنه يجب إثبات (أن المسيحية لعظمتها فهي من عند الله .. إن دقّات النواقيس برهان أقوى من القياس المنطقي ، لأنها تسمع وتصبح قطعة من الحياة ، على حين يتركنا القياس في موقف من عدم المبالاة) [(٢)] .

وفي تحليل بوترو لمضمون كتاب « عبقرية المسيحية » يرى أن عرض روسو به يدعو إلى محبة المسيحية لجمال تعاليمها وعبقرية وعّاظها ، وفضائل رسلها وأتباعها فأفضى إلى الحركة المعروفة بالرومانسية ، وتجلت في الاتجاه الذي سارت فيه الفلسفة والدراسة في الجامعات ، وأصبحت بعد روسو ثورة هائلة (وأصبح

---

(١) إميل بوترو « العلم والدين في الفلسفة المعاصرة » ص (٢٩) ترجمة د/ أحمد فؤاد الأهواني ، ط. الهيئة المصرية للكتاب سنة ١٩٧٣م .

(٢) نفسه ص (٢٩) .

تصور الدين تصورًا مناسبًا للرومانسية هو الشائع خلال القرن التاسع عشر ، مع ميل إلى الميتافيزيقا في ألمانيا ، وإلى الأدب في فرنسا ، فاعتمد الدين أولًا وقبل كل شيء - لا على العقل - بل على القلب ، فللدين مبادؤه . وأدلته وأعماله التي تفرض نفسها على العقل باسم سلطة متعالية)[١] .

وقائمة العلماء والفلاسفة المهتمين بالدين والمدافعين عنه طويلة : فمنهم كوبرنيكوس الذي كان يعتقد أن علمه كان (إلهيًا أكثر منه إنسانيًا) ، وجاء بعده نيوتن معربًا عن اقتناعه بأن النظام الذي يشد الكون كله بعضه على بعض ويمنع اصطدام الأجرام السماوية ، يثبت وجود الله ، فهو الصانع الأعظم ، لأن التصميم المعقّد للكون من المحال أن يوجد بالمصادفة ، وعندما ألف كتابه : « مبادئ الفلسفة الطبيعية » امتلكته الرغبة في « تطهير » المسيحية من منطق الروح ، وخصص بكتابه بحثًا غريبًا اسمه « الأصول الفلسفية للاهوت الأمميين » قال فيه إن نوحًا عليه السلام أرسى دعائم دين خال من الخرافات[٢] ، ينص على وجود إله يمكن التوصل إلى معرفته عن طريق التأمل العقلاني للعالم الطبيعي ، فقام رجال من اللاهوت لاحقًا بإضافة العقائد الزائفة بالحلول « التجسيد » والتثليث في القرن الرابع .

وكان من رأي فرنسيس بيكون - التزامًا بمنهجه - أن أقدس العقائد يجب أن تخضع للأساليب النقدية الصارمة للعلم التجريبي .

وكان « بسكال » رجل عميق الإيمان .

ولم تكن تساور جون لوك أي شكوك في وجود الإله ... وكان على اقتناع تام بأن العالم الطبيعي حافل بالأدلة على وجود الخالق ، عز وجل .

---

(١) نفسه ص (٣٢) .

(٢) « معارك في سبيل الإله ، الأصولية في اليهودية والمسيحية والإسلام » ص (١٢١) .

وشارك فلاسفة التنوير الفرنسيين والألمان أيضًا في الدين العقلاني ـ أي الإيمان ـ بالإله دون كتبه ورسله .

وحتى كانط ، فبعد أن عرض ما ينافس به مشروع التنوير برمته ويزاحمه ... دعا للتخلص من اعتماد الناس على المعلمين والكنائس والسلطات ... ولم يكن يعتبر أفكاره مضادة للدين [١] .

وتعليقًا على ما لاحظه برتراند راسل من انشغال الفلاسفة بالعقائد الدينية منذ اليونان حتى العصر الحديث :

(ولست أعتقد أنا نفسي أن الفلسفة يمكنها أن تثبت أو تنفي صدق العقائد الدينية ، ولكن منذ عصر أفلاطون ومعظم الفلاسفة قد اعتبروا جزءًا من عملهم أن يضعوا أدلة على الخلود وعلى وجود الله . وقد وجدوا نقصًا في أدلة أسلافهم ـ فالقديس توماس يرفض أدلة القديس أنسلم ، وكانط يرفض أدلة ديكارت ـ ولكنهم زوّدونا بأدلة جديدة من عندهم) [٢] .

ويقول أستاذنا الدكتور / محمد علي أبو ريان ﷺ تعالى تأكيدًا لما سبق تحت عنوان : « العلوم الإنسانية في الغرب وبنيتها اللاهوتية »

(إن الغرب المسيحي كان ولايزال منذ مطلع حضارته الحديثة إلى أواخر القرن الثامن عشر يستلهم معظم أفكاره من العلوم الإنسانية وبنيتها من خلال اللاهوت المسيحي ، وقد استمرت النزعة اللاهوتية ... إلى القرن العشرين) [٣] .

---

(١) نفسه : صفحات (١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨) باختصار .

تأليف كارين أرمسترونج وترجمة د. فاطمة نصر و د. محمد عناني كتاب سطور بالقاهرة سنة ٢٠٠٠م .

(٢) ص (٤٩٨) من كتاب « تاريخ الفلسفة الغربية ، الكتاب الثالث » مرجع ثالث .

(٣) د/ محمد علي أبو ريان « أسلمة المعرفة ـ العلوم الإنسانية ومناهجها من وجهة نظر إسلامية » ص (٢٠٣) دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية سنة ١٩٩٧م .

وقد قام بدراسة عميقة ومكثّفة لبعض كبار الفلاسفة (ديكارت ومالبرانش ، وبسكال ، وليبنتز ، وباركلي ، وكانط ، وكيركجارد) ، وأثبت أن المدّ الديني ظل يواصل انتشاره من خلال الفكر الفلسفي ، مع محاولة الفلاسفة الظهور بمظهر الانتماء للعقل والعقلانية برغم تغلغل اللاهوت المسيحي في بنية مذاهبهم التي كانت تشتمل على خلاصة العلوم المعروفة [١] .

وقد انتهى بذلك إلى القول بأننا (ينبغي أن نواجه في صورة حاسمة أصحاب نزعة التغريب من المسلمين المعاصرين الذين ينقلون كل شيء عن حضارة الغرب وهم غافلون عن أنه لما كان الحامل الأساسي للعلوم الإنسانية في الغرب ـ ألا وهو الفلسفة ـ مرتبطًا في بنيته الأساسية باللاهوت المسيحي ، وبكل ما علق بالعقلية الأوروبية من مناقشات حول القضايا المسيحية ... فإنه ينبغي على هؤلاء الذين يدعّون أنهم ذو نزعة علمانية ، ينبغي عليهم أن يتنبهوا إلى هذه النقطة الخطيرة ، وهي أنهم في الوقت الذي يقفون فيه في تحد ظاهر ضد تراث الإسلام والعرب ، الذي يؤمن أصحابه بالإسلام عقيدة وسلوكًا ، نراهم يقعون في شباك التيار المسيحي ، الذي يلتحم تمامًا بالفكر الغربي منذ مطلعه ، ويتعصبون له كتراث أساسي للحضارة الغربية ، بدلًا من أن يكشفوا الزيف عنه ويجردونه من العناصر الدينية ، مستفيدين فقط من النواحي العلمية الموجودة فيه ، والتي قد تفيدنا في قيام الحضارة لدينا ، دون أن تنتقص من تراثنا القومي أو تقضي عليه ، فنكوّن صورًا مكررة وناقصة مستعدين لثقافة الغرب المسيحية وحضارته وعدوان غزوه الفكري) [٢] .

---

(١) نفسه ص (٢٠٦) .

(٢) نفسه ص (٢٠٤-٢٠٥) .

❁ عودة بعض المغتربين للتراث الإسلامي :

بعد أن استعرضنا عوامل تبعية بعض مثقفينا إلى الغرب ، واسترشدنا بموقف بيجوفيتش لإعادتهم إلى الطريق الصحيح ، نرى أن من أفضل الوسائل أيضًا مخاطبتهم بالأسلوب المناسب وهو التذكير ببعض مثقفيّنا الذين ساروا في طريق الغرب الثقافي أشواطًا ثم اكتشفوا في النهاية ضياع الهوية فاعترفوا بأنهم ضلّوا الطريق ، فعادوا إلى أحضان أمتهم .

- من هؤلاء الدكتور/ محمد حسين هيكل في كتابه « منزل الوحي » ، والدكتور / عبد الرحمن بدوي بكتابيه « دفاع عن القرآن ضد منتقديه » و« دفاع عن حياة محمد ﷺ ضد الطاعنين بها »[(١)] .

والدكتور زكي نجيب محمود الذي انتهى إسلاميًا .

يقول الدكتور إمام عبد الفتاح : (إن زكي نجيب محمود انتهى إسلاميًا دون أن يتخلّى قط عن منهج الوضعية المنطقية)[(٢)] .

---

(١) (ومما يذكر أن الدكتور عبد الرحمن بدوي كان يؤلمه أن جمهور المسلمين لم يهتموا الاهتمام الكافي بكتاباته الإسلامية الأخيرة التي أخذ فيها موقع المدافع عن الإسلام)[(*)] .

والرأي الراجح في تفسير هذه الكتابات أنه عقب رحلته الفكرية الطويلة - التي انتهى بها - مؤمنًا مسلمًا ، رأى أن واجبه يحتّم عليه أن يدافع عن الإسلام - باعتباره الدين الصحيح - لأنه دين الدنيا والآخرة .

وكان الدكتور عبد الرحمن بدوي قد أكدّ للمؤلف الأقوال التي تتردد في معظم الأوساط بأن الغرب يخاف الإسلام ، وقال : (يكفي أن تعلم أن الغرب - فيما يتعلق بالإسلام - لا يكيل بمكيالين فقط ، وإنما بعشرة بل بمائة مكيال) . ص (١٥٣) .

(*) د/ سعيد اللاوندي « **عبد الرحمن بدوي ، فيلسوف الوجودية الهارب إلى الإسلام** » ص (٣١) ، مكتبة الأسرة ٢٠٠٢م .

(٢) د/ فاطمة إسماعيل « **التفكير الفلسفي عند زكي نجيب محمود - منهج وتطبيقه** » ص (٤٠٠) ، ط. مصر للخدمات العلمية ، حدائق القبة ، القاهرة سنة ١٩٩٩م .

ونخص بالذكر أيضًا رائد التغريب في مصر وهو الدكتور / طه حسين الذي سجّل تجربته الحافلة وانتهى في النهاية إلى تسجيل شهادة لا لبس فيها ، ونقلها إلينا الشيخ / محمود شاكر ﷺ ، ووصفها بأنها شهادة مهمة جدًا لتاريخ الحياة الثقافية التي امتدت بعده إلى يومنا هذا ، قال الشيخ شاكر :

وسأحاول هنا أن ألخص ما قاله الدكتور طه بألفاظه هو ، لا بألفاظي ، لأنها شهادة أستاذ كبير ، يقول :

(والذين يظنُّون أن الحضارة الحديثة حملت إلى عقولنا خيرًا خالصًا يخطئون ، فقد حملت الحضارة الحديثة إلى عقولنا شرًّا غير قليل .... فكانت الحضارة الحديثة مصدر جمود وجهل ، كما كان التعصب القديم مصدر جمود وجهل أيضًا) .

(هذا الشاب ، أو هذا الشيخ ، الذي أقبل من أوروبا يحمل الدرجات الجامعية ، ويحسنُ الرطانة بإحدى اللغات الأجنبية .... يجلسُ إليك وإلى غيرك منتفخًا منتفشًا ، مؤمنًا بنفسه وبدرجاته وبعلمه الحديث ، أو أدبه الحديث ، ثم يتحدَّثُ إليك كأنه ينطق بوَحْي أبُولُّون . فيعلن إليك في حَزْم وجَزْم أن أمر « القديم » قد انقضى ، وأن الناس قد أظلهم عصر التجديد ، وأنَّ الأدب القديم يجبُ أن يُتْرَك للشيوخ الذين يتشدقون بالألفاظ ، ويملؤون أفواههم بالقاف والطاء وما أشبههما من الحروف الغلاظ ، وأن الاستمساك بالقديم جمود ، والاندفاع في الحياة إلى أمام هو التطُّور ، وهو الحياةُ وهو الرقي . هذا الشاب وأمثاله ضحيّةٌ من ضحايا الحضارة الحديثة ، لأنه لم يفهم هذه الحضارة على وجهها ، ولو قد فهمها لعلم أنها لا تنكر القديم ولا تنفِرُ منه ولا تنصرف عنه ، وإنما تحببُه وترغّبُ فيه وتَحُثُّ عليه ، لأنها تقوم على أساس منه متينٌ ....

هذا الشابُّ ضحيَّةٌ من ضحايا الحضارة الحديثة ، أو من ضحايا جهل الحضارة الحديثة ، وشرّه ليس مقصورًا عليه ، وإنما يتجاوزه إلى غيره من الناس . فهو يتحدَّث ، وهو يعلّمُ ، وهو يكتب ، وهو في هذا كُلّه ينفث السُّمَ ، ويفسد العقول ، ويمسَخُ في نفوس الناس المعنى الصحيح لكلمة « التجديد » . فليس التجديد في إماتة القديم ، وإنما التجديد في إحياء القديم ، وأخذ ما يصلُح منه للبقاء .

وأكادُ أتخذ الميل إلى إماتة القديم أو إحيائه في الأدب مقياسًا للذين انتفعوا بالحضارة الحديثة أو لم ينتفعوا بها ، فالذين تُلهيهم مظاهر الحضارة عن أنفسهم حين تلهيهم عن أدبهم القديم ، لم يفهموا الحضارة الحديثة ، ولم ينتفعوا بها ، ولم يفهموها على وجهها ، وإنما اتخذوا منها صُوَرًا وأشكالًا ، وقلّدوا أصحابها تقليد القردَةِ ، لا أكثر ولا أقلّ !! .

والذين تلفتهم الحضارة الحديثة إلى أنفسهم ، وتدفعهم إلى إحياء قديمهم ، وتملأ نفوسهم إيمانًا بأن لا حياة لمصر إلاّ إذا عُنِيتْ بتاريخها القديم وبتاريخها الإسلامي ، وبالأدب العربي قديمه وحديثه ، عنايتها بما يمسُّ حياتنا اليومية من ألوان الحضارة الحديثة هم الذين انتفعوا ، وهم الذين فهموا ، وهم الذين ذاقوا ، وهم القادرون على أن ينفعوا في إقامة الحياة الجديدة على أساس متين)[1] .

---

(١) محمود محمد شاكر « رسالة في الطريق إلى ثقافتنا » ص (٢٤٢-٢٤٤) كتاب (الهلال) سبتمبر ١٩٩١م .



- نبذة عن التفسير الإسلامي لتاريخ أمتنا .
- الإنسان في الإسلام والقيم الأخلاقية .
- الصحوة الإسلامية ومزايا الأمة .
- مقدّرات الأمة وكيفية توظيفها .
- دعوة للثبات والصبر والمقاومة .

❁ نبذة عن التفسير الإسلامي لتاريخ أمتنا :

ونحسب أن مراجعة تاريخنا ـ والحروب التي خاضتها أمتنا ـ يخفّف كثيرًا من وقع الهزائم المعاصرة ويفسرّها ، ولا نكتفي بالحروب الصليبية ، وهي أشهرها ، لأنها نفسها كانت حلقة من سلسلة طويلة في صراع الإسلام والباطل إذ لم يخل تاريخ الأمة من الهجمات المتتالية .

يقول الدكتور عماد الدين خليل : (لقد اصطرع الوثنيون واليهود والفرس والبيزنطيون مع الإسلام ، وجاء الإسبان والصليبيون الفرنجة من بعدهم ، وسيعقبهم المغول والبرتغاليون والهولنديون والإنجليز والفرنسيون والإيطاليون والروس والأمريكان حلقات متعاقبة في سلسلة طويلة كان الإسلام عبرها يكافح ليس دفاعًا عن ذاته وأرضه ومعتنقيه فحسب ، بل هجومًا على مواقع الباطل لزحزحتها وتدميرها ، وفتح الطريق أمامه ثانية لمواصلة الجهاد الدائم ، فالغزو الصليبي ليس أمرًا جديدًا ، ولا ظاهرة غريبة أو استثنائية ، وإنما هو القاعدة وغيره الاستثناء)[١] .

ولا يجب أن نغفل عن التفسير الديني لتاريخ أمتنا حيث هُزم المسلمون يوم أحد لمخالفتهم تعاليم الرسول ﷺ . وأصبحت علاقة الانتصار تتصل بالطاعات وارتبطت الهزيمة بالمعاصي .

وكانت حركة القرامطة الباطنية مناسبة أيضًا لهذا التعليل ، إذ يرى ابن رجب أن تسليط القرامطة على البيت فإنما كان عقوبة بسبب ذنوب الناس[٢] .

---

(١) ص (١٩٠-١٩١) من كتاب « في التأصيل الإسلامي للتاريخ » للدكتور عماد الدين خليل ، دار الفرقان ـ عمان ، سنة ١٩٩٨م .

(٢) « لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف » للحافظ ابن رجب الحنبلي ص (٩٦) (نسخة مصورة بدون اسم الناشر وبدون تاريخ) .

ثم يستخلص سنة إلهية في خط سير التاريخ الإسلامي فيقول : (ولم يزل الله يمتحن عباده المؤمنين بما يشاء من المحن ، ولكن دينه قائم محفوظ لا يزال تقوم به أمة من أمة محمد ﷺ ، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك ، كما قال تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝٣٢ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة : ٣٢-٣٣])[١] .

والباحث في سنة الله الإلهية في الأمم والأفراد يستخلص أن سنة الله في النصر والتمكين تتحقق بأسباب مادية تستدعي الاستعداد للقتال وثانية معنوية (روحها الإيمان الصادق المشتمل على روافد الاستقامة من تقوى الله وذكره ونصرة دينه)[٢] .

ولا يتحقق ذلك ـ بعون الله تعالى ـ إلا بعملنا بشعب الإيمان حسبما جاءت في حديث الرسول ﷺ .

وقد فصّل القاضي ابن هبيرة حديث الرسول ﷺ عن الإيمان ونصه : « **الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ** » ، ثم فصّل شعب الإيمان شعبة شعبة ، سنلخصها مكتفين بعناوينها :

١- لا إله إلا الله محمد رسول الله .

---

(١) نفسه .

(٢) د/ مجدي محمد عاشور « السنة الإلهية في الأمم والأفراد ـ في القرآن الكريم أصول وضوابط » ص (٤٨١) ، ط. دار السلام ، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م .

٢، ٣، ٤، ٥- وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ، ٦- الإيمان بعد الموت بالبعث ، ٧- الإيمان بالجنة ، ٨- الإيمان بالنار ، ٩- الإيمان بالقدر خيره وشره ، ١٠- الصلاة ، ١١- الزكاة ، ١٢- الصوم[1] ، ١٣- الحج ، ١٤- الجهاد ، ١٥- أداء الخمس من المغنم ، ١٦- الأمر بالمعروف ، ١٧- النهي عن المنكر ، ١٨- الموالاة في الله ، ١٩- المعاداة في الله ، ٢٠- أن يكون الله ورسوله ﷺ أحب إليه مما سواهما ، ٢١- أن يحب المرء لا يحبه إلا لله تعالى ، ٢٢- أن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله تعالى منه ؛ كما يكره أن يقذف في النار ، ٢٣- أن يكون النبي ﷺ أحب إلى المؤمن من ولده ووالده والناس أجمعين ، ٢٤- لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه ، ٢٥- حب الأنصار ، ٢٦- حب الطهور ، ٢٧- إفشاء السلام ، ٢٨- صوم رمضان إيمانًا واحتسابًا ، ٢٩- قيام ليلة القدر ، ٣٠- إتباع الجنائز ، ٣١- ألا يؤذي جاره ، ٣٢- إكرام الضيف ، ٣٣- أن يقول خيرًا أو ليصمت ، ٣٤- انتدب الله لمن خرج في سبيله . إما الشهادة المحصلة فوز الآجل . وإما الغنيمة المحصلة لفوز عاجل ، كان نفس إيمانه بهذا الذي اقتضى نهضته ناشئًا عن إيمانه ، ٣٥- البذاذة = وهي تجنب الزينة في الملبوس ، والعدول إلى طهارة الثوب وحله عن حسنه وصقالته ، ٣٦- أن تسره حسنته وتسوءه سيئته ، ٣٧- مدافعة الوسواس ، ٣٨- أداء الأمانة . ٣٩- حسن العهد ، ٤٠- حسن الخلق ، ٤١- ثبوت الإيمان بعد موت النبي ﷺ ، ٤٢- الحياء ، ٤٣- السعي : أي كون المؤمن يمنعه إيمانه من أن ينتحل الأقوال يخرجها مخرج التشدق ، ٤٤- اعتياد المساجد ، ٤٥- إطعام الطعام ، ٤٦- الصبر ، ٤٧- السماحة (وليس السماحة هي التبذير ،

---

(١) ابن هبيرة « الإفصاح عن معاني الصحاح » جـ ٦ ، من ص (٣٥٤-٣٦٤) ، تحقيق الدكتور فؤاد عبد المنعم ، دار الوطن - الرياض ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .

ولكن لا ينفق شيئًا إلا وقد توجه له بوجه من وجوه أفقه إلى أن يكون لله) ، ٤٨- اليقين ، ٤٩- مثل المؤمنين في توادهم ، ٥٠- المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا ، ٥١- المؤمن بألف ، ٥٢- الاستثناء = أي لا يقول لشيء إني فاعل ذلك غدًا إلا أن يشاء الله ، ٥٣- أن يسلم المسلمون من لسانه ويده ، ٥٤- أن يكون مثل السنبلة ـ تميل أحيانًا وتعتدل أحيانًا ـ أي تميل به الهفوة ميلًا إلا أنها لا تبلغ به إلى الانقطاع والانكسار ثم تعتدل اعتدالًا في لين ، لا يؤمن عليه الميل أيضًا فهو هكذا دأبه حتى يلقى ربه ، ٥٥- أن يعلم أن الله معه حيث كان ، ٥٦- أن يهجر السوء ، ٥٧- حب علي عليه السلام ، ٥٨- حب العباس ، ٥٩- السلام على أهله إذا دخل عليهم والقوم إذا مر بهم ، ٦٠- يحب للناس ما يحب لنفسه ، ٦١- ألا يشفي المؤمن غيظه ، ٦٢- مخالطة الناس والصبر على أذاهم ، ٦٣- أن يرى الناس حمقى في دينهم = أي يستكثرون لربهم قليل طاعتهم ، ويستقلون لأنفسهم كبير نعمته ؛ يغاضبون ربهم إن أخر إجابتهم لما دعوه فيما يضرهم لو أجابهم إليه ، ويريد كل منهم ألا يتحرك في الوجود حركة إلا على حسب اختياره ، وربما يحمل أحدهم جهله على القدح في حسن تدبير رب العالمين سبحانه ، وربما أداه إلى الارتياب ، فالمؤمن يراهم من هذه الطريق كلهم حمقى في دينهم ، ٦٤- قول : سبحان الله ، والحمد لله ، ٦٥- الصبر للحكم ، ٦٦- الرضا بالقدر ، ٦٧- إخلاص التوكل ، ٦٨- الاستسلام للرب ، ٦٩- الإنصاف من نفسك ، ٧٠- بذل السلام للعالم ، ٧١- حبس الفرس يعده لغزو أعداء الله تعالى ، ٧٢- الإنفاق من الإقتار ، ٧٣- وهي أدناها كما قال النبي ﷺ [1] . ولينظر كل منّا في نفسه : أين هو من الإسلام والإيمان ؟

---

(١) وينظر كتاب « مختصر شعب الإيمان للبيهقي » تأليف القزويني ، دار الدعوة بالأسكندرية .

الإنسان في الإسلام والقيم الأخلاقية

سبق أن قلنا بهذه المناسبة بكتابنا « الفكر الإسلامي في مواجهة الغزو الثقافي »[1] .

إن هناك دروسًا وعبرًا يمكن تعلمها بدراسة آراء بعض الغربيين المسلمين ، سواء منهم من وُلِدَ مسلمًا كالرئيس علي بيجوفيتش ، أو الذي اعتنق الإسلام متخطيًا حواجز البيئة الثقافية والاجتماعية وحملات الدعاية العدائية للإسلام وتشويه تاريخه وحضارته وعقائده ، أمثال جارودي ، ورينيه جينو ، ومحمد أسد ، ود/ هوفمان ، ومريم جميلة ، وروجيه دوبا سكويه ... وغيرهم .

إنهم يقدمون آية جديدة على أن ما أصاب مجتمعاتنا من نكسات ، لا تمسُّ جوهر حضارتنا ، وبإمكاننا النهوض من جديد ، فكما وسعهم اتباع تعاليم الإسلام وكانوا بعيدين عنها بُعد المشرقيْن ـ فبوسعنا من باب أولى اتباعها ـ وبين أيدينا الذخائر التي لا تحصى من تراثنا ، بل في أعماقنا أيضًا .

وننتقي صفحة واحدة من صفحات تراثنا الغنيّ الذي تعلمت منه البشرية ، لنقرأها على مهل ، ونؤجل الحكم إلى نهاية النص :

... فإنه (يقيم الصلوات الخمس ، ويحافظ عليها ، ويصوم رمضان ، ويؤدي الزكاة ، ويُؤَدِّي فريضة الحج إن كان ممن تلزمه هاتان الفريضتان ، ويذكر أنه يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، وأن الله عالم قادر ، ويعدّد سائر الصفات الذاتية والمقتضاة ، وأنه يستحقها لذاته لا لمعنىً ، ويذكر جميع ما يتعلق باعتقاده من مسائل الوعد والوعيدوالأمانة والولاء والبراء ، ثم يذكر محافظته على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأمثال ذلك من الواجبات مما يطول تعداده ،

(١) د/ مطفى حلمي « الفكر الإسلامي في [illegible] و الثقافي في العصر الحديث » ص (١٥٧) ، دار الدعوة بالأسكندرية ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م .

ثم يذكر اجتنابه للمقبحات ، فيقول : إنه لا يقتل النفس المحرمة ، ولا يستحله ، ولا يزني ، ولا يلوط ، ولا يشرب الخمر ولا قليلها ، ولا يسرق ، ولا يقذف ، ولا يشهد الزور ، ولا يغصب أموال الناس ، ولا يُربي ، ولا يفرّ من الزحف ، ولا يأكل الربا ، ولا أموال اليتامى ، ولا يَعُقُّ والديه ، ولا يكذب على الله ، ولا على رسوله ﷺ ـ ولا على أحد ـ ولا يكتم الشهادة بلا عذر ، ولا يطفف في المكيال ، ولا يبخس الميزان ، ولا يؤخر الصلاة عن وقتها لغير عذر ، ولا يضرب مسلمًا بغير حق ، ولا يبغض أمير المؤمنين عليه السلام ولا أحدًا من العترة ، ولا يسب الصحابة ، ولا يبغضهم ، ولا يأخذ الرشوة ، ولا يسعى إلى السلطان ، ولا يحرق الحيوان ، ولا يتَّخِذَه غرضًا ، ولا يقع في أهل العلم ، ولا حملة القرآن ، ولا يلعب بالنرد ولا بالحمام ، ولا يكشف عورته في الحمام ، ولا يتساهل في أكل الشبهات والحرام ، ولا يسخر ، ولا يسحر ، ولا يَنِمّ ، ولا يخاصم بالباطل ، ولا يتكبر من قول الحق ، ولا يُرائي ، ولا يُعجب بعمله ، ولا يضحك في الصلاة ، ولا يبول ويتغوط مستقبل القبلة ولا مستدبرها ، ولا يشرب المثلث [*] ولا يفعل شيئًا من المختلف فيه وهو يعتقد تحريمه ، ولا يباشر الأجنبية بغير جماع ، ولا يجامع زوجته في الحيض والنفاس ، ـ وإن كانت امرأة ـ فلا تمتنع من زوجها بغير عذر ، ولا تسافر من غير محرم ، ولا يحتكر ، ولا يبيع على بيع أخيه ، ولا يسوم على سومه، ونحو ذلك مما لا يكاد الإنسان يحصيه من التأمل الكثير) اهـ [1] .

ويتبيّن أن أحكام الإسلام ارتقت بالمسلم إلى أعلى المستويات الأخلاقية .

(*) المثلث من الشراب : الذي طُبخ حتى ذهب ثلثاه (لسان العرب) .

(١) ص (٣٦٥ : ٣٦٧) من كتاب « العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم » للإمام محمد بن إبراهيم الوزير اليماني المتوفي ٨٤٠ هـ ، حققه وضبط نصه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .

كذلك نتجزئ آية واحدة من كتاب الله ـ عز وجل ـ لنتدبّر معًا ، كيف يرتفع القرآن الكريم بمستوى المسلمين والمسلمات العقدي والأخلاقي في وقت نزوله وإلى قيام الساعة .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٣٥] .

وفي تفسير السعدي قال : ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ ﴾ وهذا في الشرائع الظاهرة ، إذا كانوا قائمين بها ، ﴿ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ وهذا في الأمور الباطنة ، من عقائد القلب وأعماله .

﴿ وَٱلْقَٰنِتِينَ ﴾ أي المطيعين لله ولرسوله ﷺ ﴿ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ في مقالهم وفعالهم ﴿ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ على الشدائد والمصائب ﴿ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ ﴾ في جميع أحوالهم ، خصوصًا في عباداتهم ، خصوصًا في صلواتهم ﴿ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴾ فرضًا ونفلًا ﴿ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ ﴾ شمل ذلك الفرض والنفل . ﴿ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ ﴾ عن الزنا ومقدماته ، ﴿ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ أي في أكثر الأوقات ، خصوصًا أوقات الأوراد المقيدة ، كالصباح والمساء ، وأدبار الصلوات المكتوبات ﴿ وَٱلذَّٰكِرَٰتِ ﴾ ﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ أي : لهؤلاء الموصوفين بتلك الصفات الجميلة ، والمناقب الجليلة ، التي هي ما بين اعتقادات ، وأعمال قلوب ، وأعمال جوارح ، وأقوال لسان ، ونفع متعد وقاصر ، وما بين أفعال الخير، وترك الشر ،

الذي من قام بهن ، فقد قام بالدين كله ، ظاهره وباطنه ، بالإسلام والإيمان والإحسان .

فجازاهم على عملهم ﴿ مَّغْفِرَةً ﴾ لذنوبهم ، لأن الحسنات يذهبن السيئات . ﴿ وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ لا يقدر قدره ، إلا الذي أعطاه ، مما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، نسأل الله أن يجعلنا منهم)[١] .

ويتبين مما سبق أن صياغة الإسلام للأمة الإسلامية صياغة فريدة في العقيدة والأخلاق بحيث تعجز أن تجاريها فيها أمة أخرى .

ولئن كانت هذه الأخلاق ـ التي أوردناها في الصفحات السابقة ـ تخص رواية أحاديث الرسول ﷺ ، إلا أنها تظل لازمة في حق المسلمين كافة ، وقد تحققت في عصور ازدهار الحضارة الإسلامية ، ولازلنا بحمد الله نقابل ونعيش مع من يتخلّقون بها في عصرنا الحاضر ـ بالرغم من قلتهم ـ ولكنهم يمثلون علامات مضيئة على المستوى الإنساني الذي لا يتحقق قط إلا بالالتزام بالإسلام وتعاليمه .

أين تلك القيم الأخلاقية والسلوكيات الرفيعة من الشعارات المضللة التي يأتينا بها الغرب عن التّقدم والحرية وحقوق الإنسان ؟! .

لقد شُوِّهْتِ عند التطبيق كما يرى « جارودي » وأصبحت فارغة المضمون ، ومحقّقة لمضامين مخالفة لرنين الكلمات :

(فنستمر في أن نطلق كلمة « تقدم » على انحراف أعمى يؤدي إلى تدمير الإنسان والطبيعة . ونطلق كلمة « **ديموقراطية** » على أشنع قطيعة عرفها التاريخ بين من يملكون ومن لا يملكون ، ونطلق كلمة « **حرية** » على نظام يسمح ـ

---

(١) عبد الرحمن بن ناصر السعدي « تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان » ص (٦٦٥) ، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .

بذريعة التبادل وحرية السوق ـ لأولئك الأكثر قوة أن يفرضوا الديكتاتورية عديمة الإنسانية ، تلك التي تسمح لهم بابتلاع الضعفاء .

ونطلق كلمة « **عولمة** » لا على حركة تؤدي إلى وحدة متآلفة الأنغام للعالم ، عن طريق اشتراك كل الثقافات ، ولكن بالعكس على انقسام يتنامى بين الشمال والجنوب نابع من وحدة امبريالية وطبقية ... ونطلق كلمة « **تنمية** » على نحو اقتصادي بلا غاية ، ينتج بإيقاع متسارع أي شيء سواء كان مفيدًا أو غير مفيد ، مؤذيًا أو حتى مميتًا ، كالأسلحة والمخدرات ، وليس تنمية الإمكانات البشرية الخلّاقة ، للإنسان ولكل إنسان)[1] .

۞ الصحوة الإسلامية ومزايا الأمة :

إن نظرة مقارنة لأحوالنا الاجتماعية والثقافية والسياسية الحالية وبين هذه الأحوال منذ قرن من الزمان تجعلنا ندرك أن التغييرات إلى الأفضل . حقًا إنها تغييرات ربما تبدو ضئيلة للعين المتسّرعة ، ولكن مع التصميم على التقدم نحو الأفضل فإن الزمن في صالحنا ، وذلك بعد اندحار الاستعمار العسكري وانحسار الماركسية .

فمنذ مائة سنة كان الاستعماران الانجليزى والفرنسي يطوّقان العالم الإسلامي ، واحتل الروس عقب إلغاء الخلافة العثمانية بيد أتاتورك اليهودي البلاد التي كانت تابعة للخلافة في أوروبا الشرقية فوقعت بأيدي الروس وفُرض على المسلمين الإلحاد القسري وحيل بينهم وبين أداء شعائر دينهم .

---

(١) ص (٢٠) من كتاب « كيف نصنع المستقبل ؟ » روجيه جارودي ، ترجمة وتقديم د/ منى طلبة ود/ أنور مغيث ، دار الشروق ط٢ ـ ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م .

والآن ، نلاحظ انتشار التعليم والارتفاع الآخذ في الزيادة في أعداد المدارس والجامعات والإقبال على التديّن عقب هزيمة القومية والماركسية وفي أعقاب الهزيمة الكارثة في يونيو سنة ٦٧ والمراقب يرى زيادة أعداد الشباب المتديّن وتعمير المساجد في صلوات الجماعات والجمع ، والالتزام بالسلوك الإسلامي في الزي بين النساء والفتيات ، والإقبال المنقطع النظير على رحلات العمرة والحج ، وتجاوب أقطار الإسلام بين الشعوب الإسلامية مع محن إخوانهم في أفغانستان وفلسطين والعراق وكشمير والشيشان والبوسنة والهرسك ولا ينقصها إلا القيادة والسياسة المخلصة التي توظّف ذلك كلّه في خدمة قضايا الأمة .

كذلك يُلاحظ اتساع حركة تأليف الكتب الإسلامية مع إعادة نشر كتب التراث وتحقيق المخطوطات في كافة قضايا الدين : العقيدة والعبادات والشريعة والتفسير والحضارة والتاريخ والتصوف والأخلاق والتربية والفقه وأصوله والتراجم وكتب السنّة والسيرة النبوية ، وما لا يحصي من فروع المعارف الإسلامية .

أما طبعات القرآن الكريم فيتعذّر الإلمام بعددها في كافة أنحاء العالم الإسلامي ، وهي من أظهر معالم الصحوة .

ويمكن القول بأن هذه المؤلفات والمصادر في مجموعها تعبر عن القلب الجمعي للأمة ، كما أنها تمثل أساس حضاراتها بأصالتها وهويّتها وجذورها التاريخية الممتدة عبر القرون ، كما أنها بمثابة القوى الوجدانية الكامنة في أحشاء الأمة وستظهر آثارها بالعمل بها إن آجلًا أو عاجلًا ، فالمستقبل لنا بإذن الله تعالى :

﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران : ١٦٠] .

ويقول الإمام أبو الحسن الندوي رحمه الله :

(إن الشعوب الإسلامية لا تزال تمتاز بين شعوب العالم بما فيها الشعوب الغربية رالشرقية بالإيمان بالله واليوم الآخر والاستهانة بالحياة واللذات في سبيل الجهاد في سبيل الله ، والحنين إلى الشهادة ، والشوق إلى الجنة ونيل رضا الله ... وبذل النفس والنفيس فيه ، إذا قدر لها الدّاعي المخلص القوي ، المثير فيها الحماس الإسلامي .. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الميزة التي يمتاز بها المسلمون عن غيرهم من الشجعان والأبطال الماديين ...

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾ [النساء : ١٠٤])[١] .

مقدّرات الأمة وكيفية توظيفها :

من المتّفق عليه في أوساط علماء الاقتصاد والسياسة والاجتماع والتاريخ أن عناصر الوحدة بين الشعوب الإسلامية لا ينقصها إلاّ جهود العاملين على توظيفها لتقف صامدة أمام الاستعمار الأمريكي الصهيوني المعاصر .

إن الأمة مدعوة إلى الاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ حيث يجمعها وحدة المصادر ووحدة عقيدة التوحيد والعبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج[٢] .

وهناك أقلام تنادي بتكتل اقتصادي إسلامي بين الدول الإسلامية حيث يتحقق بضرورة توعية اللغة العربية ، وحتمية خلق عملة إسلامية موحدة ،

---

(١) « مستقبل الأمة العربية الإسلامية بعد حرب الخليج » أبو الحسن الندوي ، ص (٢٩-٣٠) ، ط. دار السلام ١٤١٢هـ - ١٩٩١م .

(٢) د/ عبد الله سمك الأستاذ بكلية الدعوة جامعة الأزهر .

وإنشاء جهاز مصرفي إسلامي[١].

وتجيء تجربة النمور الأسيوية دليلًا على إمكان تحقيق الرخاء الاقتصادي بما وصلت إليه من معدلات نمو عالية من جراء انضمامها إلى تكتلات وتجمعات اقتصادية[٢].

وسيحقق التكتل الإسلامي التوصل إلى سعر حقيقي وعادل للنفط كسلعة استراتيجية على مستوى العالم ، ويرى الدكتور عبد الحميد الغزالي أستاذ الاقتصاد الإسلامي بجامعة القاهرة أن الارتفاع المؤقت الحالي الذي تجاوز الأربعين دولارًا للبرميل ، ليس سعرًا شاذًّا بل أقل من قيمته الاقتصادية الحقيقية[٣].

كذلك سيأتي انفتاح أسواق الدول الإسلامية على بعضها البعض بفوائد جمّة ، فمن حيث عدد الأفراد فإن تعداد العالم الإسلامي ١,٢ مليار نسمة[*] ، فسيؤدي تحسين معدل التبادل التجاري الدولي للدول الإسلامية في مواجهة العالم الخارجي وفتح الأسواق إلى توسيع المشروعات الأكثر كفاءة على الانتاج والبيع وبالتالي توفير الفرصة لإقامة التجمعات والكيانات الإقتصادية الكبيرة القادرة على المنافسة في عالم اليوم ، وتتوافر الفرصة لإنتاج وتطوير تكنولوجيا إسلامية بدلًا من استيراد المعرفة والتطبيقات التكنولوجية[٤].

---

(١) د/ زينب الأشوح أستاذ الاقتصاد الإسلامي بجامعة الأزهر .

(٢) د/ صلاح فهمي أستاذ الإقتصاد بجامعة الأزهر .

(٣) د/ عبد الحميد الغزالي (والمصدر في عرض هذه الآراء هو « صفحة الفكر الديني بالأهرام » ٢٢ ربيع الآخر ١٤٢٥ هـ - ١١/٦/٢٠٠٤ م) .

(*) ويذكر الدكتور حسن نافعة أن العالم الإسلامي يشكل ١/٦ البشرية ، فعدد سكان العالم الإسلامي نحو مليار وستمائة نسمة أي أن أكثر من السدس بل ١/٥ هذا العالم ، أي كل خمسة أفراد بينهم واحد مسلم . نفس المصدر السابق .

(٤) د/ فياض عبد المنعم أستاذ الاقتصاد بجامعة الأزهر . نفس المصدر السابق .

وسيساعد التكامل الاقتصادي الإسلامي على التخفيف من وطأة البطالة ، لأن الدول الإسلامية التي بها وفرة في الموارد الطبيعية ستستعين بالدول الإسلامية الأخرى ذات الوفرة البشرية بجميع أشكالها وأنواعها (١) .

ونظر للصلة الوثيقة بين الاقتصاد والسياسة في العصر الحديث ، فإن إنجاز مثل هذا الاتحاد الإسلامي الاقتصادي سيجعل للدول الإسلامية مجتمعة ثقلًا اقتصاديًا يساند قوة سياسية فاعلة على الساحة الدولية (٢) .

ويقترح الدكتور طارق فهمي الخبير بالمركز القومي لدراسات الشرق الأوسط لإنجاز التكامل الاقتصادي بين الدول الإسلامية ، اتخاذ الخطوات التالية :

١- تشجيع إقامة مؤسسات مالية واستثمارية مشتركة في البلاد الإسلامية .

٢- إحياء دور منظمة العالم الإسلامي .

٣- بناء لوبي اقتصادي إسلامي داخل المؤسسات الإقليمية والدولية .

٤- إحياء الاتفاقات المبرمة بين الدول الإسلامية .

٥- العمل بجدّية على رفع المعوقات الهيكلية الموجودة بين الاقتصادية الإسلامية وكذلك الاقتصاديات العربية والإسلامية (٣) .

أما الوحدة السياسية المرجوّة فستؤدي في رأي الدكتور حسن نافعة أستاذ العلوم السياسية بجامعة القاهرة ـ إلى تغير جوهري في النظام العالمي نفسه بسبب عدد الدول الإسلامية الكبير مما يجعلها أغلبية في المنظمات الدولية ـ بل يصبح العالم الإسلامي ندًّا مساويًا للغرب (ولن يستطيع العالم الغربي معاملة العالم

(١) د/ نعمة مستور أستاذ الاقتصاد الإسلامي بجامعة الأزهر . نفس المصدر .

(٢) د/ طه خليل الخبير بالمركز القومي لدرسات الشرق الأوسط . نفس المصدر .

(٣) د/ طارق فهمي « صفحة الفكر الديني بالأهرام » ٢٢ ربيع الآخر ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤/٦/١١ م .

الإسلامي معاملة استكبارية ولكن ستكون معاملة ندية)[١] .

إن الوحدة في الحقيقة ـ كما يذكر الأستاذ أحمد بهجت ـ ليست ترفًا اليوم ، إنما هي قضية بقاء أو فناء .

ويفصلّ ذلك بقوله تحت عنوان « الحق لا القوة » :

(في عالم يتحدث عن الحق وهو يؤمن بالقوة لا حياة للدول الصغرى ، ولا للمشروعات الصغرى ، ولا معني للحق الواضح في القضايا ما لم تؤيده القوة ، ويتجه العالم اليوم إلى التكتل والتجمع .... وتحرص الكتل الكبرى في العالم علي إبقاء جزء من العالم شظايا ليتسنى ابتلاع الشظايا وهضمها .... تعالوا نتصور أن العالم الإسلامي قد خلا من الحدود بين دوله ... تصوّروا معنا أن علامات الحدود قد اختفت بين دول العالم الإسلامي ! وتصوروا أن هذا العالم ينطبق عليه قول الله تعالى : ﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾ [الأنفال : ٦٢] تصوروا أن سياسة هذا العالم تصدر من مائدة طويلة يجلس فيها الصفوة من حكماء هذا العالم وعقلائه ، تصوروا أن هذا العالم يتحرك وفقا لخطة طويلة المدى وسياسة تعمل بشكل يمكنها من إصلاح نفسها بنفسها .

أكان يمكن أن يحدث للعالم الإسلامي ما يحدث له اليوم ؟ أو كان يمكن أن يحدث للعالم العربي ما يحدث له اليوم ؟ ... هل كان الاتحاد السوفيتي يجرؤ علي احتلال أرض أفغانستان حتى لو كانت الدعوة قد وجهّت إليه من حكومة أفغانية شيوعية ؟! .

---

(١) د/ حسن نافعة « صفحة الفكر الديني بالأهرام » ٢٢ ربيع الآخر ١٤٢٥ هـ - ١١/٦/ ٢٠٠٤ م .

وقد جمع الأستاذ متولي موسى هذه الآراء تحت عنوان : « إلى أن تتحقق الوحدة ، تكامل الأمة الإسلامية ليس بمستحيل » .

هل كانت إسرائيل تجرؤ على اقتحام لبنان وضرب المفاعل النووي العراقي ... لو أن ردود فعل العالم العربي والإسلامي كانت شيئًا آخر غير الكلام ؟ ، أكانت أي قوة عسكرية تجرؤ على استباحة شرف هذا العالم العربي أو الإسلامي كما نرى اليوم ؟! هل كان الاتحاد السوفيتي يغامر باحتلال أرض إسلامية وضرب المجاهدين لو كان هذا يفقده مصالحه مع ألف مليون مسلم ويكسبه عداء ألف مليون مسلم ؟! .

هل كانت أمريكا تزوّد دولة كإسرائيل بأسلحة هدفها الأصلي هو الدفاع عن النفس وحقيقتها الهجوم والاعتداء ؟! هل كانت أمريكا تغامر باستمرار تزويد إسرائيل بالسلاح لو وقف العالم الإسلامي كله صفًا واحدًا مع نفسه ؟! .

إن من خصائص العرب أنهم أقوياء إذا اتحدوا ، ضعفاء إذا تفرّقوا ، ومن خصائص المسلمين أنهم أقوياء إذا اتفقوا ، ضعفاء إذا اختلفوا ، وأمامنا تاريخ ١٤٠٠ سنة هو تاريخ الإسلام ، وهو تاريخ تقول عبرته : إن أعظم صدع وقع للمسلمين كان تفرقهم شيعًا واختلافهم وتحولهم من ديار تهب الجيوش فيها لنجدة امرأة تهتف باسم الخليفة إلي شظايا متناحرة يراق فيها الدم بين الإخوة فيهون على العدوّ أن يريقه بلا حساب للنتائج .

إن الوحدة ليست ترفًا اليوم ، إنما هي قضية بقاء أو فناء)[1] .

---

(١) الأستاذ أحمد بهجت ، مقال بعنوان « الحق لا القوّة » جريدة الأهرام في ٢٧ جمادى الآخرة سنة ١٤٢٨هـ - ١٢ يوليو ٢٠٠٧م .

❁ دعوة للثبات والصبر والمقاومة :

إذا كانت الأمة الإسلامية بما يُحاك لها وبما أنها مستهدفة في دينها وأراضيها وأجيالها المعاصرة والقادمة ، فإنه يصبح من واجب قادتها وساستها ودعاتها وعلمائها حثّها على المزيد من اليقظة والعضّ على دينها بالنواجذ ، والإعراض عن دعاوى الحوارات المشبوهة التي تسعى في جوهرها لزحزحة الأمة عن دينها وثقافتها وقيمها .

كما ينبغي الحذر من أقلام المستغربين الرافعين لشعارات « تجديد الخطاب الديني » بلا ضوابط شرعية ، وتغليب التسامح والتكيّف ، والتفاهم مع « الآخر » ، وهي في حقيقتها دعاوى للاستسلام والتخاذل والمهانة والمزيد من التقهقر أمام حملات الغرب المسعورة ، بينما يقتضي العلاج الحاكم الثبات والصبر والمقاومة على الساحات الدينية والثقافية والسياسية والاقتصادية ، مع العناية بتربية الأجيال الجديدة وفق المنهج العلمي الصحيح .

يقول أحد أساتذة التربية المرموقين ـ د/ سعيد إسماعيل علي ـ :

(إن ألف باء التربية تقول إنها تقوم بوظيفتين :

أولاهما : بالفعل هي المحافظة علي الموروث الثقافي مما تراكم عبر أجيال حتي يستطيع الجيل اللاحق أن يبني علي ما وصل إليه الجيل السابق وإلا لم يحدث « تراكم » ، وهو الذي يؤسس للتقدم والتطور ، فنعلم ـ مثلًا ـ أولادنا لغتهم القومية ودينهم وتاريخهم وأبرز القواعد والمعاملات الاجتماعية والمفاهيم الثقافية ، حتي يكون تواصلًا بين الأجيال وبين الشرائح الاجتماعية .

لكن الوظيفة الثانية التي لا يخلو منها كتاب تربية بأي حال من الأحوال ، فهي : التطوير والتجديد) .

ويحمل بشدّة على الداعين إلى « التكيّف » مع الأوضاع السيئة وما يرها :

(فهناك من يتصورون أننا نعيش في عصر سلام ، ومن ثم فلا داعي للمقاومة ، وتلك صورة بشعة للتكيّف يحمل رايتها كبار ومثقفون وساسة ، وعندما ننحاز إلي جانب المقاومة في العراق وفلسطين ولبنان فهذا تمّرد علي منطق التكيّف !) [1].

إن مقاومة هذه الحرب الصليبية الصهيونية المتصاعدة ، لابد أن تُجابه بما يقابلها من عقيدة دينية ـ أي عقيدة الإسلام ـ التي تحض على الجهاد دفاعًا عن الأرض والعرض والدين .

ولقد كان المخطط العدائي يهدف ـ ضمن ما يهدف ـ إلى تكثيف حملات التنصير وإزاحة الإسلام من طريقه كعائق وحيد يحول دون نجاحه ، فإن المقابل المنطقي لصدّه هو المزيد من الاستمساك بالإسلام : عقيدة وشريعة وحضارة كاملة .

(ذلك أن الجهاد لإعلاء كلمة الله ، يتضمن بمعانيه وقيمه الإسلامية ، تحرير الأرض والإنسان والأمة من العبوديّة والظلم والاستعمار والاستغلال ؛ ولكنّ القتال لتحرير الأرض بمعناه المادي العلماني ، لا يرقى ولا يصل أبدًا لتحقيق هذه الأهداف السامية) [2].

وفي ضوء هذه التفرقة ، فإن الدرس العملي الذي عشناه ولا يغيب عن الأذهان ما حدث من تحويل قضية فلسطين على أيدي القوميين العرب والعلمانيين من قضية إسلامية تهم الأمة بأسرها إلى قضية قومية عربية ، فتوالت

---

(١) د/ سعيد إسماعيل علي ، مقال بعنوان : درس في التربية » ص (١٤) ، جريدة الوفد في ٧ رجب ١٤٢٨ هـ - ٢١ يوليو ٢٠٠٧م .

(٢) مقال بعنوان « رسالة المغرب » بقلم د/ إدريس الكتاني ص (٥٢-٥٣) ، مجلة (المختار الإسلامي) غرة جمادي الأولى ١٤٢٧ هـ - ٢٨ مايو ٢٠٠٦م .

الهزائم النكراء منذ رفع الشعارات ، وجاءت نكبة ١٩٦٧ دليلًا على الإخفاق الذريع ، بينما تصّر إسرائيل ومن ورائها أمريكا على تحويلها إلى قضية دينية تتكاتف فيها العقائد المسيحية مع الصهيونية نحو غاية إقامة الهيكل على أنقاض المسجد الأقصى للإسراع بعودة المسيح عليه السلام بزعمهم .

فلا منقذ من هذه المحن إلا بالاستمساك بكتاب ربنا ﷻ وسنة نبينا ﷺ ، وللقارئ نبذة عن تأويل قوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾
[آل عمران : ٢٠٠]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ ﴾ أي على مشاق الطاعات وما يمسكم من المكاره والشدائد ﴿ وَصَابِرُواْ ﴾ أي غالبوا أعداء الله في الصبر على شدائد الجهاد . لا تكونوا أقل صبرًا منهم وثباتًا . والمصابرة باب من الصبر . ذكر بعد الصبر على ما يجب الصبر عليه ، تخصيصًا لشدته وصعوبته ـ كذا في الكشاف ـ ﴿ وَرَابِطُواْ ﴾ أي أقيموا على مرابطة الغزو في العدوّ بالترصّد والاستعداد لحربهم ، وارتباط الخيل .

قال تعالى : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ ، والرباط في الأصل أي يربط كل من الفريقين خيولهم في ثغره ، وكل معدّ لصاحبه ، ثم صار لزوم الثغر رباطًا . وربما سمّيت الخيل أنفسها رباطًا ، وقد يتجوّز بالرباط عند الملازمة والمواظبة على الأمر، فتسمّى رباطًا ومرابطة .

قال الفارسّ : هو ثان من لزوم الثغر ، ولزوم الثغر ثان من رباط الخيل .

وقد وردت الأخبار بالترغيب في الرباط ، وكثرة أجره . فمنها ما رواه البخاري في صحيحه عن سهل بن سعد الساعديّ أن رسول الله ﷺ قال : « رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا » .

وروى مسلم عن سلمان الفارسي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ وَأَمِنَ الْفَتَّانَ » .

وروى الإمام أحمد عن فضالة بن عبيد قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إِلَّا الَّذِي مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللهِ فَإِنَّهُ يَنْمُو عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَيَأْمَنُ فِتْنَةَ الْقَبْرِ » وهكذا رواه أبو داود والترمذي ، وقال : حسن صحيح . وأخرجه ابن حبّان في صحيحه أيضًا . وبقيت أحاديث أخرى ساقها الحافظ ابن كثير في تفسيره [(١)] .

ومن فضل الله تعالى ورحمته (أنه رفع عن الأمة الإسلامية سنة الاستئصال، لأنها الأمّة الخاتمة التي يستمر شرعها إلى يوم القيامة ، ولكن وجب عليها الاتعاظ والاعتبار بما حلّ بالأمم السابقة ، لأنه قد يصيبها بعض ما أصاب تلك الأمم إن هم وقعوا في مثل ما وقعت فيه) [(٢)] .

---

(١) ص (١٠٨٠-١٠٨١) « محاسن التأويل » محمد جمال الدين القاسمي ج٣ ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ط. عيسى البابي الحلبي (دار إحياء الكتب العربية) ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧م .

(٢) د/ محمد محمد عاشور « السنن الإلهية في الأمم والأفراد في القرآن الكريم ـ أصول وضوابط » ص (٤٨٢) ، ط. دار السلام ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .



❁ حرب الصرب في البوسنة والهرسك تجربة رائدة للغرب .

❁ أمريكا وإسرائيل كالعملة الواحدة ذات وجهين .

❁ شعب فلسطين بين فكيّ أمريكا وإسرائيل .

❁ تحذير علي بيجوفيتش من وسائل الإعلام المضللّة .

❁ حرب الصرب في البوسنة والهرسك تجربة رائدة للغرب :

عاش الرئيس علي بيجوفيتش رحمه الله في أجواء معاناة أليمة بسبب حرب الإبادة الصربية للمسلمين في البوسنة والهرسك ، وأخذ يستنجد برؤساء الدول في سلسلة من الأحاديث الهاتفية معهم عبر الأقمار الصناعية بقوله : (ساعدونا قبل فوات الأوان ... النجدة ـ البوسنة تُغتال ... يتعرض أهلنا للمجازر وتحرق قرانا وتسوّى بالأرض ... والغاية هي مسحنا من الوجود) ، وقال في رسالته الموجهة إلى مجلس الأمن : (إذا لم تستطيعوا حمايتنا من الهجمات العسكرية الخارجية .. اسمحوا لنا على الأقل بالحصول على السلاح للدفاع عن أنفسنا) [١] .

وحاولت الصحافة الأجنبية أن تجد تفسيرات للموقف الوحشي من جانب أوروبا وأمريكا بالسكوت على ذبح المسلمين ولكن دون جدوى .. وقيل إن روسيا يجمعها مع الصرب وحدة الجنس السلافي ووحدة الكنيسة الأرثوذكسية .. وأمريكا تحكمها جمعيات التبشير التي حددت هدفها لإنهاء الإسلام من الدنيا .. وهي أيضًا أسيرة السياسة اليهودية في حربها ضد الإسلام والمسلمين ..) [٢] .

(فالإبادة الشاملة هي المقصود ، وأوروبا وأمريكا تعرفان ذلك وتقرانه وسكتوا حتى أنجزت المهمة تقريبًا وبعد قتل عشره الا ف وتشرد مليون ونصف

---

(١) حسن دوح ـ حامد سليمان ، السيد الغضبان « مأساة المسلمين في البوسنة والهرسك ـ جريمة القرن العشرين » ص (٧٩) ، الناشر أبوللو ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٢م .

(هذا بينما أمدت إسرائيل القوات الصربية بأسلحة متطورة بلغت قيمتها أكثر من ٦٠٠ مليون دولار لمساعدتها في حملة الإبادة ضد المسلمين في جمهورية البوسنة والهرسك) ص (٧٨) نفس المصدر .

(٢) محمد جلال كشك « إنهم يذبحون المسلمين ـ مأساة المسلمين في البوسنة والهرسك » ص (٥٠ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٦٠) باختصار ، مكتبة التراث الإسلامي ١٩٩٢م .

فيها كان يسمى يوغوسلافيا منهم مليون من جمهورية البوسنة والهرسك وحدها ، تحرّكوا بإعلان هذه القرارات التي أصدرتها الأمم المتحدة . وهي كما شهدت كل التعليقات عديمة الفاعلية ، وجاءت متأخرة) [١] .

وكانت عملية الإبادة تشمل أيضًا تدمير آثار الوجود الإسلامي هناك فحرصت على تدمير المساجد والآثار العريقة ... منها تدمير ٨٠ مسجدًا في جمهورية البوسنة والهرسك ، وحرضت القوات الصربية على قصف (باسكرساجي ... وهي المنطقة الإسلامية العريقة في قلب المدينة التي تضم آثارًا تاريخية ومسجدًا عمره خمسمائة سنة ، ويضم أقدم مكتبة إسلامية في أوروبا) [٢] .

وفي حديث لقائد القوات الصربية « فوشتيك » لمجلة « ديرشبيجل » الألمانية عبّر فيها بصراحة عن الهدف من الحرب التي تخوضها القوات الصربية في البوسنة فقال : (المسلمون يجب أن يختفوا كافة .. وقال أنا أؤيد النازيين الجدد في ألمانيا الذين يقومون بقتل المسلمين من الأتراك وغيرهم في المدن الألمانية)

ولما سُئل عن عدد المسلمين الذين قتلتهم ، قال : مئات كثيرة ، واعترف بقتله الأسرى أيضًا .

---

(١) ويذكر المؤلف رحمه الله بسخرية كيف نقدت الصحافة حينذاك موقف أمريكا بعدم التدخل الجدي كما فعلت في حرب الخليج سنة ١٩٩١م (هل لأن البوسنة ليس فيها بترول ؟) ص (٥٨) .

ويسجل في كتابه أن روسيا لا تزال العدو الأول للمسلمين ، حيث تركت الأرمن يذبحون الأذربيجانين المسلمين ، وكان أول خطاب من جورباتشوف لأوروبا هو الذي ذكرهم فيه بوحدة التراث المسيحي ص (٥٨) .

(٢) نفسه ص (٤٠ ، ١٠٥) وما بعدها ، وبمتابعتنا لعملية غزو العراق لاحظنا أن القوات الأمريكية حرّضت الغوغاء على مهاجمة ونهب المتاحف والمباني الأثرية . وقارن هذا بما فعله المسلمون : يقول علي بيجوفيتش (حكم الأتراك العثمانيون البلقان خمسمائة سنة فلم يهدموا كنيسة ولم يبيدوا شعبًا ، بل حافظوا على الأديرة الشهيرة .. ولكن هذه الآثار الدينية التاريخية لم تصمد ثلاثة أعوام فقط تحت الحكم الأوروبي فقد دمرها الشيوعيون والفاشيون خلال الحرب العالمية الثانية) « مذكرات علي عزت » .

ولما ذكرّه مندوب المجلة بتحريم المعاهدات الدولية لقتل الأسرى قال : (للأسف لا نملك سيارات لنقل الأسرى ... لذلك أسهل طريقة وأرخصها التخلص منهم فورًا بالقتل ... مثلًا في شهر يوليو كشفنا مخبأ يختفي فيه ٦٤٠ شخصًا بعد أن دلنا عليه بعض الأسرى الذين قمنا بتعذيبهم ... كان أسرع وأسهل وسيلة هي قتلهم بالرصاص والتخلص منهم)

ولما سُئل عن الهدف من الحرب ، أجاب : (القضاء على المسلمين . فالمسلمون في أوروبا يجب أن يختفوا كافّة ، إن على المسلمين في البوسنة إعلان تحولهم عن الإسلام وأن يصبحوا صربيين أو كروات أما الخيار الثالث فهو الموت)[١] .

وإن كان لنا تعليق على تلك المآسي التي تفتتّ الكبد ، فإننا نقول :

ماذا نفعل مع قلوب كالحجارة أو أشد قسوة ؟

بل قل : إن هذا القائد الجبان بقتله الأسرى الذين لا حول لهم ولا قوة ، يتضح سلوكه بإحدى الخصائص البارزة للحضارة التي ينتمي إليها وتربّى في أحضانها ، وهي خاصية الإبادة للغير وخاصة المسلمين ! .

وكان دور الولايات المتحدة في حرب الصرب شيئًا زيّفه الإعلام ، فصوّرها بدور المنقذ ، بينما خالف ذلك الواقع تمامًا .

ولدينا شهادة الشيخ حمدي يوسف سباهيتش مفتي بلغراد حينذاك ، إذ صرّح بأن أمريكا كانت تريد وضع قدمها بأي طريقة في كوسوفو ، فأججّت نيران التعصّب العرقي لدى جماعات البانية وصربية ، واستغلت ذلك في تنفيذ مخططاتها .

---

(١) مجلة المختار الإسلامي ١٥ جمادي الآخر سنة ١٤١٣ هـ - ١٠ ديسمبر ١٩٩٢م ، ص (٤١) ، وصدرّت صفحتها الأولى بالعنوان التالي : « هل هي بداية حرب صليبية جديدة ؟ » .

وفندّ الشيخ حمدي ادّعاءات الولايات المتحدة بأنها قصفت يوغوسلافيا بالقنابل دفاعًا عن المسلمين في كوسوفو ، وقال :

(هذا نفاق ، لأن أمريكا التي تمنع منذ أكثر من نصف قرن تنفيذ كل قرارات الأمم المتحدة في شأن القدس ، وتسحق حقوق الشعب الفلسطيني لا يمكن أن يصدّقها أحد بأنها تحب المسلمين ، وتدافع عنهم في أي مكان في الدنيا) (١) .

وهبّ المسلحون دفاعًا عن إخوانهم في البوسنة والهرسك وعبرّوا عن تضامنهم في شكل عقد مؤتمرات في أنحاء البلاد الإسلامية ، وقامت وفود بزيارات لمواقع الأحداث ، وشارك بعض الشباب في الجهاد هناك ضد الصرب ، وقُدمّت معونات مالية وعينية للمنكوبين ، ودلّت على حسن النوايا ومشاركة المسلمين هناك في مآتمهم وأحزانهم .

ولكن مع التقدير لهذه الأنشطة ، فإنها صدرت عن جمعيات أهلية وجماعات متفرقة ، بينما لم تقم الحكومات الإسلامية بدورها في نصرة إخوانها المسلمين في البوسنة والهرسك ، فأين هذا من موقف دول كروسيا واليونان وإسرائيل التي أمدّت الصرب بالأموال والأسلحة والذخائر ؟! ودعك من التحيز الأوربي لمطالب الصرب (لإجبار الضحية على الركوع والاستسلام للمتعدي الصربي والخضوع لمنطق القوة الغاشمة) (٢) ، مما اضطر بيجوفيتش للتوقيع على اتفاقية دايتون ٢١/ ١١/ ١٩٩٥ م ووجّه كلمته إلى الشعب قال فيها :

---

(١) جريدة « الحياة » اللندنية بتاريخ ١٣/ ٢/ ٢٠٠٢ م .

(٢) « مذكرات علي عزت بيجوفيتش » ، ترجمه وإعداد محمد يوسف عدس ، ص (١١٤) كتاب المختار سنة ٢٠٠٤م .

(قد لا يكون هذا سلامًا عادلًا كما تمنيناه ... ولكنه أكثر عدالة من استمرار الحرب ... إن الله شاهد علينا أننا قد فعلنا كل ما في وسعنا وطاقتنا لكي نقلل من حجم الظلم الواقع على شعبنا وعلى بلادنا)[١] .

كذلك كتب في مذكراته شاكيًا من التحيّز الأوروبي لمطالب الغرب ، فقال : (كان هذا موقفًا نمطيًا ثابتًا متكرر اتجاه البوسنة المسلمة من قبل العديد من الشخصيات الأوروبية والعالمية ... استأسد جميعهم على البوسنة في محنتها الطاحنة ، وأرادوا هزيمتها واستسلامها أو استئصالها من الوجود كما يفعلون اليوم بالفلسطينين)[٢] .

وأخيرًا ، نحاول الإجابة على السؤال الذي قدمنا به هذه الورقات ، إذ يبدو أن حرب الصرب في البوسنة والهرسك كانت تجربة رائدة للغرب بقيادة الصرب ووراءهم أوروبا وأمريكا لجس نبض العالم الإسلامي . ولما رأوا أن رد الفعل لم يبلغ من القوة حدًّا يحمي حقوق المسلمين هناك ، طمعوا في تكرار التجربة في أفغانستان والعراق والسودان والصومال ... والبقية تأتي ، مالم يردعهم رادع .

وها نحن نكابد مآسي الحرب الصليبية المتصاعدة ، ونلاحظ أن ما حدث بالبوسنة يتكرر الآن في الحرب التي شنتها أمريكا بزعم محاربة الإرهاب ، فهل كانت حرب الصرب تجربة أريد لها أن تستمر ؟ أما جرح فلسطين الذي ظل ينزف دمًا منذ عام ١٩٤٨ م ، فقد لفت انتباهنا أن كلًّا من مفتي بلغراد وعلى بيجوفيتش كانا منشغلَيْن بها كانشغالهما بمآسي البوسنة والهرسك ، فاتّهم الأول ـ كما أسلفنا ـ أمريكا بالنفاق لأنها تسمح لليهود بسحق حقوق الشعب الفلسطيني .

---

(١) نفسه ص (١٢٣) .

(٢) نفسه ص (١١٦ - ١١٧) .

وثبت لعلي بيجوفيتش بتجربته المريرة إجماع الغربيين ـ بما فيهم الولايات المتحدة ـ على استئصال الفلسطينين .

فما هي الرابطة التي تجمع أمريكا بإسرائيل على وحدة الوسائل والأهداف ، وفي مخيلة كلٍّ منها الصرب ؟

هذا ما سنبحثه فيما يلي .

❁ أمريكا وإسرائيل كعملة واحدة ذات وجهين :

أصبح التماثل التاريخي والاعتبارات الدينية بين الولايات المتحدة وإسرائيل موضع تساؤل : أيهما تقود الأخرى ؟ أو : هل هما كعملة ذات وجهين ؟

ففي خطبة ألقاها رئيس أمريكا في منظمة « إيباك » الصهيونية ـ التي تعتبر بمثابة الذراع الإسرائيلية الطويلة الممتدّة في أحشاء الجسد السياسي الأمريكي توجهه لخدمة مصالح إسرائيل ـ قال : (الدولتان ، دولتان حديثيتان نسبيًا ، وخلقتا للنضال ، وأسسهما مهاجرون هاربون من الاضطهاد الديني ، فبنوا دولتيهما على أساس حكم القانون واقتصاديات السوق ، وعلى معتقدات بأن الرب يراقب الأفعال ويتمنى كل حياة ، وإن هذه الصلات لن تنكسر) [١] .

ويضفي الأمريكيون الطابع الديني على سياستهم ، لأن الآباء المؤسسين للولايات المتحدة الأمريكية ـ هم البيوريتانيون ـ شعب مختار ، والأرض أرض الميعاد (واعتقاد اليهود بأنهم ـ شعب مختار ـ يتماشى مع اعتقاد الولايات المتحدة

---

(١) من مقال بعنوان « بوسنة والعراق .... وهاوية الفشل » للدكتور محمد السعيد إدريس الأهرام في ٢٧/ ٥/ ٢٠٠٤ م ص(١٢) .

بأنها الأمة الأكثر قربًا من الله من أية أمّة أخرى ، معبّرة عن هذا الاعتقاد في الشعّار المطبوع على الدولار « نحن نثق بالله »)[١] .

ويقول جارودي : (وكما زود العهد القديم الأمريكيين الأوائل ، بوهم ملائم لعلاقتهم مع السكان الأصليين للبلاد ، قام البيوريتانيون بدورهم بتزويد الإسرائيلين بوهم ملائم لعلاقتهم مع الفلسطينين ، والنتيجة المسلّم بها ، إنشاء جبهة مشتركة ضد الإسلام)[٢] .

(والحديث عن ارتباط السياسة الأمريكية بالتنبؤات التوراتية ليس من باب محاولة البحث إلى الذرائع ... فالإرادات الأمريكية ومنذ صعود تيار اليمين المحافظ وعلى رأسه رونالد ريجان بدأت الإعداد العلمي وتهيئته الأجواء السياسية والاقتصادية والعسكرية لتحقيق هذه التنبؤات حيث كان أول وأشد غلاة تطبيق نبوآت التوراة « حزقيال » وقيام معركة هرمجدون النووية .

ويذكر « بوب وودورد » في كتابه « خطة الرب » كيف أن بوش قال إن الرب أوحى إليه وحثّه على تحطيم بابل ـ العراق ـ قاهرة شعبه المختار ـ بني إسرائيل ـ وإن الرب طلب منه اجتياح العراق وأفغانستان ، وقال بوش : « كنت أصلي طالبًا القوة من أجل تحقيق إرادة الرب وداعيًا أن يحمي الرّب الجنود ويحفظهم »)[٣] .

---

(١) جارودي « الولايات المتحدة طليقة الانحطاط » ص (٢٦٨) ، ترجمة مروان حموي ، دار الكتب دمشق ١٩٩٨م .

(٢) المرجع السابق .

(٣) محمد عبد الله ، مقال بعنوان « إسرائيل تخوض معركة الرب » جريدة (الأسبوع) القاهرية ٦ رجب ١٤٢٧ هـ - ٢١ يوليو ٢٠٠٦م .

ومن الأمور المتفق عليها بين المراقبين والباحثين والدارسين للمجتمع الإسرائيلي أنّ إسرائيل لم تضع دستورًا لها في الأصل لاعتمادها على الدين الذي لعب دورًا في اغتصاب أرض فلسطين منذ سنة ١٩٤٨ م وفق أساطير توراتية ، وفي تأسيس شرعيتها وفي تشكيل الإطار السياسي للحياة ، كما ساهم الدين كأداة للتعبئة وحافزًا للهجرة اليهودية إلى فلسطين ، وإقامة المستعمرات الاستيطانية [١] .

وفي ضوء هذه الحقائق لم يعد من الصعب تفسير الانحياز الأمريكي الأعمى لإسرائيل ، بل إن (المتابع جيدًا لواشنطن - الإدارة - يدرك افتقادها لمنظور إقليمي متكامل ، فإسرائيل هي في واقع الأمر التي تقوم بالتخطيط ثم تجنّد الإدارة الأمريكية للمساعدة على التطبيق ، فيقال : سياسة أمريكية) [٢] .

ولا يُستغرب هذا التفسير لأن العلاقة بين أمريكا وإسرائيل تتلخص في الواقع بوصف ساسة أمريكا أنهم صهاينة أكثر من ساسة إسرائيل .

(وأن تأييد أمريكا لإسرائيل ، إنما هو تقرب إلى الله وللتعجيل بعودة المسيح عليه السلام) [٣] .

---

(١) وهو رأي الدكتور عبد العزيز شادي الأستاذ بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة في ندوة بعنوان « مصر والعالم ، رؤى متنوعة وخبرات متعددة في العلاقة بين الدين والسياسة » .

(٢) منها عبد الفتاح ، مقال بعنوان « عربيًا .. هل ممكن نجعل أمريكا (تلايمها) وتعدل كفّتها (المايلة) ؟! » جريدة أخبار اليوم ٥ ربيع الأول ١٤٢٨ هـ - ٢٤ مارس ٢٠٠٧م .

(٣) محمد عبد الله ، مقال بعنوان « إسرائيل تخوض معركة الرب » جريدة (الأسبوع) بتاريخ ٦ رجب ١٤٢٧ هـ - ٢١ يوليو ٢٠٠٦م . صفحة (٩) وورد ضمن مقدمته (الحاخامات يباركونها ونصوص التوراة جاهزة لزج الجميع) .

وفي كتاب « الهويّة المسيحية : التفوّق الأبيض المسيحي والقومية المسيحية » لمؤلفه أوستن كلاين يقول : (إن الحركات الأمريكية التي تنادي بالهوية المسيحية والتي تبشر بكون أمريكا هي إسرائيل الحقيقية ، وأن رجالها وأتباعها منتدبون في مهمة لحساب الرب)[١] .

وتعود جذور حركات الهوية المسيحية ـ وهي من أخطر الحركات الدينية في أمريكا اليوم ـ تعود إلى أيدولوجية نمت وترعرت في أواخر القرن التاسع عشر ... وهي الحركة التي أقنعت الغرب الأوروبي ـ وبالذات البريطانيين ـ بأنهم ينحدرون روحيًا وجسديًا من نسل القبائل العشرة المفقودة لإسرائيل ، وإنهم ـ وليس اليهود ـ هم شعب الله المختار الحقيقي (وهذا الكلام يتواءم وتصوّر أمريكا نفسها على أنها ـ **إسرائيل الجديدة** ـ وأنها مدينة الجبل التي تمنح العالم نور الله والديموقراطية)[٢] .

وبمتابعة التطورات الأخيرة في الشرق الأوسط لا يخفى على من يتعمق في دراسة الصلة التي بين إسرائيل وأمريكا ، أن الغزو العسكري للعراق هو في مصلحة إسرائيل بالدرجة الأولى . وبات جميع السياسيين الإسرائيلين (يعتقدون بناء توقعاتهم المسبقة ، أن نتائج الغزو الأمريكي ـ البريطاني للعراق ستصب في خدمة الأهداف الاستراتيجية الصهيونية)[٣] .

---

(١) أسامة الدليل ، مقال بعنوان « إسرائيل عاصمتها واشنطن .. والبيض شعب الله المختار ـ الصهيونية تقود الحرب على الإسلام » الأهرام العربي ٢١ رمضان ١٤٢٧ هـ – ١٤ أكتوبر ٢٠٠٦م ، والمقال موضوع الغلاف .

(٢) السابق .

(٣) أحمد أبو هدية ص (٩) من مقدمته لكتاب « الدور الإسرائيلي في الحرب الأمريكية على العراق » تأليف مجموعة مؤلفين إسرائيلين ، ترجمة أحمد أبو هدية ، مكتبة مدبولي ـ مركز الدراسات الفلسطينية ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥م .

وكان هناك ارتباط وثيق في الأوساط الأمريكية (حول استراتيجية أمريكية صهيونية مشتركة وخطط عسكرية وسياسية واقتصادية وأمنية حيال ما يسمى إعادة صياغة المنطقة مجدَّدًا في إطار الرؤية الاستراتيجية الأمريكية)[١] .

❁ شعب فلسطين بين فكيّ أمريكا وإسرائيل :

رأينا كيف كانت ملاحظتيّ كلٍّ من علي بيجوفيتش ومفتي بلغراد في موضعهما تمامًا ، إذ دأبت أمريكا على احتضان إسرائيل ومدّها المستمر بالمساعدات المالية والعسكرية بمليارات الدولارات والحرص على الاحتفاظ بتفوقها العسكري بالمنطقة ، وتفرّدها بالسلاح النووي ، وتشجيعها على ممارسة إرهاب الدولة ضد أهل فلسطين ، والدفاع عنها في المحافل الدولية ، وإيقاف أي قرار يصدر ضدها باستخدام حق « الفيتو » .

ولا يزال الشعب الفلسطيني المغلوب على أمره يتعرض لكل إفرازات حضارة العصر العفنة منذ إنشاء الدولة العبرية عام ١٩٤٨ إلى الآن ، ولعل آخرها نذالة وخسّة وضع الشعب الفلسطيني في سجن كبير وحرمانه من مقومّات الحياة الضرورية ، كما فعلت أخيرًا إسرائيل ومن ورائها أمريكا ودول الغرب مع شعب غزّة البطل .

وبلغ تأييد أمريكا لإسرائيل[٢] إلى حد ما سمّاه الكاتب البريطاني

---

(١) السابق ص (١٦) .

(٢) ويتجسد ذلك في أن غلاة المحافظين الجدد بأمريكا قد تبنوّا بوضوح النظرية الصهيونية تجاه (الكفاح الفلسطيني المشروع ضد الاحتلال) تبنوّا نظرية تصف المقاومة الفلسطينية (بالإرهاب) ، وهذا التبنّي منح إسرائيل أقوى حجّة لكل تبطش بالفلسطينين بفجور وطغيان لا سقف لهما ... زين العابدين الركابي ، مقال بعنوان « نموذج ديموقراطي رائع : إسقاط حكومة ديموقراطية بالقوة العسكرية » جريدة الشرق الأوسط بتاريخ ١/ ٧/ ٢٠٠٦ م ، ص (١٧) .

ـ باتريك سيل ـ بفضيحة الحصار الاقتصادي على شعب بأسره من جانب أمريكا وإسرائيل بسبب نجاح « حماس » في انتخابات حرّة نزيهة .

ويتساءل الكاتب ـ وهو متخصص في شؤون الشرق الأوسط ـ : (تُرى كيف نفسر أسباب هذه الروح الانتقامية وأسباب مقاطعة حماس ؟ إنهم يعزلونها ويصفونها بالشيطانية باعتبارها منظمة إرهابية أرسلت في الماضي الانتحاريين لقتل المدنيين الإسرائيليين ، وهم يتناسون أنهم مارسوا سياسة إرهاب الدولة على نطاق أوسع بكثير وقتلوا خمسة أضعاف ما قتلته حماس من المدنيين كما أنهم يتجاهلون أن الاحتلال الإسرائيلي اللاشرعي للأراضي الفلسطينية هو أصل المشكلة ، ويبدو أن العالم تعوّد على سياسة إسرائيل الوحشية في الاحتلال وإقامة المستوطنات وفرض حظر التجول وإنشاء الحواجز وإغلاق الحدود وإقصاء المزارعين عن أراضيهم وتدمير المنازل والاغتيالات المستهدفة وجدار الفصل المقيت)[١] .

كذلك يبدي دهشته من أن صوتًا واحدًا في الغرب لم يرتفع للدفاع عن الفلسطينيين باستثناء الرئيس السابق جيمي كارتر .. ، وكان الاتحاد الأوروبي قد انضم في البدء إلى أمريكا وإسرائيل في حملة تجويع حماس بغية إخضاعها أو طردها من السلطة[٢] .

إن مثل هذا السلوك الشائن الخالي تمامًا من أدنى إحساس بالإنسانية ، يدين حضارة العصر القائمة على التمييز العنصري واعتبار الشعوب الأخرى

---

(١) باتريك سيل ، مقال بعنوان « بوش وفلسطين : لحظة الحقيقة » جريدة (الحياة) اللندنية في ٢١ ربيع الثاني ١٤٢٧ هـ - ١٩ أيار (مايو) ٢٠٠٦م ، ص (٩) .

(٢) نفسه .

من البرابرة ، وهي من الملاحظات التي عالجها بيجوفيتش في كتابه أيضًا ، فقد استرجع تاريخ القارة الأمريكية وسلوك الأسبان الغزاة الذين دمروّا بأحط الوسائل التي لم يشهدها التاريخ من قبل لثقافات الشعوب من أهل القارة الأحرار المسالمين فحسب ، بل دمّروا الشعوب نفسها مستخدمين في ذلك أساليب غير مسبوقة بزعم أنها شعوب بدائية « بربرية » ، ويسخر بيجوفيتش من وصف المستوطنين البيض بأنهم وحدهم هم « المتحضرون » ووصف غيرهم بالبرابرة ، فقد ثبت من دراسة لخبير ألماني في الدراسات الإفريقية وهو « ليوفرو بنيوس » أن : (الأفارقة متحضرون حتى النخاع ، وإن فكرة أنهم برابرة ليست سوى خيال أوروبي) [1] ، كما يستنتج من قراءته لكتاب « التاريخ العام لأفريقيا » ـ من نشر منظمة اليونسكو ويتألف من ثمانية أجزاء ـ يستنتج حقائق مثيرة عن الشعوب البدائية حيث كان الأجانب في إفريقيا يتمتعون بكرم الضيافة في حين (كان الأجنبي في روما القديمة أو في بلاد الإغريق يتحول إلى عبد عندهم) .

فماذا فعلت أمريكا « المتحضرة » مع أهل البلاد الأصليين ؟

(لقد كانت الحكومة الأمريكية ـ حتى منتصف القرن التاسع عشر ـ تدفع مبلغًا من المال لمن يأتي بفروة رأس هندي ، وخلال ثلاثة قرون من الزمن ، استمدت التجارة الشائنة في العبيد السود عبر الأطلنطي جنبًا إلى جنب مع نمو الحضارة الأوروبية ـ الأمريكية وكجزء لا يتجزأ من هذه الحضارة . ولم تنته هذه

---

(١) علي بيجوفيتش « الإسلام بين الشرق والغرب » ص (٢٢٢) .

التجارة قبل سنة ١٨٦٥ . وقُدّر عدد الذين وقعوا في الأسر فريسة للصيد البشري ـ بالمعنى الحرفي لهذه الكلمة ـ خلال هذه الحقبة بين ١٣ إلى ١٥ مليون إنسان حر ـ علمًا بأن العدد الحقيقي لن يُعرف أبدًا ـ)[١] .

ويعلّق على هذه الأعمال الوحشية بقوله :

(وهذه الامبريالية تفضح في كل مكان بعنفها وخداعها ونفاقها واستعبادها ، كما تبدو في تدمير جميع القيم المادية والثقافية والأخلاقية للشعوب البدائية الضعيفة)[٢] .

فلا غرابة إذن من أن تبارك الولايات المتحدة إسرائيل في قيامها باغتيال زعماء فلسطين وتدمير القرى والمدن واعتقال آلاف الفلسطينيين وإقامة الجدار العازل .

ويقول الأستاذ أسامة غيث : (وللأسف الشديد فقد انحدر العالم الغربي إلى الدرك الأسفل من الانحطاط الحضاري في تعامله مع الشعب الفلسطيني ، وحتى يصل إلى هذا المستوى غير المسبوق وصل إلى مرحلة التبجّح ، بالإصرار على ممارسة الفعل الفاضح حضاريًا وإنسانيًا على قارعة الطريق ، وعلى رؤس الأشهاد من الرأي العام على امتداد الكرة الأرضية بإعلانه قرارًا بربريًا بالإعدام والإبادة الجماعية للشعب الفلسطيني ، ويؤكد كذلك بكل بساطة ، أن الفعل الفاضح ليس غريبًا على العالم الغربي ، وليس مستهجنًا أو مرفوضًا ، بل هو البنيان الحقيقي والدعامة والركيزة التي تقوم عليها الحضارة الغربية في أوروبا

---

(١) نفسه ص (٢٢٣) .

(٢) نفسه ص (٢٢٣) .

وأمريكا ، كما يعني ويثبت أنه قد آن الأوان لإعادة فهم وترتيب الأوراق للتعامل مع العالم الغربي من منظور حقيقي وفعلي يعيد اكتشاف الأصول النازية والفاشية في تعاملات الغرب مع غيرهم ، وفي مقدمتهم العرب والمسلمون وكافة أصحاب الجنس الأسود والأصفر من غير البيض) اهـ [١] .

❁ تحذير علي بيجوفيتش من وسائل الإعلام المضلّلة :

يرى علي بيجوفيتش أن وسائل الإعلام الجماهيرية للثقافة عندما تحتكرها الحكومة تستخدمها كوسائل لتضليل الجماهير أسوأ ما يكون التضليل ، وذلك بشل إرادة الشعب عن طريق تغذيته بحقائق مغلوطة جاهزة ومكررة ، ومنع الناس من التفكير أو الوصول بأنفسهم إلى أحكامهم الخاصة من الأحداث [٢] .

وهو يحذّرنا من الانخداع بالروايات الكاذبة المحبوكة بالصوت والصورة ، وهي مخالفة للحقيقة تمامًا ، وكان قد عانى بلاشك مما حدث لبلاده ، فقد استخدم الغرب تقنيّة التزييف عندما تدخلّ حلف الناتو في البلقان (والذي تم تصويره ـ إعلاميًا ـ على أنه المنقذ بينما الحقيقة الغائبة هي أن الناتو ـ نفسه ـ هو الذي ارتكب جريمة الجرائم في البلقان « التطهير العرقي ») [٣] .

---

(١) الأستاذ أسامة غيث ، مقال بعنوان « التجميد الغربي لمساعدات الشعب الفلسطيني « القرار الأول » بالإعدام والإبادة الجماعية في القرن الـ ٢١ ! » جريدة الأهرام بتاريخ ١٧ ربيع الأول ١٤٢٧ هـ - ١٥ إبريل ٢٠٠٦م ، ص (١٧) .

(٢) علي بيجوفيتش « الإسلام بين الشرق والغرب » ص (١٠٨) .

(٣) د/ سعيد اللاوندي مقال بعنوان « تصنيع الرأي العام » جريدة (الأهرام) ٨ ذو القعدة ١٤٢٦ هـ - ١٠ ديسمبر ٢٠٠٥م .

والمثال الثاني للتزييف ما أذاعته محطة « سي إن إن » أيام ١١ سبتمبر ، ادعّت مشاهد فرحة الفلسطينين فور انهيار برج التجارة العالمي ، وتم ترويجها على نطاق واسع وعلى مدار الساعة (ولكن أستاذًا برازيليا بعد ذلك استطاع إثبات أنها مشاهد مأخوذة من الأرشيف ، وسبق أن أذاعتها هذه الشبكة عام ١٩٩٠ عقب غزو العراق للكويت !!)[١] .

إننا إذن في ظل حرب حقيقية لا تُدار فقط بالجيوش والطائرات والمدافع ، ولكن تدار أيضًا بما يسمى (بحرب الأفكار) .

وكان وزير الحرب الأمريكي دونالد رامسفيلد قد صرح بذلك بقوله (نخوض حرب أفكار مثلما نخوض حربًا عسكرية ، ونؤمن إيمانًا قويًا بأن أفكارنا لا مثيل لها .... إن تلك الحرب تستهدف تغيير المدارك ، وأن من الحتم الفوز فيها وعدم الاعتماد على القوة العسكرية وحدها)[٢] .

ونحن نرى أنه يُلحق بحرب الأفكار الحملة الإعلامية التي تذيع الاتهامات والأكاذيب حول الإسلام عقب إعلان الرئيس الأمريكي عند غزوه للعراق أنه يخوض **حربًا صليبية** ، ثم تابعه بابا روما في حملته ضد الإسلام وظهرت الرسوم المسيئة للرسول ﷺ ، ومنحت ملكة إنجلترا لقب « فارس » لسلمان رشدي « الكذّاب الأشر »[٣] تزامنت هذه السلوكيات في أوقات

---

(١) د/ محمد فتحي « **التليفزيون .... والعولمة** » ص (٣٧) كتاب الجمهورية ـ أغسطس ٢٠٠٢م .

(٢) د/ عبد العزيز كامل ، مقال بعنوان « **حرب الأفكار بين بأس الأمريكيين ويأسهم** » ص (٤٨) . مجلة (البيان) ـ تصدر عن المنتدى الإسلامي ـ لندن ـ جمادي الثانية ١٤٢٨ هـ ـ يونيو ٢٠٠٧م .

(٣) (ويعبّر هذا السلوك عن نوع من أنواع العداء للأمة والاستخفاف بها وبدينها وذلك بسبب ضعف الأمة الناتج عن بُعدها عن دينها الذي أعزها الله به .... ونحن لا يعنينا أن تعطي هذا المارق لقب فارس أو غيره ، سواء صدر عن ملكة بريطانيا أو من أئمة الكفر جميعًا ، فإن ذلك لن يرفع قدره ولن يهز لنا قناعة في شيء مما جاء

=

متقاربة مما يرجح أنها ظاهرة تعبّر عن مخطط محبوك ، وليست عفوية أو متناثرة بلا عقول مدبّرة .

إن ضراوة هذه الحرب الفكرية تجاوزت كل الحدود في طعن مقدساتنا ، وكشفت الغطاء في الوقت نفسه عن حقيقة الحرب الدينية والدوافع العدائية لها ، كما دقّت أجراس الخطر لتنبيه الغافلين .

إن حملات التشهير بالإسلام ليست وليدة أحداث سبتمبر بل كانت ملازمة لتاريخ الاستعمار الغربي لبلادنا ، ويكفي الاستشهاد هنا بحملة « أرنست رينان » الفيلسوف الفرنسي الشهير ووزير المستعمرات لفرنسا حينذاك ، فقد وصف الإسلام باعتباره سببًا لتخلف المسلمين وذكر أنه من الضروريّ تخليصهم من الإسلام حتى يمكنهم اللحاق بركب العصر[١] .

ونفس الحملة ، ولكن بصورة أكثر وقاحة ، تتزعّمها أمريكا حيث تحول الإسلام في إعلامها إلى « محور الشر » ومصدر الإرهاب وتم تصويره وكأنه روح شريرة تسكن نحو مليار ونصف مليار يشكلون ربع سكان الأرض مما يحتم تخليصهم منه حتى يعم الأرض بالسلام[٢] .

وقد وُصف الإسلام بالإرهاب للتغطية على إرهاب الدولة الأمريكي بقيادة اليمين المحافظ (وفلسفته الأصولية المسيحية الصهيونية وهي الفلسفة

به ديننا القويم ، ولن ينفعه عند ربه يوم يلاقيه فيما سببه على ما جنت يداه) مجلة (البيان) رجب ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧م ـ المنتدى الإسلامي ـ لندن ـ « وقفة تأمل في تكريم مرتد » ـ الافتتاحية .

(١) أسامة غيث ، مقال بعنوان « خداع الغطاء السياسي ... ومخططات النهب الاقتصادي » الأهرام في ١٠/ ٤/ ٢٠٠٤م . وقد تصدى كل من الأفغاني والشيخ/ محمد عبده لأرنست رينان وأفحموه .

(٢) نفسه ، ويذكر في نفس المقال أن السياسة الأمريكية المعاصرة تمضي في نفس خط العقيدة التي استأصلت بموجبها الهنود الحمر من الوجود لأنهم (همج) ويعيقون مهمة تعمير الأرض الجديدة ، ويعترضون مشيئة الرب !! .

الحاكمة لإدارة جورج بوش الابن ، كما يتطابق بكل معانيه وتفصيلاته مع الصهيونية العالمية والكيان الصهيوني المتعصّب وجناحها الماسوني الدولي ومسمياتها الحديثة والعصرية ، ويُلحق به بالضرورة فلول اليمين الأوروبي المتطرّف بتعبيراته الجديدة وتنظيماته الفاشية والنازية وفلسفات الحكم والحاكمين والقائمين على نظريات تفوقّ الجنس الأبيض واستعلائه وحقّه في نهب ثروات ومقدرّات العالم[(١)] .

ويقول الأستاذ أسامة الدليل : (لم يحدث أبدًا بين يوم وليلة ، لا الرسوم الدنماركية المسيئة لنبي الإسلام ﷺ ولا تصريحات بابا الفاتيكان المسيئة لرب الإسلام ـ تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرا ـ ولا تصريحات الرئيس الأمريكي المسيئة للإسلام ذاته الذي وصفه بالفاشية ولا مقالات السياسي البريطاني المحنك سترو المسيئة للمحجبات المسلمات في بريطانيا ـ ولا تصريحات خوزيه أزنار رئيس الوزراء الأسباني السابق المسيئة لتاريخ المسلمين في أسبانيا ، فكل ما هو سيء ومسيء كان لعقود طوال يزداد سوءًا كل ساعة وكل يوم ، لكن الأسوأ من كل ذلك هو أننا في العالم الإسلامي لا نرى الأمر إلا في سياق الإساءة .. لا العداوة وهو تضليل وضلال ، آن الأوان لأن ننتهي عنه ... وأن نبدأ في الاعتراف بأن الغرب المسيحي قد اعتنق الصهيونية ، وأن الغرب الذي فصل الكنيسة عن الدولة كشرط للحداثة يمزج الآن بين الدين والقومية كشرط للهويّة ، وأنه في سبيل ذلك ارتقى بالديموقراطية لمرتبة الدين واختزل

(١) أسامة غيث ، مقال بعنوان « الملاذ لإنقاذ العرب .... والملجأ لهزيمة الهيمنة » جريدة الأهرام في ٢ شعبان ١٤٢٧هـ - ٢٦ أغسطس ٢٠٠٦م .

الدين الإسلامي لمجرد برنامج سياسي يهدد هذه الهوية الجديدة)[١] .

إن هذا الجو الملبّد بغيوم العداء السافر والمغلّف بالشعارات الخادعة يستلزم منا التحصين الذاتي بتعميق مفاهيمنا الإسلامية وهي أيضًا مسئولية العلماء والدعاة ورجال الأزهر فضلًا عن الأجهزة الإعلامية للدول الإسلامية التي أصبح من أوجب واجباتها التصدي (لقضايا الاختراق الخارجي لعقل الإنسان ووجدانه ومن قضايا تشويه العقائد والأديان وغرس عقائد وقيم دخيلة ومستوردة بمثابة العنصر المهم لتفريغ العنصر البشري من عنصر القوة الداخلية التي تدفعه للالتفات حول قضايا الوطن والأمة أو تدفعه لليأس والقنوط وتدفعه باللاوعي إلى أن يكون جزءًا من الطابور الخامس القائم بعمليات التدمير العمد التآمري وبمنطق العملاء والخونة والجواسيس)[٢] .

ونقدّم موقف فرنسا نموذجًا يُحتذى للتصدّي للإعلام الأمريكي المضلل حيث خشيت على ثقافتها الوطنية فحذّرت من سيطرة الإمبريالية المالية والثقافية على الوعي والتفكير ، وخطورة نشر ثقافة العنف والجنس حيث قال وزير الثقافة جاك لانج عام ١٩٨٢ : (إن الإمبريالية المالية والثقافية لا تسعى إلى السيطرة على الأرض لأن الأجدى أن تسيطر على الوعي وعلى التفكير ، تسيطر على الحياة)[٣] .

---

(١) أسامة الدليل ، مقال بعنوان « إسرائيل عاصمتها واشنطن والبيض شعب الله المختار .. الصهيونية الجديدة تقود الحرب على الإسلام » الأهرام العربي ٢١ رمضان ١٤٢٧ هـ - ١٤ أكتوبر ٢٠٠٦م ، ص (١٠) .

(٢) أسامة غيث ، مقال بعنوان « الملاذ لإنقاذ العرب ... والملجأ لهزيمة الهيمنة » الأهرام في ٢ شعبان ١٤٢٧هـ - ٢٦ أغسطس ٢٠٠٦م .

ويرى أن المستقبل لا يحمل إلا خيارًا واحدًا للعالم العربي يصب في خانة تكتله خلف منظومة شاملة جديدة لإرادة النصر برفض الكيان الصهيوني المغتصب وتطلعاته لإيقاف التغلغل الأمريكي ومواجهة مخططات السطوة والهيمنة بحسم وفاعلية .

(٣) د/ محمد فتحي « التليفزيون ... والعولمة » ص (٧٨) ، كتاب الجمهورية ، مصدر سابق .

وسبقه علي بيجوفيتش رحمه الله للتحذير من التلفاز الذي يهدد الحريّة وأصبح أكثر خطرًا من البوليس والسجون ومعسكرات الاعتقال السياسي وقال : (وأعتقد أن الأجيال القادمة ما لم تكن قدرتها على التفكير قد دمرت تمامًا ، سوف تُصدم باستشهاد الجيل الحالي المستهدف بدون عائق لتأثير هذه القوة الضاربة التي لا رابط لها .... إن هذا الخطر الجديد يهدد بإقامة عبودية روحية من أسوأ الأنواع)[١] .

ونرى أن هذا التحذير في موضعه تمامًا ، لأن الإعلام الأمريكي بلغ الحد الأقصى في ضراوته وتزييفه .

يقول الدكتور نبيل علي : (ونحن نراهم يطالبون حاليًا بتكتيم أفواه الإعلام العربي صحفه ومذياعه وتلفازه وقنواته الفضائية ومواقعه على الإنترنت)[٢] .

وفصل الخطاب أن الأمر أصبح يهدد الأمن القومي ذاته ، إذا أخذنا بتعريف دائرة العلوم الاجتماعية بأن (الأمن القومي ، يعني قدرة الدولة على حماية قيمها الداخلية من التهديدات الخارجية)[٣] .

---

(١) علي بيجوفيتش « **الإسلام بين الشرق والغرب** » ص (١٠٩) .

وتأتي المناسبة لنعود فنؤكد كذب الرواية الرسمية عن أحداث ١١ سبتمبر يقول الدكتور سعيد اللاوندي : (إن كتابًا صدر باللغة الفرنسية لمؤلفه الكاتب تيري ميسان بعنوان « **الخديعة الكبرى** » الذي فضح أكذوبة أمريكا بشأن أحداث ١١ سبتمبر وأنها خديعة فأوضح بالأدلة الدامغة أن وقائع تدمير برجي نيويورك تمت بفعل فاعل أمريكي .. وأن أسامة بن لادن برئ منها براءة الذئب من دم ابن يعقوب ، وأضاف أن الحقائق والوقائع التي استند إليها ارتعدت لها فرائص الدبلوماسيين الأمريكيين . د/ سعيد اللاوندي « .. **لسنا عبيدًا للإعلام الأمريكي** » جريدة الأهرام ٢٨ شعبان ١٤٢٨ هـ - ١٠ سبتمبر ٢٠٠٧م . كذلك ينقل عن وزير خارجية ألمانيا قوله : (سنكتشف يومًا أننا لم نكن نعرف الكثير مما يدور حولنا) تعليقًا على التلاعب والتزييف الذي تمارسه الميديا الأمريكية .

(٢) د/ نبيل علي « **تحديات عصر العولمة** » ص (٢٤٥) . مكتبة الأسرة ـ الأعمال العلمية ٢٠٠٣م .

(٣) لواء أركان حرب د/ نبيل فؤاد « **حلف شمال الأطلنطي ـ الناتو ـ النظام العالمي الأحادي ، ومشروع الشرق الأوسط الكبير ـ مخاطر وتحديات الحلف على الأمن القومي العربي** » ص (٢٧٧) ، كتاب الجمهورية عدد إبريل ٢٠٠٧م .

وإذا قارنا ذلك بتعريف دائرة المعارف البريطانية الذي ينص على أن الأمن القومي (يعني حماية الدولة من خطر القهر على يد قوى أجنبية) [١] .

إذا قارنّا التعريفين فسيتّضح لنا وضع تهديد القيم الداخلية في مستوى خطر القهر على يد قوى أجنبية .

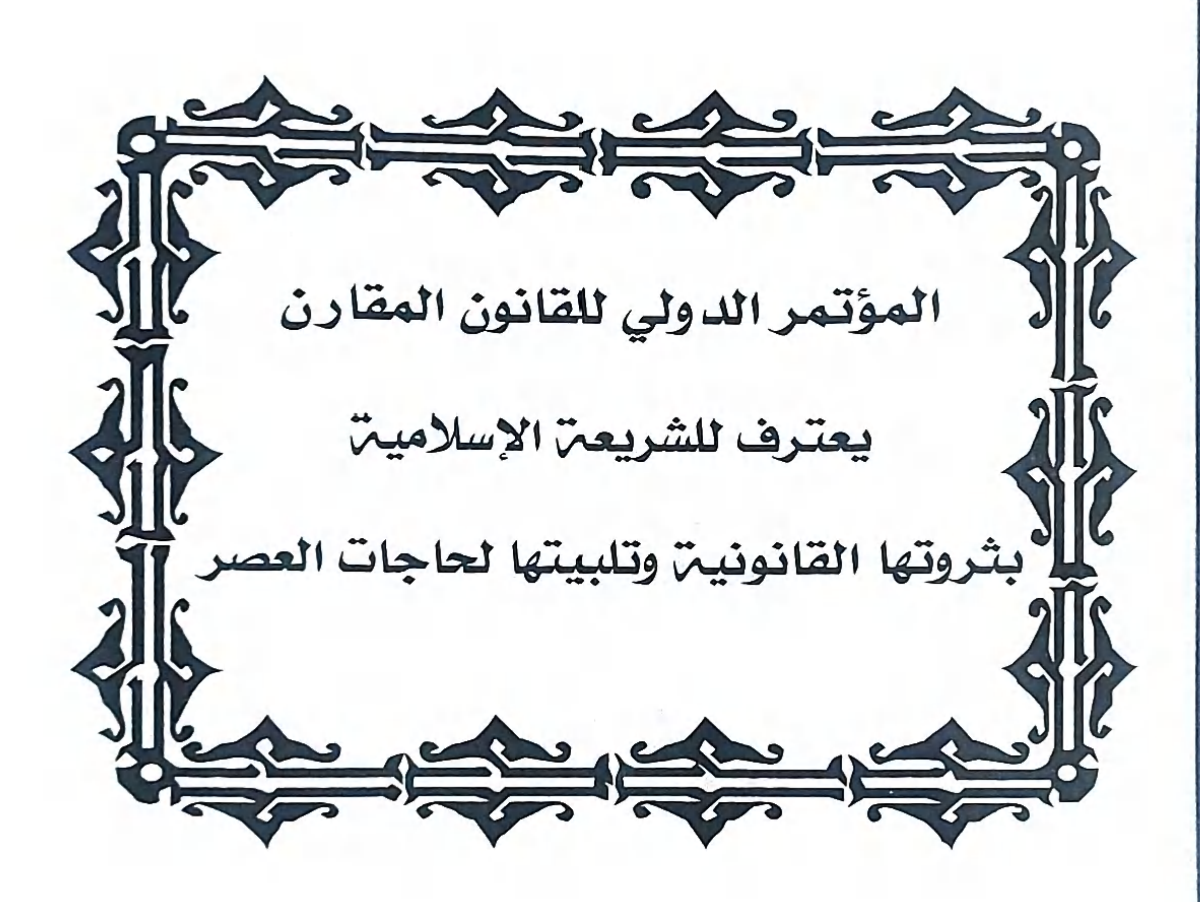
انتهى الكتاب بحمد الله تعالى وتوفقيه وحده ،

وصلي اللهم على نبينا محمد وعلى آلاه وصحبه وسلم .

---

(١) نفسه .

ملحق


المؤتمر الدولي للقانون المقارن
يعترف للشريعة الإسلامية
بثروتها القانونية وتلبيتها لحاجات العصر

ينعقد المؤتمر الدولي للقانون المقارن مرة في كل أربع سنوات وله شعب منها : شعبة الشرائع الشرقية . وقد قرر في دورته الماضية بلندن أن تخصص شعبته الشرقية أسبوعًا للشريعة الإسلامية ، وعقدت هذه الشعبة جلستها تنفيذًا للقرار في باريس واشترك فيها كبار أساتذة القانون في الشرق والغرب ورأسها الأستاذ ميو الأستاذ بجامعة باريس ، واتخذت في جلستها النهائية يوم ٧ يوليه ١٩٥١ القرار الإجماعي التاريخي الآتي :

« إن المؤتمرين ـ وقد أبدوا الاهتمام بالمشاكل المثارة أثناء أسبوع القانون الإسلامي وما جرى في شأنها من مناقشات أوضحت بجلاء ما لمبادئ القانون الإسلامي من قيمة لا تقبل الجدال كما أوضحت أن تعدد المدارس والمذاهب داخل هذا النظام القانوني الكبير إنما يدل على ثروة من النظريات القانونية والفن البديع وكل هذا يمكّن هذا القانون من تلبية جميع حاجيات الحياة العصرية ـ يبدون الرغبة في أن يواصل الأسبوع أعماله كل سنة ، ويكلف مكتب الأسبوع بوضع لائحة بالموضوعات التي يجب ـ عقب المناقشات التي جرت خلال الأسبوع ـ أن تكون موضع البحث أثناء الدورة القادمة ، ويرجون تأليف لجنة لوضع (قاموس) للقانون الإسلامي من شأنه أن يسهل الإقبال على تأليف القانون الإسلامي وأن يكون موسوعة للمعارف القانونية الإسلامية مرتبة حسب الأساليب العصرية »[1] .

---

(١) « مجلة المسلمون » ـ العدد الأول ص (٤٠-٤١) ـ السنة الأولى غرة ربيع الأول ١٣٧١هـ ـ ٣٠ نوفمبر ١٩٥١م .

SEMAINE DE DROT MUSULMAN
PARIS 2-7 JUILET 1951

VOEU ADOPTE A L'UNANIMITE DANS LA SEANCE FINALE DU 7 JULLET 1951

Les Congresseistes,

Etant donné l'intérêt suscité par les problèmes evoqués au cours de la SEMAIN DE DROIT MUSULMAN et par les discussions auxquelles ils ont donné lieu, dont il est résulté clairement que les principes du droit musulman ont une valeur indiscutable et que la variété des écoles à l'intérieur de ce grand systéme juridique implique une richesse de notions juridiques et de technique remarquables, qui permet à ce droit de rêpondre à tous les besoins d'adaptation exigés par la vie moderne .

Emettent le voeu que la SEMAINE poursuive ses travaux d'année en année .

Chargent le Bureau de la SEMAINE d'établir la liste des sujets qui, à la suite des discussions ayant eu lieu au cours de la SEMAINE, devront faire l'objet d'un examen au cours de la session prochaine .

Souhaitent qrun Comité soit formé pour établir un dictionnairs de droit musulman destiné à faciliter l'accés aux ouvrages de droit musulman et constituant un répertoire des connaissances juridiques musulmanes, exposées suivant les méthodes modernes .

قائمة المصادر

الإمام القزويني — « مختصر شعب الإيمان للبيهقي » ، دار الدعوة الإسكندرية ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م .

أريك لوران — « الوجه الخفي لأحداث ١١ سبتمبر الجريمة الكاملة والمؤامرة المتقنة » ترجمة د/ عصام المياس ، دار الخيال ـ بيروت ٢٠٠٥م .

أندرياس فون بيلوف — « براءة العرب والمسلمين من أحداث ١١ سبتمبر ودور أجهزة المخابرات » ترجمة د/ سيد حسان أحمد ، منشأة المعارف بالأسكندرية ٢٠٠٤م .

أدرين كوخ — « آراء في أزمة العصر » ، مكتبة الأنجلو المصرية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين نيويورك ، ترجمة محمود محمد القاهرة ١٩٦٣م .

د/ أحمد شلبي — « موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية » ـ دراسات تفصيلية عن تاريخ مصر المعاصر ـ ثورة ٢٣ يوليو من يوم إلى يوم ، مكتبة النهضة بمصر ١٩٧٩م .

د/ إميل بوترو — « العلم والدين في الفلسفة المعاصرة » ترجمة د/ أحمد فؤاد الأهواني ، ط. الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٣م .

د/ إحسان حقي — « المسلمون أمام التحدي العالمي » ، بيروت ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م .

الحافظ ابن رجب الحنبلي — « لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف » نسخة مصورة بدون اسم الناشر وبدون تاريخ .

د/ أحمد أبو هدية — « الدور الإسرائيلي في الحرب الأمريكية على العراق » ترجمة أحمد أبو هدية ، مكتبة مدبولي ـ مركز الدراسات الفلسطينية ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .

الإمام أبو الحسن الندوي — « مستقبل الأمة العربية الإسلامية بعد حرب الخليج » ، دار السلام ١٤١٢هـ - ١٩٩١م .

القاضي ابن هبيرة — « الإفصاح عن معاني الصحّاح » ـ تحقيق د/ فؤاد عبد المنعم ـ دار الوطن ـ الرياض ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .

برتراند راسل — « تاريخ الفلسفة الغربية ـ الكتاب الثالث » ترجمة د/ محمد فتحي الشنيطي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧م .

توفيق الحكيم « عودة الوعي » ، دار الشروق ٢٠٠٦م .

تقرير لوجانو « مؤامرة الغرب الكبرى » ، ط. سطور ٢٠٠١م بقلم صلاح الدين حافظ .

د/ جلال أمين « عصر التشهير بالعرب والمسلمين » ، دار الشروق ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م .

د/ جلال أمين « خرافة التقدّم والتأخّر - العرب والحضارة الغربية في القرن الواحد والعشرين » ، ط. دار الشروق ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .

د/ جودت سعيد « لِمَ هذا الرعب كله من الإسلام ؟ » ، دار الأسماء بالجيزة ١٩٨٩م.

جوستان لوبون « حضارة العرب » ترجمة عادل زعيتر ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ١٩٦٩م .

د/ حسين مؤنس « الحضارة » ، عالم المعرفة - الكويت محرم ١٣٩٨هـ - يناير ١٩٧٨م .

د/ حسن صبري محمد يوسف « الخطر المحدق من نمو الشرق » ، مكتبة عالم الفكر - القاهرة ١٤٠٦هـ - ١٩٩٧م .

الرائد حسين الطنطاوي « الصهيونية والعنف » ، ط. دار الشعب ١٩٧١م .

د/ حورية توفيق مجاهد « الاستعمار كظاهرة عالمية » ، عالم الكتب بالقاهرة ١٩٨٥م .

د/ حسين عبد الواحد «أمريكيات، كتب هزت الولايات المتحدة والعالم»، كتاب اليوم - يونيو ٢٠٠٤م.

د/ حامد ربيع «قراءة في فكر علماء الاستراتيجية»، دار الوفاء بالمنصورة ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

د/ حسن دوح - حامد سليمان السيد الغضبان «مأساة المسلمين في البوسنة والهرسك - جريمة القرن العشرين»، الناشر أبوللو ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

د/ ذوقان قرقوط «المشروع القومي الذي لم يتم - بحث في نزعات التوحيد ١٩١٣ - ١٩٥٢»، مكتبة مدبولي ٢٠٠٦م.

د/ روجيه جارودي «الولايات المتحدة طليقة الانحطاط» ترجمة مروان حموي، دار الكاتب - دمشق، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

د/ روجيه جارودي «كيف نصنع المستقبل؟» ترجمة د/ منى طلبة و د/ أنور مغيث - دار الشروق ط٢ - ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

د/ روجيه جارودي «الإسلام دين المستقبل» ترجمة عبد المجيد بارودي، دار الإيمان - بيروت - دمشق ١٩٨٣م.

د/ روجيه جارودي « الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية » ترجمه عن الفرنسية قسم الترجمة بدار الغد العربي ١٩٩٦م .

د/ روجيه جارودي « الإرهاب الغربي » ، مكتبة الشروق الدولية ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

ريتشارد نيكسون « نصر بلا حرب » تقديم المشير محمد عبد الحليم أبو غزالة ـ مركز الأهرام للترجمة والنشر ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

رضا هلال « المسيح اليهودي ونهاية العالم ـ المسيحية السياسية الأصولية في أمريكا » ، مكتبة الشروق ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .

رضا هلال « تفكيك أمريكا » ، دار مصر المحروسة ـ ط٣ ٢٠٠٣م .

د/ ريجينا الشريف « الصهيونية غير اليهودية » ، سلسلة كتب ثقافية ، عالم المعرفة ـ الكويت ، ربيع الأول ١٤٠٦هـ - ديسمبر ١٩٨٥م .

رجب البنا « صناعة العداء للإسلام » ، دار المعارف بمصر ٢٠٠٤م .

د/ زينب عبد العزيز	« حرب صليبية بكل المقاييس » ، دار الكتاب العربي ـ دمشق ـ القاهرة ٢٠٠٣م .
الفريق سعد الدين الشاذلي	« الحرب الصليبية الثامنة » ، عيون المقالات ـ الدار البيضاء ١٩٩١م .
د/ سعيد اللاوندي	« فوبيا الإسلام في الغرب » ، كتاب اليوم ـ العدد ٤٨١ ابريل ٢٠٠٦م .
د/ سعيد اللاوندي	« عبد الرحمن بدوي ، فيلسوف الوجودية الهارب إلى الإسلام » ، مكتبة الأسرة ٢٠٠٢م .
د/ سيرج لاتوش	« تغويب العالم » ترجمة خليل كلفت ، دار العالم الثالث ١٩٩٢م .
د/ سمير مرقص	« رسالة في الأصولية البروتستانتينية والسياسة الخارجية الأمريكية » ، مكتبة الشروق ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .
شريف الشوباشي	« هل فرنسا عنصرية ؟ » ، مطابع الأهرام ١٩٩٢م .
علي عزت بيجوفيتش	« الإسلام بين الشرق والغرب » ترجمة محمد يوسف عدس ـ دار الشروق بالقاهرة ومؤسسة بافاريا للنشر والإعلام يناير ١٩٩٤م .

د/ عزت حسن أفندي الدارندلي	« الحملة الفرنسية على مصر في ضوء مخطوط عثماني » دراسة وترجمة جمال سعيد عبد الغني ، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٩م .
د/ عماد الدين خليل	« في التأصيل الإسلامي للتاريخ » ، دار الفرقان ـ عمان ١٩٩٨م .
الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي	« تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان » ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .
د/ لؤاء عبد الحميد علي شرف	« الصراع الكبير بين الشرق والغرب ومراحل تطوره عبر ١٣ قرنًا » ، مطابع الأهرام ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .
د/ عمر حليق	« موسكو وإسرائيل » ، ط. دار السعودية للنشر ـ بدون تاريخ .
د/ عبد العزيز صقر	« الدين والدولة في الواقع الغربي » ، دار ومكتبة العلم للجميع ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .
فتحي رضوان	« الإسلام والمسلمون » ، دار الشروق ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .
د/ فاطمة إسماعيل	« التفكير الفلسفي عند زكي نجيب محمود » ، ط. مصر للخدمات العلمية ، حدائق القبة ، القاهرة ١٩٩٩م .

د/ قاسم عبده قاسم « القراءة الصهيونية للتاريخ ـ الحروب الصليبية نموذجًا » الهلال يناير ٢٠٠٥م .

د/ عميد مهندس كامل الشرقاوي « العذاب الذي لاقاه المسلمون » ، مطابع الأهرام ١٩٩٨م .

د/ كارين أرمسترونج « معارك في سبيل الإله ، الأصولية في اليهودية والمسيحية والإسلام » ترجمة د/ فاطمة نصر و د/ محمد عناني ، كتاب سطور بالقاهرة ٢٠٠٠م .

د/ كارين أرمسترونج « القدس ، مدينة واحدة ، عقائد ثلاث » ترجمة د/ فاطمة نصر و د/ محمد عناني ، سطور ١٩٩٨م .

الإمام محمد بن إبراهيم الوزير اليماني « العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم » ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .

د/ محمد حسين « الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر » ، مكتبة الآداب بالجماميز ـ القاهرة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م .

د/ مهندس محمد الحسيني إسماعيل « الدّين والعلم وقصور الفكر البشري » ، مكتبة وهبة بالقاهرة ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م .

د/ مهندس محمد الحسيني إسماعيل « الحقيقة المطلقة ـ الله والدين والإنسان » ، مطابع الإهرام ١٩٩٥م .

د/ محمد فتحي « التليفزيون والعولمة » ، كتاب الجمهورية أغسطس ٢٠٠٢م .

محمد جلال كشك « إنهم يذبحون المسلمين ـ مأساة المسلمين في البوسنة والهرسك » ، مكتبة التراث الإسلامي ١٩٩٢م .

محمد جمال الدين القاسمي « محاسن التأويل » ، ط. عيسى البابي الحلبي دار إحياء الكتب العربية ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م .

د/ محمد محمد عاشور « السنن الإلهية في الأمم والأفراد في القرآن الكريم ـ أصول وضوابط » ، دار السلام ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .

د/ مصطفى حلمي « الفكر الإسلامي في مواجهة الغزو الثقافي في العصر الحديث » ، دار الدعوة بالإسكندرية ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .

د/ مصطفى حلمي « إسلام جارودى بين الحقيقة والافتراء » ، دار الدعوة بالإسكندرية ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .

الشيخ محمود محمد شاكر « رسالة في الطريق إلى ثقافتنا » ، كتاب الهلال سبتمبر ١٩٩١م .

د/ محمد علي أبو ريان « أسلمة المعرفة ـ العلوم الإنسانية ومناهجها من وجهة نظر إسلامية » ، دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية ١٩٩٧م .

د/ محمد جميل بيهم	« العروبة والشعوبيات الحديثة » ، دار الكشاف بيروت ـ شعبان ١٣٧٦هـ - مارس ١٩٥٧م .
الشيخ محمد محمود الصوّاف	« نداء الإسلام » ، دار العلم ـ عمان ، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م .
الشيخ محمد البشير الإبراهيمي	« عيون البصائر ٢ » ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ـ الجزائر ، بدون تاريخ .
د/ محمد علي البار	« المسيح المنتظر وتعاليم التلمود » ، الدار السعودية بجدة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
د/ محمد مورو	« الضمير الغربي ولعبة النفاق السياسي » ، مجلة المختار الإسلامي ، غرة ربيع الثاني ١٤٢٧هـ - ٢٩ أبريل ٢٠٠٦م .
د/ ميران مشيدلوف	« الدين في العالم اليوم » ترجمة جمال السيد ، دار العالم الجديد ـ القاهرة ١٩٩٠م .
د/ محمد البهي	« الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي » ، دار الفكر ـ بيروت ١٩٧٠م .
د/ محمد عمارة	« إسلاميات السنهوري باشا » ، دار الوفاء بالمنصورة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م .
د/ مراد هوفمان	« الإسلام في الألفية الثالثة ، ديانة في صعود » ، مكتبة الشروق ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م .

د/ محمد أسد « منهاج الإسلام في الحكم » ، دار العلم للملايين ـ بيروت ۱۹۸۳م .

د/ محمد حرب « المسلمون في آسيا الوسطى والبلقان » ، ط. المركز المصري للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .

د/ محمد حرب « البوسنة والهرسك ، من الفتح إلى الكارثة » ، البيان الإسلامي .

د/ محمد سيد محمد « هيكل والسياسة الأسبوعية » ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦م .

د/ نبيل علي « تحديات عصر العولمة » ، مكتبة الأسرة ـ (الأعمال العلمية) ٢٠٠٣م .

د/ لواء أركان حرب نبيل فؤاد « حلف شمال الأطلنطي ـ الناتو ـ النظام العالمي الأحادي ، ومشروع الشرق الأوسط الكبير ـ مخاطر وتحديات الحلف على الأمن القومي العربي » ، كتاب الجمهورية عدد إبريل ٢٠٠٧م .

د/ نزار بشير « حضارة الدم وحصادها ـ فصول من تاريخ الإرهاب الأمريكي » ، الزهراء للإعلام العربي بالقاهرة ٢٠٠٣م .

د/ هشام كمال عبد الحميد — « ١١ سبتمبر صناعة أمريكية .. » ، دار الكتاب العربي ـ دمشق/ القاهرة ٢٠٠٦م .

هنري برجسون — « منبعا الأخلاق والدين » ترجمة سامي الدروبي و د/ عبد الله الدايم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧١م .

د/ والتر أمكدوجال — « أرض الميعاد والدولة الصليبية ـ أمريكا في مواجهة العالم منذ ١٧٧٩م » ترجمة رضا هلال ، دار الشروق ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .

د/ وحيد عبد المجيد — « الإرهاب وأمريكا والإسلام ـ من يطفيء النار ؟! » ، مكتبة الأسرة ٢٠٠٤م .

الفهرس

الموضوع **الصفحة**